



اهداءات ٢٠٠١

الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح منصور

الكفاية

للإمام
أبي عبد الله محمد شمس الدين الذهبي الدمشقي
(٦٧٣-٧٤١ هـ)

طبعة محققة ومصححة ومنقحة

دار التراث العربي

طبعة جديدة
محققة ومصححة ومنقحة

١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م

جميع حقوق الطبع ، والنقل والتصوير
بهذا الشكل محفوظة للناسخ



ترجمة المؤلف

الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
ابن قايماز بن الذهبي الحمصي .

جاء في شذرات الذهب في وصفه :

أما استأفنا أبو عبد الله فبحر لا نظير له ، وكثر هو الملجأ إذا نزلت
المعضلة ، أمام الوجود حفظا ، وذهب العصر معنى ولفظا . وشيخ الجرح
والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنها جمعت الأمة في صعيد واحد
فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها ، وهو الذي خرجنا في هذه
الصناعة ، وأدخلنا في عداد الجماعة .

ولد في دمشق سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وطلب الحديث من يفاعته
فسمع بدمشق من ابن عساكر والقواس ورحل إلى بطبك . فسمع من
عبد الخالق بن علوان ، وزينب بنت عمر بن كندى وغيرهما . .

رحل إلى مصر فسمع من شيخ الإسلام ابن تقي العبد . والحافظين :
أبي محمد الحمياطي ، وأبي العباس الظاهري . ورحل إلى الاسكندرية
فسمع من علمائها وإلى حلب فسمع من سنقر الزينى وغيره .
أقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد ، وتنادية السؤالات من كل
ناد ، وهو بين أكتافها كنف لأهلها وشرف تفتخر به ، وتزهى به الدنيا
وما فيها .

وكل تصانيفه شاهدة على تجرته ومهارته في العلوم النقلية . وقد عد
ابن تغرى في المنهل الصافي خمسة وستين كتابا ، وفي ذيل تذكرة الحافظ :
أن مصنفاته ومختصراته وتخريجاته تقارب المائة .

من أهم مصنفاته :

- ١ - تاريخ الإسلام الكبير في واحد وعشرين مجلدا .
- ٢ - تذهيب التهذيب .
- ٣ - ميزان الاعتدال .
- ٤ - طبقات الحفاظ .
- ٥ - طبقات مشاهير القراء .
- ٦ - المغنى في الضعفاء .
- ٧ - اختصار تاريخ دمشق .
- ٨ - المشتبه في أسماء الرجال .
- ٩ - سير النبلاء .

- ٤ -

١٠ - رسالة في الرواة الثقات .

١١ - الكبائر الكبرى .

١٢ - العبر بأخبار من غير .

وغيرها كثير .

قال السيوطي :

« والذي أقوله : ان المحققين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة : المزي ، والذهبي ، والعراقي ، وابن حجر » .

وقد جرى بعض العلماء على تأليف كتب تحض على الخير وترغب به ، وتزجر عن المعاصي وترهب منها فهي كالزواجر والترغيب والترهيب ومنها كتاب الكبائر للإمام المحدث ابن الذهبي .

وكان قد كتب الكبائر الكبرى ثم اختصرها في كتاب الكبائر اعتمده فيها ما صح وما قارب الصحة مع البيان البليغ المؤثر على العاطفة واجتهد على استبعاد الحشو والتطويل والحكايات الضعيفة فجاء الكتاب وافيًا بأغراضه ومقاصده وأدى صالح مهمته خير أداء وصار أثرًا نفيسًا من آثار الإمام الحافظ في النفع والفائدة ، فهو عضد الخطيب والواعظ ، وسلوة الحائر والجازع وترقيق قلب القاسي والتزهيد عن فضول خطام الدنيا ، والزجر عن المعاصي والمهلكات .

وتوفي الإمام الذهبي - رحمه الله - ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨ هـ في دمشق بالمدرسة النسوية لام الصالح في قاعة سكنة ، ودفن بمقبرة الصغير .

رحمه الله قدر ما أناد الأمة الإسلامية بحفظ تراثها وتاريخها .

وله سبحانه الحمد والفضل والأمر من قبل ومن بعد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان الا على الظالمين . والصلاة والسلام على
سيدنا محمد سيد المرسلين وامام المتقين وعلى آله وصحبه اجمعين .
(اما بعد) .. فهذا كتاب مشتمل على ذكر نجل في الكبائر والمحرمات
والمنهيات .

تعريف الكبائر

ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والاثار عن السلف الصالحين
وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز ان اجتنب الكبائر والمحرمات ان يكفر
عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » (١) فقد تكفل الله تعالى بهذا النص
ان اجتنب الكبائر ان يدخله الجنة وقال تعالى : « والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون » (٢) وقال تعالى : « والذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش الا اللهم ، ان ربك واسع المغفرة » (٣) الايات وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى
رمضان مكفرات (٤) لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » (٥) فتعين علينا الفحص عن
الكبائر ما هي لكي يجتنبها المسلمون (٦) فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد
اختلفوا فيها فقليل هي سبع، واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم

(١) النساء : ٣١ . (٢) الشورى : ٣٧ . (٣) النجم : ٣٢ .

(٤) في نسخة « كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر » .

(٥) رواه مسلم والترمذي وقال : حسن صحيح عن ابي هريرة رفعه واللفظ
لمسلم قال الترمذي : وفي الباب عن جابر وانس وحظلة الاسيدي قال شارحه :
اما حديث جابر فأخرجه مسلم واما حديث انس فأخرجه الشيخان واما حديث
حظلة الاسيدي - ويقال له حظلة الكاتب - فأخرجه أحمد باسناد جيد
مرهوعا . انتهى .

(٦) في نسخة : المسلم واعظم ان التوبة من كل معصية واجبة على النور
وحتم لازم على كل عاص لا يجوز تأخيرها سواء أكانت صغيرة او كبيرة وانها
من مهمات الاسلام وقواعد الدين المتأكدة وجوبها عند أهل السنة تابعة بالكتاب
والسنة وظاهر النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والاثار السلفية على ان
من تاب لله توبة تصوحا واجتمعت شروط التوبة فيه فإنه يقبل منه توبته
كرما منه وفضلا ومنه واحسانا . انتهى .

« اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربوا والتولي يوم الزحف وتذف المحصنات انفاعلات المؤمنات . متفق عليه (١) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « هي الى السبعين اقرب منها الى السبع » وصدق والله ابن عباس (٢) وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئا من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه كبيرة (٣) ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر اكبر من بعض الا ترى أنه صلى الله عليه وسلم عد الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبدا قال الله تعالى : ((أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (٤) .



الكبيرة الأولى : الشرك بالله

فلنذكر الكبائر الشرك بالله تعالى وهو نوعان : أحدهما : أن يجعل لله ندا ويعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل قال الله تعالى : ((أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (٥) وقال تعالى : ((أن الشرك لظلم عظيم)) (٦) وقال تعالى : ((أنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار)) (٧) والآيات في ذلك كثيرة .

(١) متفق عليه أي رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (قلت) وكذا رواه أبو داود والنسائي .

(٢) رواه عبد الرزاق والطبري في تفسيره عند قوله : ((أن تجتنبوا)) كبائر ما تنهون عنه)) (النساء : ٣١) .

(٣) والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة وزاد شيخ الاسلام : أو ورد فيها وعيد بنفى ايمان أو لعن ونحوهما . والصواب تقسيم الذنوب الى كبيرة وصغيرة وأن الكبائر في الذنوب بعضها أكبر من بعض وقال ابن عبد السلام الشافعى : لم أقف للكبيرة على ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذى قاله شيخ الاسلام وغيره من أنها ما فيها حد أو وعيد أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا أو نفى ايمان من أسلم الضوابط وعن سعيد بن جببر قال : رجل لابن عباس : الكبائر سبع فقال ابن عباس : هي الى السبعمئة اقرب منها الى السبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وفي رواية عنه : هي الى السبعين اقرب وعدها العلماء قبلت سبعين أو زادت على السبعين .

(٤) النساء : ٤٨ ، ١١٦ .

(٤) النساء : ٤٨ .

(٥) المائدة : ٧٢ .

(٦) لقمان : ١٣ .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً فهو من أصحاب النار قطعاً كما أن من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وإن عذب بالنار وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بالكبير الكبائر - ثلاثاً - قالوا : بلى يا رسول الله قال : الإشراف بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور أو شهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت (١) وقال صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » (٢) فنكر منها الشرك بالله وقال صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » الحديث (٣) .

والنوع الثاني من الشرك الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (٤) أي لا يرأى بعمله أحداً وقال صلى الله عليه وسلم : « إياكم والشرك الأصغر » ، قالوا : يا رسول الله . وما الشرك الأصغر ؟ قال : « الرياء ، يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم ترافعونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء » (٦) وقال : « من سمع سمع الله به ومن رآه رآه الله به » (٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رب صائم ليس له من صومته إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » يعني أنه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له (٨) كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذي يملأ كيسه حصي

(١) متفق عليه . (٢) تقدم تخريجه آنفاً .

(٣) رواه أحمد والبخاري . (٤) الكهف : ١١٠ .

(٥) قال العراقي : رواه أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس والبيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات . قال المنذرى : جيد ورواه الطبراني عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج .

(٦) رواه مسلم دون كلمة : « وأنا منه بريء » وهي عند ابن ماجه بسند صحيح اه عراقى .

(٧) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله بلفظ : « من رأى رآه الله به ومن سمع سمع الله به » وهو في الترغيب للمنذرى كما في الأصل هنا والترمذى عن أبي بكره رفعه . قاله العراقي في تخرجه لأحاديث الأحياء .

(٨) رواه ابن ماجه وأخرجه أحمد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن شداد بن أوس والبزار وابن مردويه والبيهقي عن الضحاك بن قيس رفعوه .

ثم يدخل السوق ليشتري به فاذا فتحه فدام البائع فاذا هو حصى وضرب به وجهه ولا منعه له في كيسه سوى مقالة الناس له ما اهلا كيسه ولا يعطى به شيئا منك الذي يعمل للربا والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة» (١) قال الله تعالى : «وقد هنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» (٢) يعنى الاعمال التى عملوها لغير وجه الله تعالى ابطالنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو القبار الذى يرى فى شعاع الشمس وروى عدى ابن حاتم الطائى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوم يبنام - اى جماعات - من الناس يوم القيامة الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستشفوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصروهم عنها فانهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الاولون والآخرين بمثلها فيقولون : ربنا لو اخلقتنا النار قبل ان ترينا ما اريننا من ثواب ما اعدت لاوليائك كان اهلون علينا فيقول الله تعالى : ذلك ما اردت بكم كنتم اذا خلوتهم بارزتمونى بالمعاطم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ترأون الناس باعمالكم خلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجلتكم الناس ولم تجلونى وتركتكم للناس ولم تتركوا لى - يعنى لاجل الناس - فالיום اذيقكم اليم عقابى مع ما حرمتكم من جزيل ثوابى » (٣) وسأل رجل رسول الله : ما النجاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن لا تخادع الله » قال : وكيف يخادع الله قال : « أن تعمل عملا أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله واتق الربا فانه الشرك الأصغر وان المرائى ينادى عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا مراثى يا غادر يا فاجر يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك فلا أجر لك عندنا اذهب فخذ أجرك معن كنت تعمل له يا مخادع » (٤) ، وسئل بعض الحكماء رحيمهم الله من المخلص ؟ فقال : المخلص الذى يكتف حسانته كما يكتف سيئاته وقيل لبعضهم : ما غاية الاخلاص ؟ قال : ان لا تحب محبة الناس ، وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : ترك العمل لاجل الناس رياء ، والعمل لاجل الناس شرك والاخلص ان يعافيك الله منهما - اللهم عافنا منهما واعف عنا .



- (١) جعله ابن حجر في زواجه من كلام بعض الحكماء لا حديثا نبويا .
- (٢) الفرقان : ٢٣ .
- (٣) أخرجه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى وابن عساكر والنجار والصنع ابن سفيان وذكره في الترغيب بصيغة التمرىض وهو وروى عن عدى بن الخ وذكره ابن الجوزى في الموضوعات ونازعه السيوطى .
- (٤) ابن أبى الدنيا من رواية جيلة اليحصى عن صحابى لم يسمى واصناده ضعيف ا هـ عراقى .

لكبيرة الثانية : قتل النفس

قال تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » (١) وقوله تعالى : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون » ومن يفعل ذلك يلق آثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا (٢) وقال تعالى : « من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانها قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكانها احيا الناس جميعا » (٣) وقال تعالى : « واذا الموعودة سئلت . باى ذنب قتلت » (٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » (٥) فذكر قتل النفس التي حرم الله الا بالحق (٥) وقال رجل للنبي ﷺ : اى الذنب اعظم عند الله تعالى ؟ قال : « ان تجعل لله ندا وهو خلقك » قال : ثم اى ؟ قال : « ان تقتل ولدك خشية ان يطعم منك » قال : ثم اى ؟ قال : « ان تزاني حليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون » (٦) الآية . وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالتقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله . هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : « لأنه كان حريصا على قتل صاحبه » (٧) .

قال الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا انما يكون كذلك اذا لم يكونا يقتتلان على تأويل انما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية او طلب دنيا او رئاسة او علو ، فاما من قاتل اهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها او دفع عن نفسه او حريمه فانه لا يحفل في هذه لأنه مأمور بالقتال للذنب

(١) الفرقان : ٦٨ - ٧٠

(*) النساء : ٩٣ .

(٣) التكوين : ٨ ، ٩ .

(٢) المائدة : ٣٢ .

(٤) تمام الحديث : قيل وما من يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي) . قاله المنذرى .

(٥) رواه البخارى ومسلم بحون الآية ورواه الترمذى والنسائي في رواية بهما مع ذكر الآية كلهم عن أبى مسعود الانصارى قاله المنذرى في الترغيب والترهيب .

(٦) الفرقان : ٦٨ .

(٧) رواه أحمد والشيخان كما في الزواجر .

- ثلث -

عن نفسه غير قاصد به قتل صاحبه الا ان كان حريصا على قتل صاحبه ومن قاتل باغيا أو قاطع طريق من المسلمين فانه لا يحرس على قتله انما يدفعه عن نفسه فان انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه فان الحديث لم يرد في اهل هذه الصفة ، فاما من خالف هذا النعت فهو الذي يدخل في هذا الحديث الذي ذكرناه ، والله اعلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ﷺ) : « لا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » (١) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء » (٢) وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « الكبائر : الاشرار بالله وقتل النفس واليمين الغموس » (٤) وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في النار وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » مخرج في الصحيحين وقال صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وان رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاما » (أخرجه البخارى) (٥) .

فاذا كان هذا في قتل المعاهد وهو الذي أعطى عهدا من اليهود والنصارى في دار الاسلام فكيف يقتل المسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : « الا ومن قتل نفسا معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمة الله ولا يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفا » صححه الترمذى وقال

(ﷺ) متفق عليه من حديث أبى بكره وهو قطعة من (خطبة الوداع) .
(١) تمامه : وقال ابن عمر : من ورطت الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله . رواه البخارى والحاكم وقال : صحيح على شرطهما والورطات جمع ورطة وهى المشكلة وكل أمر تعسر النجاة منه أه ترغيب وترهيب للمنذرى .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن مسعود قاله المنذرى في الترغيب .

(٣) رواه النسائى والبيهقى من حديث بريدة وشاهده عند مسلم والنسائى والترمذى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا وموقوفا قاله المنذرى ورواه البيهقى والأصبهائى وابن ماجه بإسناد حسن عن البراء بن عازب رفعه أه (٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص أه منذرى .

(٥) والنسائى عن ابن عمرو رفعه كما ذكره المصنف في رسالته الصغرى في الكبائر وكذا المنذرى في الترغيب .

صلى الله عليه وسلم : « من أعان علي قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى » (رواه الإمام أحمد) (١) وعن معاوية رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً » (٢) نسأل الله العافية .

الكبيرة الثالثة : في السحر

لأن الساحر لابد وأن يكفر ، قال الله تعالى : « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » (٣) .

وما للشيطان المعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت : « وما يعلمان من أحد حتى يقولا انها نحن فتنه فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق » (٤) أي من نصيب .

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونونه حراماً نطق وما يشعرون انه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء (٥) وعملها وهي محض السحر وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له ، وأشبه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال .

وحد الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها السحر (٥) والموبقات المهلكات فليقتل العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة وجاء (٦) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حد الساحر ضربه بالسيف » والصحيح

(١) وابن ماجه وفي اسناده مقال قاله المصنف في رسالته الصغرى : والأصبهانى كلهم عن أبى هريرة رفعه ورواه البيهقى من حديث ابن عمرو رفعه ذكره المخدري في الترغيب وذكره بصيغة التمرىض .

(٢) أخرجه النسائى والحاكم وقال : صحيح الاسناد وروى أبو داود وابن حبان قال : وصححه عن أبى الحرداء رفعه اهـ ترغيب .

(٣) البقرة : ١٠٢

(٤) في بعض النسخ (الكيمياء) بالكاف والمراد بها كيمياء السخرة التي غرضها الوصول الى (اكسير الحياة) الذي يحول الشيوخوخة والهرم بزعهم شباباً وكذلك (حجر الفلاسفة) الذي يحول النحاس وغيره في زعمهم ذهباً . اما الكيمياء الصناعية التي هي معرفة خواص الأجسام تحليلها وتركيبها فليست مرادة بهذا الذم .

(٥) تقدم آنفاً بلفظه وتخرجه .

(٦) رواه الترمذى وقال : الصحيح انه من قول جندب اهـ زواج .

- ١٤٤ -

انه من قول جندب . وعن بجاله بن عبدة (ع) انه قال : اتانا كتاب عمر رضى الله عنه قبل موته بسنة ان اقتلوا كل ساحر وساحرة . وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول الله عز وجل : لا اله الا أنا ليس منى من سحر ولا من سحر له ولا من تكهن ولا من تكهن له ولا من تطير ولا من تطير له . وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : الكاهن ساحر والساحر كافر . وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : محمّن خمر وقاطع رحم ومصّدق بالسحر » رواه الامام احمد في مسنده (١) وعن ابن مسعود (٢) رضى الله عنه مرفوعا قال : « الرقى والتمايم والتولة شرك » التمايم جمع تميمة وهي خرزات أو حروز يعلقها الجاهل على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين وهذا من فعل الجاهلية ومن اعتقد ذلك فقد أشرك والتولة بكسر التاء وفتح الواو نوع من السحر وهو تحبيب المرأة الى زوجها وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجاهل أن ذلك يؤثر بخلافه ما قدر الله تعالى (٣) قال الخطابي (٤) رحمه الله : وأما اذا كانت الرقبة

(ع) رواه البخارى .

(١) وابن حبان في صحيحه وأبو يعلى والحاكم وصححه قال المنذرى

في الترهيب : من شرب الخمر .

(٢) رواه احمد وأبو داود قاله المصنف في رسالته الصغرى وابن حبان

والحاكم وصحاحه أفاده المنذرى في ترغيبه .

(٣) (فائدة) قال المصنف في رسالته الصغرى في آخر الكبيرة الثالثة :

واعلم ان كثيرا من هذه الكبائر بل عامتها - الا الأقل - يجعل خلق من الأمة تحريمه وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد .

فهذا الضرب فيه تفصيل فينبغي للعالم ان لا يستعجل على الجاهل بل يفرق به ويعلمه مما علمه الله ولا سيما اذا كان قريب العهد بجاهليته ، قد نشأ في بلاد الكفرة البعيدة وأسر وجلب لأرض الاسلام وهو تركى أو كرجى مشرك لا يعرف بالعربى فاشتراه أمير تركى لا علم عنده ولا فهم في الجهد أنه يلفظ بالشهادتين فإن فهم بالعربى حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالى فيها ونعمت ثم قد يصلى وقد لا يصلى وقد يلحن الفاتحة مع الطول ان كان أستاذه فيه دين ما فان كان أستاذه نسخة منه فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الاسلام والكبائر واجتنابها والواجبات واتيانها فان عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد وذلك فانر فينبغي للعبد أن يحمده الله تعالى على العافية (فان قيل) هو فرط لكونه ما سأل عما يجب عليه (قيل) ما دار في نفسه ولا استشعر أن سؤال من يعطيه يجب عليه . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ، فلا يأنم أحد الا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه والله لطيف بعباده رؤوف بهم قال تعالى : « وما كنا معذبين حتى ننبعث رسولا » (الاسراء : ١٥) وقد كان سادة الصحابة بالحجبة =

- ١٢٠ -

بالتقآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقى الحسن والحسين رضي الله عنهما فيقول : « أعينكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » وبالله المستعان وعليه التكلان .

الكبيرة الرابعة : في ترك الصلاة

قال الله تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا » إلا من تاب وعمل صالحا (١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها وقال سعيد بن المسيب امام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر . ولا يصلي العصر الى المغرب ولا يصلي المغرب الى العشاء ولا يصلي العشاء الى الفجر ولا يصلي الفجر الى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغى وهو واد في جهنم بعيد فعره خبيث طعمه وقال تعالى في آية أخرى : « فويل للمصلين » الذين هم عن صلاتهم ساهون (٢) أى غافلون عنها متهاونون بها وقال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال : « هو تأخير الوقت » (٣) أى تأخير الصلاة عن وقتها سهاهم مصلين لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب ، وقيل : هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على ما فرط وقال تعالى في آية أخرى : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون » (٤) قال المفسرون : المراد بذكر الله في هذه

= وينزل الواجب والتحريم على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يبلغهم إلا بعد أشهر فهم في تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمح النص ، والله أعلم .

(٤) هو الامام أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي صاحب التصانيف المتعة كشرح سنن أبى داود وغيرها نوفي في سنة ٣٨٨ هـ ببلدة بصت .

(١) مريم : ٥٩ ، ٦٠ . (٢) الماعون : ٤ ، ٥ .

(٣) رواه البزار في مسنده من رواية عكرمة بن ابراهيم وقال : رواه الحافظ عوقفا ولم يرفعه غيره قال المنذرى : وعكرمة هذا هو الأزدي مجمع على ضعفه والصواب وقفه يعنى أنه من كلام سعد بن أبى وقاص . ترغيب وقال به زيد ابن على في تفسيره الفريث وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن .

(٤) المنافقون : ٩ .

(٢ - الكبائر)

الآية الصلوات الخمس فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة عن عمله الصلاة من صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت فقد خاب وخسر » (١) وقال تعالى مخبرا عن أصحاب الجحيم : « ما سلككم في سقر • قالوا لم نك من المصيرين • وثم نك نظم المسكين • وكنا نخرض مع الخائضين • وكنا نكذب بيوم الدين • حتى أتانا اليقين • فما ننفعهم شفاعة الشافعين » (٢) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (٣) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » (٤) حديثان صحيحان وفي صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من فاتته صلاة العصر حبط عمله » وفي السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » (متفق عليه) (٦) وقال صلى الله عليه وسلم : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا

(١) عزاء المنذرى في الترغيب الى الأوسط للطبراني وأشار الى ضعفه وذكر له شاهدا من حديث عبد الله بن قرط عند الطبراني في أوسطه أيضا وقال : لا بأس بإسناده ان شاء الله ا ه •

وقال المصنف في الصغرى : حسنه الترمذى من حديث أبى هريرة ا ه وكذا قال المنذرى في الترغيب : رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة وقال : حسن غريب ا ه وأخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن تميم الدارى رفعه • (٢) المنذر : ٤٢ - ٤٨ •

(٣) رواه من حديث بريدة أحمد وأبو داود والنسائي والترمذى وقال : حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح ولا نعرف له علة ا ه منذرى وأخرج نحوه الطبراني في الكبير عن ثوبان رفعه ا ه (٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذى وابن ماجه بالفاظ متقاربة ا ه منذرى وأخرجه ابن ماجه ومحمد بن نصر والطبراني في الكبير عن أنس رفعه •

(٥) رواه ابن ماجه والبيهقى عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبى الدرداء وله شواهد من حديث معاذ عن الطبراني في الأوسط وعنده في الكبير وعند أحمد وإسناده صحيح ومن حديث أمية مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطبراني ومن حديث أم أيمن عند أحمد والبيهقى وكلها لا يخلو من مقال ولكن يعتضد بها أفاده المنذرى في الترغيب • (٦) من حديث عمر •

- ٥٤ -

ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع مرعون ومارون وهامان
وابي بن خلف « (١) وقال غير رضى الله عنه : اما انه لا حظ لاحد في الاسلام
أضاع الصلاة .

وقال بعض العلماء رحمهم الله : وانما بحسب ترك الصلاة مع هؤلاء الاربعة
لانه انما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فان
اشتغل بماله حشر مع قارون وان اشتغل بملكه حشر مع فرعون وان اشتغل
بوزارته حشر مع هامان وان اشتغل بتجارته حشر مع ابي بن خلف تاجر
الكفار بمكة وروى الامام احمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه
ذمة الله عز وجل (١) وروى البيهقي باسناده (٢) أن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .
اي الأعمال أحب الى الله تعالى في الاسلام : قال : « الصلاة لوقتها ومن ترك
الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين » ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه قيل له : الصلاة يا امير المؤمنين قال : نعم . اما انه لا حظ لاحد في الاسلام
أضاع الصلاة . وصلى رضى الله عنه وجرجه يثعب (٣) وما وقال عبد الله
ابن شقيق التابعي رضى الله عنه : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة وسئل علي رضى الله عنه عن
امراة لا تصلى فقال : من لم يصل فهو كافر (٤) وقال ابن مسعود رضى الله
عنه : من لم يصل فلا دين له (٥) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من ترك صلاة

« (١) رواه احمد باسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو وكذا رواه
الطبراني في الكبير والوسط وابن حبان في صحيحه ١ هـ مندرى . وقال المصنف
في الرسالة الصغرى ليس اسناده بذاك .

(١) رواه احمد والطبراني في الكبير واسناد احمد صحيح لو سلم من
الانقطاع فان عبد الرحمن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ وفي الاوسط
للطبراني باسناد لا يأس به في المتابعات ١ هـ مندرى (قلت) وهو حديث طويل
في النهي عن الشرك وعقوق الوالدين وترك الصلاة وشرب الخمر والفواحش .

(٢) أى في الشعب بسند ضعفه ، وقال الحاكم : عكرمة لم يسمع من عمر
قال : ورواه عمر ١ هـ عراقى .

(٣) يثعب بالعين المهملة : اى يسيل .

(٤) أخرجه الترمذى والحاكم عنه عن ابي هريرة ذكره المصنف في
الصغرى .

(٥) رواه محمد بن نصر موقوفا عليه ١ هـ مندرى .

واحدة متعمدا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لقي الله وهو مضيق للصلاة لم يعبا الله بشيء من حسناته - أى ما يفعل وما يصنع بحسناته - إذا كان مضيقا للصلاة (٢) وقال ابن حزم : لا تذب بعد الشرك اعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق ومال إبراهيم النخعي : من ترك الصلاة فقد كفر وقال أيوب السختياني : مثل ذلك ، وقال عون بن عبد الله : ان العبد إذا أدرك قربة ، مثل أن يصلي الصلاة الأولى شيء يسئل عنه فإن جازت له نظر فيها دون ذلك من غيره وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تذهب إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول : حفظك الله كما حفظتني وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتني » (٣) وروى أبو داود في سننه (٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم : من تقدم قوما وهم له كارهون ومن استعبد (٥) محررا ورجل أتى الصلاة دبارا » والدبار أن يأتيا بعد أن تفوته وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر » (٦) فنسأل الله التوفيق والاعانة أنه جواد كريم وأرحم الراحمين .



فصل : متى يؤمر العبد بالصلاة

روى أبو داود في السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا

(١) رواه محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر بلفظ : فقد كفر أه منخري .
(٢) قال العراقي : في معناه حديث : « أول ما يحاسب به العبد الصلاة - وفيه : فإن فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أه .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه قاله العراقي في تخريج أحاديث الأحياء .

(٤) وكذا رواه ابن ماجه وفي سننه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي مختلف فيه أفاده المنذرى .

(٥) هو أن يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره أو يكرمه على الخدمة بعد المتق قاله الخطابي في شرح السنن .

(٦) رواه الحاكم من حديث حنشل عن ابن عباس وقال حنشل : هو ابن قيس ثقة . قال المنذرى : بل رواه بمره لا نعلم أحدا وثقه غير حصين أه ترغيب .

الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها «
وفي رواية : « مروا اولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم
أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » .

قال الامام أبو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا الحديث يدل على اغلاظ
العقوبة له اذا بلغ تاركاً لها وكان بعض أصحاب الامام الشافعي رحمه الله
تعالى يحتج به في وجوب قتله اذا تركها متعمداً بعد البلوغ ويقول : اذا استحق
الضرب وهو غير بالغ فيدل على انه يستحق بعد البائس من التوبة ما هو
أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعي
واحمد - رحمهم الله - تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبته . ثم
اختلفوا في كفره اذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتنا فقال ابراهيم (١)
النخعي وايوب (٢) المسختيانى وعبد الله بن المبارك وأحمد (٣) بن حنبل
واسحاق (٤) بن راهويه : هو كافر ، واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم :
« العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » ويقول صلى الله عليه
وسلم : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » .

(فصل) وقد ورد في الحديث (٥) : « أن من حافظ على الصلوات المكتوبة
أكرمه الله تعالى بخمس كرامات : يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه
كتابه يمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويحل الجنة بغير حساب »
ومن تهان بها عاقبه الله تعالى بخمسة عشر عقوبة خمس في الدنيا وثلاثة
عند الموت وثلاث في القبر وثلاث عند خروجه من القبر فاما اللاتي في الدنيا
فالاول ينزع البركة من عمره والثانية يمحي سيماء الصالحين من وجهه والثالثة
كل عمل يعمل لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء والخامسة

(١). ابن يزيد أبو عمران الكوفي النخعي من رجال الكتب الستة توفي
سنة ٩٦ هـ .

(٢) أحد الأئمة الأعلام من رجال الكتب الستة توفي سنة ١٣١ هـ .

(٣) الامام العالم شيخ المحدثين وأحد فقهاء الأمصار شيخ البخاري
ومسلم وأبي داود مات سنة ٢٤١ هـ .

(٤) اسحاق بن ابراهيم بن محمد الحنظلي أبو محمد المشهور بابن راهويه
الامام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨ هـ .

(٥) هذا الحديث لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان
رواه بعضهم والمصنف رحمه الله تعالى وان كان من الحفاظ المحققين فقد تساهل
في هذا الكتاب في كثير من الأحاديث ا هـ من هامش الأصل النجدي (قلت)
عزاه السيوطي في ذيل الموضوعات الى ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ثم نقل
عن الميزان هذا حديث باطل ركيه محمد بن علي بن العباس علي أبي بكر بن زياد
النيسابوري وعن اللسان هو ظاهر البطلان من أحاديث الطرقية ا هـ .

ليس له حظ في دعاء الصالحين ، وأما اللاتى تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا والسانية يموت جائعا والثالثة يموت عطشانا ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه ، وأما التى تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجبر ليلا ونهارا والثالثة يسقط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء الى الصبح فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعا فلا يزال في الأرض معذبا الى يوم القيامة . وأما اللاتى تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفي رواية : فانه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الأول : يا مضيع حق الله السطر الثانى : يا مخصوصا بغضب الله السطر الثالث : كما ضيعت في الدنيا حق الله فأبى اليوم أنت من رحمة الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به الى النار فيقول : يارب .. لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بى كاذبا .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لأصحابه : « اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما » ثم قال صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من الشقى المحروم » ؟ قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : « تارك الصلاة » .

وروى أنه أول من يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة وان في جهنم واديا يقال له : اللحم فيه حيات كل حية (١) ثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سبها في جسمه سبعين سنة ثم يتهزى لحمه .

(حكاية) روى أن امرأة من بنى اسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام فقالت : يا رسول الله .. انى أذنبت ذنبا عظيما وقد تببت منه الى الله تعالى فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب على فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك قالت : يا نبي الله .. انى زنيته وولدت ولدا فقتلته فقال لها موسى عليه السلام : اخرجى يا فاجرة لا تنزل نارا من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى .. الرب تعالى

(١) وصف حيات جهنم جاء في حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي عند احمد والطبرانى عن طريق ابن لهيعة عن دراج عنه وكذا رواه ابن حبان في صحيحه عن طريق عمرو بن الحارث عن دراج عنه وقال الحاكم : صحيح الاسناد اه منخرى .

يقول لك : لم رددت التائب ؟ يا موسى .. اما وجبت شرا منها ؟ قال موسى :
يا جبريل .. ومن هو شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامدا متعمدا .

(حكاية أخرى) عن بعض السلف أنه أتني اختا له ماتت فسقط كيس
منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ثم ذكره فرجع
الى قبرها فنبش به بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب
عليها ورجع الى امه باكية حزينا فقال : يا اماء .. اخبريني عن أختي وما كانت
تعمل قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمي .. رأيت قبرها يشتعل عليها نارا
فال : فبكت وقالت : يا ولدي .. كانت أخنك تنهاون بالصلاة وتؤخرها عن رقتها
فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي ؟ فنسأل الله تعالى
ان يعيننا على المحافظة عليها في أوقاتها انه جواد كريم .

(فصل) في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها وقد
روى في تفسير قوله تعالى : « فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم
ساهون » (١) أنه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا دخل المسجد
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه فصلى الرجل ثم جاء فسلم على
النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له : « ارجع فصل فانك لم
تصل » فرجع فصلى كما صلى ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد
عليه السلام ثم قال : « ارجع فصل فانك لم تصل » فرجع فصلى كما صلى ثم جاء
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام وقال : « ارجع فصل فانك
لم تصل » ثلاث مرات فقال في الثالثة : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن
غيره فعلمني فقال صلى الله عليه وسلم : « اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ
ما تيسر منك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما
ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى
تطمئن ساجدا وافعل ذلك في صلاتك كلها » وروى الامام أحمد رضي الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل
فيها صلبه في الركوع والسجود » ورواه ابو داود أيضا والترمذي وقال : حديث
حسن صحيح وفي رواية أخرى : « حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود » ١٠

وهذا نص عن النبي صلى الله عليه وسلم في أن من صلى ولم يقم ظهره
بعد الركوع والسجود كما كان فصلاته باطلة وهذا في صلاة الفرض وكذا
الطهانية أن يستقر كل عضو في موضعه .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اشد الناس سرقة الذي يسرق
من صلاته » قيل : وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها

- ٢٠ -

ولا القراءة فيها » (١) وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله الى رجل لا يقيم صليبه بين ركوعه وسجوده » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر اربعاً لا يذكر الله فيها الا قليلاً » (٢) . وعن ابي موسى قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بأصحابه ثم جلس فدخل رجل فقام يصلى فجعل يركع وينقر سجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترون هذا ؟ لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم » (أخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحه) .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مصل الا وملك عن يمينه وملك عن يساره فان أتمها عرجا بها الى الله تعالى وان لم يتمها ضربا بها وجهه » (٣) . وروى البيهقي بسنده (٤) عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة فبقيتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتني ثم صعد بها الى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها الى الله تعالى فتشفع لصاحبها واذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها الا قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني ثم صعد بها الى السماء وعليها ظلمة فأغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » . وعن سليمان (٥) الفارسي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة مكيال فمن وفى وفى له ومن طفق فقد علمتم ما قال الله في المطففين » . قال تعالى : « ويل للمطففين » (٦) والمطفف هو المنقص للكيل

(١) رواه أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي قتادة قاله العراقي وكذا رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه بلفظ : « أسوأ الناس » . الخ أفاده المنذرى .

(٢) باسناد صحيح قاله العراقي . (٣) متفق عليه من حديث أنس .

(٤) رواه الدارقطني في الأفراد وهو ضعيف ٢ هـ من الجامع الصغير للسيوطي .

(٥) رواه الطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقي (قلت) جاء ضعفه من الأحوص بن حكيم .

(٦) في المسند عن سالم بن أبي الجعد عن سليمان قاله ابن القيم في رسالته في الصلاة (قلت) فيه انقطاع بين سالم وسلمان .

(٦) المطففين : ١ .

أو الوزن أو الخزع أو الصلاة وعدمهم الله بويل وهو واد في جهنم تستنيت جهنم من حره نعوذ بالله منه .

وعن ابن عباس (١) رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فإن الله تعالى أوحى إلى أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة والأنف والكفين والركبتين : وصدر القدمين وأن لا أكف شعرا ولا ثوبا فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته » .

وروى البخارى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه رأى رجلا يصلى ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة : ما صليت ولو مت وانت تصلى هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى رواية أبى داود أنه قال : منذ كم تصلى هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة قال : ما صليت منذ أربعين سنة شيئا ولو مت مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وكان الحسن البصرى يقول : يا ابن آدم . . أى شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسئل عنها يوم القيامة ، كما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله كذلك » (٢) .

فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه ، وبالله التوفيق .

(فصل) فى عقوبة تارك الصلاة (فى جماعة) مع القدرة قال الله تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون . خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالون » (٣) وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود .

قال ابراهيم التيمي : يعنى إلى الصلاة المآتوبة بالأذان والاقامة وقال سعيد بن المسيب كانوا يسمعون : « حى على الصلاة ، حى على الفلاح » . فلا يجيبون وهم أصحاء سالون .

(١) حديث ابن عباس أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسجد على سبعة أعضاء . . الخ متفق عليه وروى اسماعيل بن عبد الله المعروف بسمويه فى فوائده عن عكرمة عن ابن عباس : « إذا سجد أحدكم فليضع أنفه على الأرض فانكم قد امرتم بذلك » ١ هـ من نيل الأوطار .

(٢) رواه الترمذى وغيره وقال : حسن غريب ١ هـ مؤخرى .

(٣) القلم : ٤٢ ، ٤٣ .

وقال كعب الأجار : والله ما نزلت هذه الآية الا في الذين تخلفوا عن الجماعة فأى وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على اتيانها . وأما من السنة فما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار » ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار الا على ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع .

وفي صحيح مسلم أن رجلا أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . . . ليس لى قائد يقودنى الى المسجد وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يرخص له أن يصلى في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « هل تسمح النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم . . . قال : « فأجب » ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . . . ان الحينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار - أى بعيد الدار - ولى قائد لا يلائمنى فهل لى رخصة أن أصلى في بيتى فقال : « هل تسمح النداء » ؟ قال : نعم . . . قال : « فأجب فانى لا أجد لك رخصة » .

فهذا رجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة في مجيئه الى المسجد وليس له قائد يقوده الى المسجد ومع هذا لم يرخص له النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة في بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له ولهذا لما سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى في جماعة ولا يجمع فقال : ان مات على هذا فهو في النار (١) . وقال أبو هريرة رضى الله عنه : لأن تمثلى أذن ابن آدم رصاصا مذايا خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب (٢) .

وروى (٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التئ صلى » يعنى في بيته .

وأخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوماً وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع : (حى على الصلاة) حى على الفلاح) ثم لم يجب » .

(١) رواه الترمذى موقوفا قاله المنذرى .

(٢) عزاه الشيخ ابن القيم في كتاب الصلاة له الى وكيع عن عبد الرحمن ابن حصين عن أبى نجيح المكي عنه .

(٣) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه قاله المنذرى .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد
قيل : ومن جار المسجد ؟ قال : من سمع الأذان (١) .

وروى (٢) البخارى في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :
من سره أن يلقي الله غدا مسلما - يعنى يوم القيامة - فليحافظ على هؤلاء
الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فان الله شرع لنبىكم سنن الهدى وإنهن من
سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته
لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف
عنها الا منافق معلوم النفاق او مريض ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين
رجلين حتى يقام في الصف او حتى يجيء الى المسجد لأجل صلاة الجماعة .

وكان الربيع (٣) بن خيثم قد سقط شقه في الفالج فكان يخرج الى
الصلاة يتوكأ على رجلين فيقال له : يا أبا محمد . . . قد رخص لك أن تصلى في
بيتك انت معذور فيقول : هو كما تقولون ولكن أسمع المؤذن يقول : « حى على
الصلاة ، حى على الفلاح » فمن استطاع أن يجبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل .

وقال حاتم الأصم : فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو اسحاق البخارى
وحده ولو مات لى ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف انسان لأن مصيبة الدين
عند الناس أهون من مصيبة الدنيا .

وكان بعض السلف يقول : ما فاتت أحدا صلاة الجماعة الا بذنب أصابه
وقال ابن عمر : خرج عمر يوما الى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال
عمر : انا لله وانا اليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة أشهدكم أن
حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه ،
والحائط : البستان فيه النخل .

(فصل) ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد فان النبى
صلى الله عليه وسلم قال : « ان هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافق
- يعنى العشاء والفجر - ولو يعلمون ما فيها من الأجر لآتوها ولو حبوا » (٤) .

(١) رواه أحمد في مسنده عن وكيع عن سفيان عن أبي حيان التميمي
عن أبيه عنه كما في كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم .

(٢) عزاه في الترغيب والترهيب الى صحيح مسلم وأبى داود وكذلك
عزاه المصنف في الصغرى والطبرى نقله عنه الفتح فما هنا من عزوه للبخارى
ستيق قلم أو تحريف من النسخ ، والله أعلم .

(٣) مخضرم قال له ابن مسعود : لو رآك النبى صلى الله عليه وسلم
لأحبك ، توفي سنة ١٠٦٤ هـ خلاصة .

(٤) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة قاله المنذرى .

- ٢٤ -

وقال ابن عمر : كنا اذا تخلف منا انسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق (١) .

(حكاية) عن عبيد الله بن عمر القواريري (٢) رضى الله عنه قال : لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد فرجعت الى بيتي وقلت : قد ورد في الحديث ان صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة ثم نمت فرأيت في المنام كائى مع قوم على خيل وأنا أيضا على فرس ونحن نستبق وأنا أركض فرسى فلا الحقم فالتفت الى احدهم فقال لى : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا قلت : ولم ؟ قال : لانا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحده فانتبعت وأنا مغموم حزين لذلك فنسال الله المونة والتوفيق انه جواد كريم .

* * *

الكبيرة الخامسة : منع الزكاة

قال تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بها آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (٣) وقال تعالى : « وويل للمشركين • الذين لا يؤتون الزكاة » (٤) فسماهم المشركين وقال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشربهم بعدذاب اليم • يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (٥) .

وثبت (٦) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » قيل : يا رسول الله .. فالابل ؟ قال : « ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع (٧) فرقر أو فر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأناورها كلما مر عليها أولها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى

-
- (١) رواه البزار والطبراني وابن خزيمة في صحيحه قاله المنذرى .
 (٢) شيخ البخارى ومسلم وأبى داود مات سنة ٢٣٥ هـ . اه خلاصة .
 (٣) آل عمران : ١٨٠ .
 (٤) فصلت : ٦ ، ٧ .
 (٥) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .
 (٦) رواه البخارى ومسلم بهذا اللفظ والنسائي مختصرا ١٠ هـ منذرى .
 (٧) هو المستوى من الأرض الأملس .

يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار « قيل : يا رسول الله .. فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء (١) ولا جلهاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها (٢) كلها مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلم وخنزيرة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله وفقير فخور » (٣) .

وعن ابن عباس (٤) رضى الله عنهما قال : من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سال الرجعة عند الموت فقال له رجل : اتق الله يا ابن عباس .. فاننا يسأل الرجعة الكفار فقال ابن عباس : سألوا عليك بذلك قرأنا قال الله تعالى : « وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق » (٥) أي أؤدى الزكاة « لوأكن من الصالحين » (٦) أي أحجج قيل له : فبم تجب الزكاة ؟ قال : اذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة قيل : فما يوجب الحج قال : الزاد والراحلة .

ولا تجب الزكاة في الحلى المباح اذا كان معدا للاستعمال فان كان معدا للفتنة أو الكراه وجبت فيه الزكاة .

وتجب في قيمة عروض التجارة وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمته (أي جشديه) فيقول : أنا مالك .. أنا كنزك » ثم تلا هذه الآية : « ولا يحسبن الذين

(١) العقصاء : الملتوية القرن ، والجلهاء : التي لا قرن لها ، والعضباء : المكسورة القرن .

(٢) الأظلاف للبقر والغنم كالحافر للفرس .

(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما وفي حديث أبي هريرة .

منثري .

(٤) عزاه ابن كثير في تفسيره الى الترمذي بسنده الى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رواه مرفوعا ثم قال : وهو عن ابن عباس من قوله أصح قال ابن كثير : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع .

(٥) المنافقون : ١٠ .

(٦) المنافقون : ١٠ .

يُخْلَوْنَ بِهَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١) أخرجه البخارى .
وعن ابن مسعود (٢) رضى الله عنه فى قوله تعالى فى مانعى الزكاة : « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » (٣) .
قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حذته .

فإن قيل : لم خصى الجباه والجنوب والظهور بالكمى ؟ قيل : لأن الفنى البخل إذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه فإذا قرب منه ولى بظهوره فعوقب بكى هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .
قال صلى الله عليه وسلم (٤) : « خمس بخمس » قالوا : يا رسول الله . .
وما خمس بخمس ؟ قال : « ما نقض قوم العهد الا سلبت عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت (٥) ولا طفقوا الكيال والميزان الا منعوا الثبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » .

(موعظة) قل للذين شغلهم فى الدنيا غرورهم - انما فى غد ثبورهم -
ما نفهم ما جمعوا - اذ جاء محذورهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - اخذ المال الى دار ضرب العقاب فجعل فى بوتقة (٦) ليحمى ليقوى العذاب فصنع صفائح كى يعم الكنى الاصاب ثم جىء بمن عن الهدى قد غاب - يسعى الى مكان لا مع قوم يسعى نورهم - ثم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - اذا لقيهم الفقير لقي الاذى - فان طلب منهم شيئاً طار (٧) منهم لهب الغضب كالجدأ (٨) - فان لطفوا به قالوا : اغنتكم

(١) ال عمران : ١٨٠ .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد صحيح اهـ منذرى .

(٣) التوبة : ٣٥ .

(٤) ذكر بنحو هذا اللفظ المنذرى وقال : رواه الطبرانى من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد اهـ .

(٥) وفى نسخة : الجنون .

(٦) البوتقة او البوتقة هو ما يصهر فيه الفلزات كالحديد والذهب والفضة .

(٧) وفى نسخة : نار .

(٨) الجدوة : الجرة الملتصبة بضم الجيم وتفتح جمعها جدى مثل مدى

وقرى وتكسر أيضاً فتكسر فى الجمع مثل جدية وجدى اهـ مصباح .

ذا - وسؤال هذا لذا (١) - ولو شاء ربك لاغنى المحتاج واعوز ذا - ونسوا
حكمة الخالق في غنى ذا وفقر ذا - واعجبا كم يلقاتهم من غم اذا ضمتهم
قبورهم - يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
سياخذها الوارث منهم من غير تعب - ويسئل عنها الجامع من أين اكتسب
ما اكتسب ألا ان الشوك له والوارث الرطب - أين حرص الجامعين أين عقولهم
يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم -
لو رأيتهم في طبقات النار - يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار - وقد غلت
اليمين مع اليسار لما (٢) بخلوا مع اليسار - لو رأيتهم في الجحيم يسقون
من الحميم - وقد ضج صبورهم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم - كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع -
كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفرع - كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم
من يدافع - فكأنهم بالأموال وقد انقلبت شجاعا أقرع - فما هي عصا موسى
ولا طورهم - يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم *

(حكاية) روى عن محمد بن يوسف (٣) الفريابي قال : خرجت أنا وجماعة
من أصحابي (٤) في زيارة سنان رحمه الله فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده
قال : قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه فقمنا معه ودخلنا على ذلك
الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجلسنا نسليه ونعزيه وهو
لا يقبل تسلياً ولا تعزية فقلنا : أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال : بلى ولكن
أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب ، فقلنا له : هل أطلعك الله على
الغيب ؟ قال : لا . ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس
جلست عند قبره اذ صوت من قبره يقول : آه . أقعدوني وحيدا أقاسى العذاب
قد كنت أصلي قد كنت أصوم قال : فأبكاني كلمة فنبشت عنه التراب لأنظر
حال له وإذا القبر يشتعل عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الأخوة
ومدحت يدي لأرفع الطوق عن رقبتة فأخترقت أصابعي ويدي ثم أخرج النبا
يده فإذا هي سوداء محترقة قال : فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي

(١) وفي نسخة : لهذا . (٢) وفي نسخة : مما .

(٣) هو صاحب الثوري وأحمد وأسحاق والبخاري ولد سنة ١٢٠ هـ
وتوفي سنة ٢١٢ هـ .

(٤) مما يدل على التخليط والاختلاف في هذه الحكاية ما ذكر في آخرها
أنهم أتوا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا له القصة
وقد توفي أبو ذر قبل ولادة محمد بن يوسف الفريابي بأكثر من ثمانين سنة
فكيف يلتقيان .

على حاله واحزن عليه ؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال : كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال : فقلنا : هذا تصديق قوله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » (١) وأخوك عجل له العذاب في قبره الى يوم القيامة قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفكرنا له قصة الرجل وقلنا له : يموت اليهودى والنصرانى ولا نرى فيهم تلك فقال : أولئك لا شك أنهم في النار وانما يريدكم الله في اهل الايمان لتتبروا قال الله تعالى : « فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها ، وما انا عليكم بحفيظ » (٢) فنسأل الله العفو والعافية انه جواد كريم .

الكبيرة السادسة : أفتار يوم من رمضان بلا عذر

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معيودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » (٣) .

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » .

وقال صلى الله عليه وسلم (٤) : « من أفطر يوما من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وإن صامه » وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « غرئ الاسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا اله الا الله والصلاة وصوم رمضان » فمن ترك واحدة منهن فهو كافر . نعوذ بالله من ذلك .

الكبيرة السابعة : في ترك الحج مع القدرة عليه

قال الله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سعيلا » (٥) .

(٢) الأنعام : ١٠٤ .

(١) آل عمران : ١٨٠ .

(٣) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه كلهم من رواية ابن المطوس وقيل : أبى المطوس عن أبيه عن أبى هريرة وذكره البخارى تعليقا غير مجزوم ويذكره عن أبى هريرة رقة . . الخ قال البخارى : لا أدري سمع أبوه من أبى هريرة أم لا وقال ابن حبان : لا يحتج بما انفرد به والله أعلم بمنذرى وقال المصنف في الصغرى : هذا لم يثبت .

(٥) آل عمران : ٩٧ .

ومال النبي صلى الله عليه وسلم (١) : « من ملك زادا وراحله يبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » وذلك لأن (١٢) الله تعالى يقول : « والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » • وقال عمر بن الخطاب (٣) رضى الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجلا الى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليه الجزية وما هم بمسلمين •

وعن ابن عباس (٤) رضى الله عنهما قال : ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله الا سأل الرجعة عند الموت ف قيل له : انما يسأل الرجعة الكفار قال : وان ذلك في كتاب الله تعالى : « وانفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق » (٥) أى أؤدى الزكاة « وأكن من الصالحين » (٦) أى احج « ولئن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون » (٧) قيل : فيم تجب الزكاة قال : بمائتي درهم وقيمتها من الذهب قيل : فما يوجب الحج؟ قال : الزاد والراحلة • وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه قال : مات لى جار موسر لم يحج فلم أصل عليه •

الكبيرة الثامنة : عقوق الموالدين

قال الله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا » (٨) أى برا بهما وشفقة وعظما عليهما « اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » (٩) أى لا تقل لهما بتبرم اذا كبرا واسنا وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم وكيف يقع التساوى وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك وأنت ان حملت اذاهما رجوت موتهما ثم قال تعالى : « وقل لهما قولا كريما » (١٠) أى لينا لطيفا « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » (١١) وقال تعالى : « أن أشكر لى ولوالديك الى المصير » (١٢) •

(١) رواه الترمذى والبيهقى من رواية الحارث - أى الأعور - عن على قال الترمذى : غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقى من حديث أبى امامة اه منخرى •

(٢) وفي نسخة : بأن ، وفي نسخة : أن •

(٣) رواه سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى قال : قال عمر فذكره قاله ابن كثير فى تفسيره •

(٤) المتفقون : ١٠ •

(٥) تقدم فى منع الزكاة •

(٦) المتفقون : ١١ •

(٧) الاسراء : ٢٣ •

(٨) الاسراء : ٢٤ •

(٩) لقمان : ١٤ •

(٣ - الكباثر)

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره قال ابن عباس رضي الله عنها : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها : (احداها) قوله تعالى : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول » (١) فمن اطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه .

(الثانية) قوله تعالى : « واقموا الصلاة وآتوا الزكاة » (٢) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

(الثالثة) قوله تعالى : « أن أشكر لي ولوالديك » (٣) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين » (٤) .

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : جاء رجل يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أحي والدك » ؟ قال : نعم . قال : « ففيهما فجاهد » (مخرج (٥) في الصحيحين) فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد .

وفي الصحيحين (٦) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراف بالله وعقوق الوالدين » (٧) فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والاحسان بالإشراف بالله وفي الصحيحين أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن حمر » وعنه صلى الله عليه وسلم قال (٨) : « لو علم الله شيئا أدنى من الآف لنهي عنه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله العاق لوالديه » وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أمه » (٩)

(١) النساء : ٥٩ ، النور : ٥٤ .

(٢) النور : ٥٦ . (٣) لقمان : ١٤ .

(٤) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو ورجح وقفه عليه وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم وله شاهد عن أبي هريرة عند الطبراني بلفظ : طاعة الله . الخ اهـ منخري .

(٥) وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص اهـ منخري .

(٦) وكذا رواه الترمذي ثلاثتهم من حديث أبي بكره اهـ منخري .

(٧) تمامه : وكان متكئا فجلس فقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .

(٨) رواه الديلمي من حديث أحرم بن حوشب بسنده إلى الحسين بن علي وأحرم كذاب قاله في ذيل اللالي للسيوطي .

(٩) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس اهـ منخري .

وقال صلى الله عليه وسلم (١) : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم
القيامة الا عقوق الوالدين فانه يعجل لصاحبه » يعنى العقوبة فى الدنيا قبل
يوم القيامة .

وقال كعب الاحبار رحمه الله : ان الله ليعجل هلاك العبد اذا كان عاقا
لولديه ايعجل له العذاب وان الله ليزيد فى عمر العبد اذا كان بارا بوالديه ليزيده
برا وخيرا ومن برهما أن يفتق عليهما اذا احتاجا (٢) ففد جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله . . ان أبى يريد أن يجتاح مالى
فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت ومالك لأبيك » وسئل كعب الاحبار عن
عقوق الوالدين ما هو ؟ قال : هو اذا اتسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما
وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما وإذا سألاه شيئا لم يعطهما وإذا ائتمناه خانتهما .

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما (٣) عن أصحاب الأعراف من هم
وما الأعراف ؟ فقال : أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار وانما سمي الأعراف
لانه مشرف على الجنة والنار وعليه أسجار وتमार وأنهار وعيون وأما الرجال
الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا الى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم
فقتلوا فى الجهاد فمنعهم القتل فى سبيل الله عن دخول النار ومنعهم عقوق
الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره .

وفى الصحيحين (٤) ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : يا رسول الله . . من أحق الناس منى بحسن الصحبة ؟ قال : « أمك » .
قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال ثم من ؟ قال : « أمك » . قال ثم من ؟
قال : « أبوك » ، ثم الاقرب فالأقرب » فحضر على بر الأم ثلاث مرات وعلى بر
الأب مرة واحدة وما ذاك الا لأن عناية أكثر وشفقتها أعظم مع ما تقاسيه
من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل .

(١) رواه الحاكم من حديث أبى بكرة وقال : صحيح الاسناد اه منقضى .
(٢) رواه ابن ماجه من حديث يوسف بن اسحاق عن محمد بن المنكر عن
جابر أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وكذا أخرجه من هذا
الوجه الطحاوى وبقي بن مخلد والطبرانى فى الأوسط وله طرق أخرى عدها
السخاوى فى المقاصد الحسنة .

(٣) رواه سعيد بن منصور عن أبى معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى
ابن عبد الرحمن المدني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا رواه
ابن مردويه وابن جرير وابن أبى حاتم من طرق عن أبى معشر به وروى مرفوعا
عند ابن ماجه فى حديث ابن عباس وجابر وتوقف ابن كثير فى صحة المرفوع
وقال : وقصارها أن تكون موقوفة اه .

(٤) وفى نسخة : وفى الصحيح .

- ٣٢ -

رأى ابن عمر رضى الله عنهما رجلا قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة فقال : يا ابن عمر .. أترانى جازيتها قال : ولا بطلقة واحدة من طلاقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيرا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة نفر حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر وأكل الربا وأكل مال اليتيم ظلما والعاق لوالديه إلا أن يتوبوا » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) : « الجنة تحت أقدام الأمهات » وجاء رجل (٣) الى أبى الدرداء رضى الله عنه فقال : يا أبا الدرداء .. انى تزوجت امرأة وإن أمى تأمرنى بطلاقها فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فان سئت فأضح ذلك الباب أو احفظه » وقال (٤) صلى الله عليه وسلم : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ودعوة المسامر ودعوة الوالد على ولده » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) : « الخالة بمنزلة الأم » أى فى البر والاكرام والصلة والاحسان وعن وهب بن منبه قال : ان الله تعالى أوحى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه : « يا موسى .. وقر والدك فان من قر والداه مدحت فى عمره ووهبت له ولدا يوقرهما ومن عق والداه قصرت فى عمره ووهبت له ولدا يعقه » .

وقال أبو بكر بن أبى مریم : قرأت فى التوراة أن من يضرب أباه يقتل وقال وهب : قرأت فى التوراة : على من صك والده الرجم .

وعن عمرو بن مرة الجهنى (٦) قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله .. أرايت اذا صليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وأديت الزكاة وحججت البيت فماذا لى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد (قال الخافض) - المنذرى - فيه إبراهيم بن خيثم بن عراك وهو متروك اهـ ترهيب .

(٢) روى نحوه ابن ماجه والنسائى والحاكم من حديث جاهدة بلفظ : «هل لك أم» قال : نعم .. قال : «فألزمها فان الجنة تحت رجليها» اهـ منذرى . (٣) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : صحيح وابن حبان نحوه وله شاهد عن ابن عمر رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان وقال : الترمذى حسن صحيح اهـ منذرى .

(٤) قال المنذرى : وفى رواية : حسنه الترمذى فذكره كما هنا عن أبى هريرة ثم قال وروى أبو داود هذه بتقديم وتأخير وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند الطبرانى باسناد صحيح اهـ ترغيب ملخصا .

(٥) صححه الترمذى قاله المصنف فى رسالته الصغرى .

(٦) رواه أحمد والطبرانى باسنادين أحدهما صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما باختصار اهـ منه ..

« من فعل ذلك كان مع الفبيين والصحيقين والتشهداء والصالحين الا أن يعق والديه » وغال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله العاق والديه » (١) وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ليلة أسرى بى أقواما فى النار معلنين فى جنوع من نار فقلت : يا جبريل ٠٠ من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا » ٠

وروى انه من شتم والديه ينزل عليه فى قبره جمر من نار بعدد كل قطرة ينزل من السماء الى الأرض ٠ وبروى أنه اذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه واشد الناس عذابا يوم القيامة نلثة : المشرك والزانى والعاق لوالديه ٠

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها الا كان أفضل من الذى يضرب بسيفه فى سبيل الله والنظر اليها أفضل من كل شئ وجاء رجل وامراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان فى صلبى لهما ، فقال الرجل : يا رسول الله ٠ ولدى حرج من صلبى ، وقالت المرأة : يا رسول الله ٠ حملته خفا ووضعته شهوة وحملته كرها ووضعته كرها وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه (٢) ٠

(موعظة) أيها المضيع لاكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين العتوق ، الناسى لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باقبح الشين ، تططب الجنة بزعمك ، وهى تحت اقدام أمك ، حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج ٠ وكأبحت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبنا ، وإطارت لأجلك وسنا ، وعسلت بيمينها عنك الأذى ، وأثرتك على نفسها بالفا وصيرت حجرها لك مهذا ، وأنا لك احسانا ورفدا ، فان أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوى النهاية ، وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها هذا وكلم عاملتها بسوء الخلق مرارا ، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا فلما احتاجت عند الكبر اليك : جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فسبعت وهى جائعة ورويت وهى قانعة ٠ وقدمت عليها اهلك وأولادك بالاحسان ٠ وقابلت أيادها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير وطال عليك عمرها وهو قصير وهجرتها وما لها سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التافيف وعاتبك فى حقها بعقاب لطيف ستعاقب فى دنياك بعقوب

(١) قال المصنف فى الصغرى : اسناده حسن ٠

(٢) روى أحمد وأبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن جده نحو

هذا الحديث ٠

البنين ، وفي اخراكم بالبعد من رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد : « ذلك بما قدمت يدك وأن الله ليس بظالم للعبيد » (١) .

لامك حق لو علمت كثير	كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكى	لها من جواها أنسة وزفير
وفي الوضع لو تدرى عليها مشقة	ومن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها	وما حجرها الا ليدك سرير
وتفديك مما تشتكى بنفسها	ومن بديها سرب ليدك نصير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها	حنانا وأنسفاقا وأنت صغير
فأما لذي عقل ويتبع الهوى	وأما لأعمى القلب وهو بصير
قدوثك فارغب في عميم دعائها	فأنت لما تدعو اليه فقير

حكى (٢) أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم شاب يسمى علقمة . وكان كبير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصقة فمرض واشتد . مرضه فأرسلت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان زوجي علقمة . في النزع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عمارا وصهيبا وبلالا وقال : « امضوا اليه ولقنوه الشهادة » فمضوا اليه . ودخلوا عليه فوجوه في النزع فجعلوا يلقنونه (لا اله الا الله) ولسانه لا ينطق . بها فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هل من أبويه أحد حي » ؟ قيل : يا رسول الله ٠٠ أم كبيرة السن فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الرسول : « قل لها ان قدرت على المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم والا فقرى في المنزل حتى يأتيك » قال : فجاء اليها الرسول فأخبرها . بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : نفسى فداء أنا أحق باتيانته فتوكلت وفامت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : يا أم علقمة ٠٠ أصدقيني وان كذبتني جاء الوحي من الله تعالى ، كيف كان حال ولدك علقمة قالت : يا رسول الله كان كثير الصمت كثير

(١) الحج : ١٠ .

(٢) في الترغيب والترهيب : روى عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه - فذكر قصة نحوه هذه القصة التي هنا ثم قال : رواه الطبراني وأحمد مختصرا ه وذكرها ابن الجوزي في الموضوعات بدون تسمية الشاب ثم قال : لا يصح فائد - أى . ابن عبد الرحمن العطار - متروك قال العقيلي : لا يتابع عليه وداود - يعنى . ابن ابراهيم قاضى قزوين - كذاب ه ونازعه السيوطى بأن داود لم ينفرد به . ثم ساقه الى الخرائطى فى مساوىء الأخلاق والبيهقى فى شعب الايمان . والطبراني كلها من طريق فائد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي أوفى نحوه ه

الصيام كثير الصدقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما حالك ؟
 قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة قال : ولم ؟ قالت : يا رسول الله
 كان يؤنر على زوجته ويعصيني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ان سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قال : يا بلال انطلق
 واجمع لى حطباً كثيراً قالت : يا رسول الله وما تصنع ؟ قال : احرقه بالنار
 بين يديك قالت : يا رسول الله ولدى لا يحتمل قلبى ان تحرقه بالنار بين يدي
 قال : يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى فان سرك ان يغفر الله له فارضى عنه
 موالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصالحته ما دمت
 عليه ساخطة فقالت : يا رسول الله انى أسعد الله تعالى وملائكته ومن
 حضرني من المسلمين أنى قد رضى عن ولدى علقمة فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم : انطلق يا بلال اليه وانذر هل يستطيع أن يقول : (لا اله الا الله)
 ام لا فدخل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء منى فانطلق بلال فسمع
 علقمة من داخل الدار يقول : (لا اله الا الله) فدخل بلال فقال : يا هؤلاء ان
 سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان رضاها أطلق لسانه ثم مات
 علقمة من يومه فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه
 بم صلى الله عليه وحضر دفنه ثم قام على تسيير قبره وقال : « يا معشر المهاجرين
 والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
 لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا الا أن يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليها
 ويطلب رضاها فرضا الله في رضاها وسخط الله في سخطها » فنسال الله أن
 يوفقنا لرضاه وأن يجنبنا سخطه انه جواد كريم رؤوف رحيم .



الكبيرة التاسعة : هجر الأتارب

قال الله تعالى : « واتقوا الله الذى تساعون به والأرحام » (١) أى
 واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقال تعالى : « فهل عسيتم ان توليتم ان
 تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم » أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى
 أبصارهم (٢) وقال تعالى : « الذين يوفون بعهده الله ولا ينقضون الميثاق »
 والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء
 الحساب (٣) وقال الله تعالى : « يضل به » (٤) أى بالقرآن « كثيرا ويهدى
 به كثيرا » وما يضل به الا الفاسقين ، الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
 ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم
 الخاسرون (٥) أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبد .

(٢) محمد : ٢٢ ، ٢٣

(٤) البقرة : ٢٦ ، ٢٧

(١) النساء : ١

(٣) الرعد : ٢٠ ، ٢١

وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » فمن قطع اقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره واحسانه وكان عنيا وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد محروم عن دخول الجنة الا ان يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليهم وقد ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال . « من كان له اقارب ضعفاء ولم يحسن اليهم ويصرف صدقته الى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر اليه يوم القيامة » (١) وان كان فميرا وصلهم بزيارتهم والتفقد لآحوالهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « صلوا ارحامكم ولو بالسلاسل » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » (٢) وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى من اذا قطعت رحمه وصلها » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : انا الرحمن . . وهى الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها بقته » (٣) وعن على بن الحسين رضى الله عنهما انه قال لولده : يا بنى . . لا تصحب قاطع رحم فانى وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه (٤) انه جلس يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أخرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا فلم يقم أحد الا شاب من أقصى الحلقة فذهب الى عمته لانه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها فقالت له عمته : ما جاء بك يا ابن أخى ؟ فقال : انى جلست الى أبى هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال : أخرج على كل قاطع رحم الا قام من عندنا ، فقالت عمته : ارجع الى أبى هريرة واسأله لم ذلك ؟ فرجع اليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ فقال أبو هريرة : انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » . وحكى أن رجلا من الأغنياء حج الى بيت الله الحرام فلما وصل الى مكة أودع من ماله ألف دينار عند رجل كان موسوما بالأمانة والصلاح الى .

(١) رواه الطبرانى ورواته ثقات من حديث أبى هريرة وفي سنده عبد الله بن عامر الأسلمى قال أبو حاتم : ليس بالمتروك هـ منذرى .

(٢) رواه البخارى واللفظه ، والترمذى هـ منذرى .

(٣) رواه أبو داود والترمذى من رواية أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه وقال الترمذى حسن صحيح وتعقب المنذرى تصحيحه بأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه شيئا .

(٤) عزاه في الترغيب والترهيب الى الأصبهانى من رواية عبد الله ابن أبى أوفى وأشار الى ضعفه وعزاه فى الجامع الصغير الى الأدب المفرد للبخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى ، وضعفه .

ان يقف بعرفات فلما وقف بعرفات ورجع الى مكة وجد الرجل قد مات فسال اهله عن ماله فلم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له : اذا كان نصف الليل فأت زمزم (١) وانظر فيها وناد : يا فلان .. باسمه فان كان من أهل اجنة فسيجيئك بأول مرة فمضى الرجل ونادى في زمزم فلم يجبه أحد فجاء اليوم واخبرهم فقالوا : « انا لله وانا اليه راجعون » (٢) نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب الى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال انه على نم جهنم فانظر فيه بالليل وناد : يا فلان .. فان كان من أهل النار فسيجيئك منها فمضى الى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها فاتاها بالليل ونظر فيها ونادى : يا فلان .. فأجابه فقال : اين ذهبي قال : دفنته في الموضع الفلاني من دارى ولم أئتمن عليه ولدى فأتهم واحفر هناك تجده فقال له : ما الذى أنزلك هنا وكنا نظن بك الخير فقال : كان لى لخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله سبحانه وتعالى وأنزلنى الله هذه المنزلة .

وتصديق ذلك في الحديث الصحيح قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع » .
يعنى قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأتارب .
فأسال الله التوفيق لطاعته انه جواد كريم .

الكبيرة العاشرة : الزنا

وبعضه اكبر من بعض قال الله تعالى : « ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا » (٣) وقال تعالى : « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب (٤) » .
وقال تعالى : « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٥) .

(١) قال الامام ابن القيم في كتابه الروح : واما من قال : ان ارواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بها ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح فان تلك البئر لا تسع ارواح المؤمنين جميعهم وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من أن نسمة المؤمنين طائر يطق في ثمر الجنة وبالجمله فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها أهـ .
وناقش ما قيل أن ارواح المؤمنين بالجانية وارواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت - مناقشة طويلة قال في آخرها : ولعله مما تلقاه - يعنى قائله -
عن أهل الكتاب أهـ فراجع في مسألة الأرواح من كتابه المذكور .

(٢) البقرة : ١٥٦ .

(٣) الاسراء : ٣٢ .

(٤) النور : ٢٠ .

(٥) الفرقان : ٦٨ - ٧٠ .

قال العلماء : هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا اذا كانا عزيزين غير متزوجين فان كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر فانهما يرجمان بالحجارة الى أن يموتا كذلك نبت في السسة عن النبي ﷺ فان لم يسنوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فانهما يعديان في النار بسياط من نار .

كما ورد أن في الزبور مكتوبا ان الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد فاذا استغاث من الضرب ناحته الزبانية : أين كان هذا الصوت وأنت نصحك وتفرح وتفرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه .

وتبت عن رسول الله ﷺ انه قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يفتنّب نهية ذات شرف يرفع الناس اليه ابصارهم حين ينتهبا وهو مؤمن » (١) وقال ﷺ (٢) : « اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان كالظلة على رأسه ثم اذا اقلع رجع اليه الايمان » .

وقال ﷺ : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه » (٣) وفي الحديث النبوى قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكّيهم ولهم عذاب اليم : شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » (٤) وفي رواية زيادة (والديوث) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله . . أى الذنب أعظم عند الله تعالى : قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » فقلت : ان ذلك لمعظم . ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشيّة أن يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزنى بحليلة جارك » (٥) - يعنى زوجة جارك - فانزل الله عز وجل تصديق ذلك « والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق اثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب » (٦) . فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله عز وجل الا بالحق وهذا الحديث مخرج في الصحيحين .

-
- (١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة .
 - (٢) رواه أبو داود والترمذى والبيهقى من حديث أبى هريرة قاله المنذرى وقال المصنف في صفراء : هذا على شرط البخارى ومسلم .
 - (٣) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة . أناده المنذرى .
 - (٤) رواه مسلم والنسائى من حديث أبى هريرة .
 - (٥) تقدم تنزيهه في الكبيوة الأولى (الشرك) .
 - (٦) الله تعالى : ٦٨ - ٧٠ .

وفي صحيح البخارى في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سهره بن جندب
روفيه انه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال : فانطلقنا فأتينا علي مثل النمنوم
اعلاه ضيق واسمعه واسع ديه لغط واصوات قال : فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال
يونساء عراء فاذا هم ياتينهم لهب من أسفل منهم فاذا اناهم ذلك اللهيب
ضروصوا - اى صاحوا من شدة حره - فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال :
هؤلاء الزناه والزواى - يعنى من الرجال والنساء - فهذا عذابهم الى يوم
القيامة (١) . بسأل الله العفو والعافيه .

وعن عطاء (٢) في تفسير قوله تعالى عن جهنم : « لها سبعة أبواب » (٣)
قال : أسد تلك الابواب غما وحرا وكربا وانتنها ريحا للزناة الذين ركبوا
الزنا بعد العلم . وعن مكحول (٤) الدمسقى قال : يجد أهل النار رائحة منقنة
فيقولون : ما وجدنا أنفن من هذه الرائحة فيقال لهم : هذه فروج الزناة .
ومال ابن زيد (٥) احد أئمة التفسير : انه ليؤذى أهل النار ريح فروج
الزناه وفي العشر الآيات التي كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا
تزنى فاحجب عنك وجهي فاذا كان هذا شأن الخطاب لنبيه موسى عليه السلام
فكيف بغيره .

وجاء عن النبي ﷺ أن ابليس بيث جنوده في الأرض ويقول لهم : ايكم
أفضل مسلما اليسته التاج على رأسه فأخضعهم فتنة اقربهم اليه منزلة فيجىء
اليه ائدهم فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته فيقول : ما صنعت
شيئا سوف يتزوج غيرها ، ثم يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى ألقيت
بينه وبين أخيه العداوة فيقول : ما صنعت شيئا سوف يصلحه ، ثم
يجىء الآخر فيقول : لم أزل بفلان حتى زنى فيقول ابليس : نعم ما فعلت
فيعتبه منه ويضع التاج على رأسه ، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .
وعن انس (٦) قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الايمان سريال يسرله الله

(١) رواه البخارى في حديث طويل .

(٢) عطاء اما ابن ابي رباح البهاني نزدي مكة أحد فقهاء التابعين
واثمةهم المتوفى في سنة ١١٤هـ واما ابن يسار ائنى أحد الاعلام من فقهاء
التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣ .

(٣) الحجر : ٤٤ .

(٤) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الأوزاعي وغيره مات
سنة ١١٣هـ .

(٥) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، جده أسلم وعبد الرحمن ضعيفا
في الحديث من قبل حفظه توفي سنة ١٨٢هـ .

(٦) رواه البيهقي في حديث أبي هريرة قاله المنخري ونحوه عند
أبي داود ، والترمذي والحاكم اه ترغيب وترهيب .

مَنْ يَشَاءُ فَإِذَا زَنَا الْعَبْدُ نَزَعَ اللَّهُ مِنْهُ سِرْبَالَ الْإِيمَانِ فَإِنْ تَابَ رُدَّهُ عَلَيْهِ « ،
وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ .. اتَّقُوا الزَّنا فَإِنَّ فِيهِ
سِتَ خِصَالٍ ثَلَاثٌ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثٌ فِي الْآخِرَةِ فَأَمَّا النَّبِيُّ فِي الدُّنْيَا فَمُذْهَبُ بَهَاءِ
الْوَجْهِ وَقَصْرُ الْعَمْرِ وَدَوَامُ الْفَقْرِ . وَأَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ فَسُخْطُ اللَّهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى وَسُوءُ الْحِسَابِ وَالْعَذَابُ بِالنَّارِ » (١) . وَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ
مَاتَ مِصْرًا عَلَى سُرْبِ الْخَمْرِ سَفَاهَ اللَّهُ نَعَالِي مِنْ نَهْرِ الْخُوطَةِ وَهُوَ نَهْرٌ يَجْرِي فِي
النَّارِ مِنْ زُرُوجِ الْمَوْسِمَاتِ » (٢) . يَعْنِي الزَّانِيَاتُ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِهِنَّ قَيْحٌ وَصَدِيدٌ
فِي النَّارِ تَمَّ يُسَمَّى ذَلِكَ إِنْ مَاتَ مِصْرًا عَلَى سُرْبِ الْكُمْرِ .

وَمَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا مِنْ ذَنْبٍ بَعْدَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ أَكْثَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ فِي زُرْجٍ لَا يَحِلُّ لَهُ » (٣) وَقَالَ أَيْضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :
« فِي جَهَنَّمَ وَادٌ فِيهِ حَيَاتٌ كُلُّ حَيَةٍ تُخَنُّ رَقَبَتَهُ الْبَعِيرُ تَلْسَعُ تَارَكَ الصَّلَاةَ
فَيُغْلَى سِمَاهُ فِي جِسْمِهِ سَبْعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَتَهَرَّى لَحْمُهُ وَأَنْ فِي جَهَنَّمَ وَادِيَا اسْمُهُمَا
جَبُّ الْحَزْنِ فِيهِ حَيَابٌ وَعُقَارِبُ كُلِّ عَقْرَبٍ يَقْدِرُ الْبُخْلُ لَهَا سَبْعُونَ سَوْكَةً فِي
كُلِّ سَوْكَةٍ رَاوِيَةٌ سَمٌّ ثُمَّ تَضْرِبُ الزَّانِي وَتَفْرُغُ سِمَاهُ فِي جِسْمِهِ يَجِدُ مَرَارَةً
وَجَعَلَهَا أَلْفَ سَنَةٍ ثُمَّ يَتَهَرَّى لَحْمُهُ وَيَسِيلُ مِنْ فَرْجِهِ الْقَيْحُ وَالْصَّدِيدُ » .

وَوُرِدَ أَيْضًا أَنَّ مَنْ زَنَى بِامْرَأَةٍ كَانَتْ مَتَزَوِّجَةً كَانَ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ فِي الْقَبْرِ
نِصْفُ عَذَابِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَحْكُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى زَوْجُهُا
فِي حَسَنَاتِهِ هَذَا إِنْ كَانَ بَغِيرَ عِلْمِهِ فَإِنْ عِلْمٌ وَهَسَكَتْ حَرَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ لِأَنَّ
اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ : أَنْتَ حَرَامٌ عَلَى الدِّيَوْتِ . وَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ
بِالْفَاحِشَةِ فِي أَهْلِهِ وَيَسْكَتُ وَلَا يَغَارُ .

وَوُرِدَ أَيْضًا أَنَّ مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ بِنِسْوَةٍ جَاءَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ مِمَّنْ قَبْلُهَا قَرَضَتْ شَفَقَتَهُ فِي النَّارِ فَإِنَّ زَنَى بِهَا
نَطَقَتْ فَخْذَهُ وَسَهَّدَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَالَتْ : أَنَا لِلْحَرَامِ رَكِبْتُ فَيَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْهِ بَعِينَ الْغَضَبِ فَيَقْعُ لَحْمُ وَجْهِهِ فَيَكَابِرُ وَيَقُولُ : مَا فَعَلْتُ .. فَيُشْهِدُ عَلَيْهِ
لِسَانُهُ فَيَقُولُ : أَنَا بِهَا لَا يَحِلُّ نَطَقْتُ وَتَقُولُ يَدَاهُ : أَنَا لِلْحَرَامِ تَنَاوَلْتُ وَتَقُولُ .

(١) رَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي مَوْضُوعَاتِهِ عَنْ أَبِي نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ مِنْ حَدِيثِ
مُسْلِمَةَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُوفِيِّ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقٍ عَنْ حَنْبَلَةَ
بِهِ وَمُسْلِمَةَ مَتْرُوكٍ وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُوفِيُّ مَجْهُولٌ وَكَذَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي
الشَّعْبِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَلَهُ طَرُقٌ أُخْرَى سَاقِطَةٌ عَنْ أَنَسٍ وَعَلَى ١ هـ مِنَ اللَّائِلَةِ
الْمَصْنُوعَةِ .

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَطْيَى وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحْبِهِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ
وَنَحْوُهُ أَهْلُ تَرْغِيبٍ .

(٣) رَوَى أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهْيَعَةَ عَنْ دِرَاجٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الزَّبِيدِيِّ نَحْوًا مِمَّا هُنَا كَمَا فِي التَّرْغِيبِ لِلْمَنْفَرِيِّ .

- ٤٤ -

عيناه : أنا للحرام نظرت وتقول رجلاه : أنا لما لا يحل مسيت ويقول فرجه : أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ويقول الآخر : وأنا كذبت ويقول الله تعالى . وأنا اطلعت وسترت ثم يقول الله : يا ملائكتي .. خذوه ومن عذابي انفيوه فقد استند غضبي على من قل حياؤه مني ونصديق ذلك في كتاب الله عز وجل :

« يَوْمَ نَسُودُ عَنْهُمْ أَلْسِنَتَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١) .
وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحرم ومد صحيح (٢)
الحارث بن جزء الزبيدي حديدا نحوا مما هنا كما في الترغيب للمنفري .
وعن البراء أن خاله بعته رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بامرأة أبيه
أن يقتله ويخمس ماله فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا أنه
جواد كريم .

* * *

الكبيرة الحادية عشرة : اللواط

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع من ذلك قوله تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل » (٣) أي من طين طبخ حتى صار كالآجر « ومنصور » (٤) أي يتلو بعضه بعضا « مسومة » (٥) أي معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا « عند ربك » (٦) أي في خزائنه التي لا ينصرف في شيء منها إلا بأمره « وما هي من الظالمين بعباد » (٧) ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب .
ولهذا قال النبي ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط » (٨)
ولعن من فعل فعلهم نلانا فقال : « لعن الله من عمل قوم لوط لعن الله من عدل عمل قوم لوط لعن الله من عمل قوم لوط » وقال عليه الصلاة والسلام : « من وجتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (٩) قال ابن عباس رضي الله عنهما : ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط .

(١) النور : ٢٤ .

(٢) قال المصنف في الصغرى : والعهد عليه - أي على الحاكم - في هذا التصحيح .

(٣) هود : ٨٣ .

(٤) هود : ٨٢ .

(٥) رواه ابن ماجه والترمذي وقال : حسن غريب والحاكم وقال : صحيح الإسناد اهـ منفري .

(٦) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، كلهم من رواية عمرو ابن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن معين ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعني هذا . اهـ منفري في ترويه .

واجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى :
« أتأتون الذكران من العالمين • ونشرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » (١) أى مجاوزون من الحلال إلى الحرام •

وقال تعالى في آية أخرى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام : « ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث ، انهم كانوا قوم سوء فاسقين » (٢)
وكان اسم قريتهم سدوم وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين في أدبارهم ويتصارطون في أندبتهم مع أشياء آخر كانوا يعملونها من المنكرات •

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط : تصفيف الشعر وحل الأزرار ورمى البنديق والحذف بالحصى واللعب بالحمام الطيارة والصغير بالأصابع وفرقة الأكعب واسبال الأزار وحل أزر (٣) الأقبية وامان شرب الخمر واتيان الذكور وستزيد عليها هذه الأمة مسابقة النساء النساء •

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « سحاق النساء بينهن زنا » (٤) وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسسون في سخط الله تعالى » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » والذي يأتى البهيمية والذي يأتى الذكر - يعنى اللواط - (٥) وروى أنه اذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفا من غضب الله تعالى وتكاد السموات أن تفع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرا : « قل هو الله أحد » (٦) الى آخرها حتى يسكن غضب الله عز وجل (٧) •

(١) الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦ • (٢) الأنبياء : ٧٤ •

(٣) بضم الهزة وسكون الزاى كذا ضبطه في المنجد وقال : هو معقد الأزار هو المراد هنا - والله أعلم - محل معقد الأزار من الأقبية •

(٤) رواه الطبراني في الكبير عن واثلة قاله في الجامع الصغير واسناده لين قاله المصنف في صفراء •

(٥) رواه الطبراني والبيهقي من طريق محمد بن سلام الخزاعي ولا يعرف عن أبيه عن أبي هريرة قال البخاري : لا يتابع على حديثه اهـ نخرى •

(٦) ذكر السيوطي حديثا نحو هذا الحديث رآه علي بن زهير نسخة ابن أبي شيبة بخط مغربي لم يعرف كاتبه فذكر سندنا الى انس قال : وكتب غيره عليه : هذا اسنادواه لبن موضوع اهـ ذيل اللآلى •

(٧) سورة الاخلاص : ١ •

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ويتول : ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به - يعني اللواط - وناكح البهيمة وناكح الأم وبناتها وناكح يده الا أن يتوبوا » .

وروى أن قوما يحشرون يوم القيامة وايديهم حبالى من الزنا كانوا يعذبون في الدنيا بمذاكيرهم وروى أن من أعمال قوم لوط اللعب بالنرد والمسايفة بالحمام والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بين الكباش والمناقرة بالديوك ودخول الحمام بلا مثزر ونقص الكيل والميزان .. ويل لمن فعلها .

وفي الأثر من لعب بالحمام الملاية لم يمض حتى يفوق ألم الفقر وقالم ابن عباس(١) رضى الله عنهما ان اللوطى اذا مات من غير توبة فانه يمسح في قبره خنزيرا .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ينظر الله الى رجل أتى ذكرا او امرأة في جبرها »(٢) وقال ابو سعيد الصعلوكى : سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم : اللوطيون وهم على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر بشهوة الى المرأة والأمرد زنا لما صح عن النبي ﷺ أنه قال : « زنا العين النظر وزنا اللسان النطق وزنا اليد البطش وزنا الرجل الخطا وزنا الأذن الاستماع والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك ويكذبه »(٣) ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الاعراض عن المردان وعن النظر إليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم قال الحسن بن زكوان(٤) : لا تجالسوا اولام الأغنياء فان لهم صور العذارى فهم أشد فتنة من النساء وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد اليه وكان يقال : لا يبيت رجل مع أمرد في مكان واحد . وحرّم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حائوت أو حمام قياسا على المرأة لأن النبي ﷺ قال : « ما خلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما »(٥) ومن المراد من يفوق النساء بحسنه فالفتنة به أعظم وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن

-
- (١) ذكره ابن الجوزى في الموضوعات مرفوعا وقال : لا يصح مرواه
ابن محمد يروى المناكير واسماعيل بن أم درهم لا يحتج به .
(٢) رواه الترمذى والنسائى وابن حبان في صحيحه .
(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود بنحو مما هنا .
(٤) الحسن بن زكوان البصرى أبو سلمة يروى عن الحسن وابن سيرين .
(٥) ذكره الترمذى وروى نحوه الطبرانى من حديث أبى امامة وأشهر
التخري الى ضعفه وقال : غريب ٢ هـ .

فى حق النساء ويتسهل فى حقه من طريق الريبة والشك ما لا يتسهل فى حق المرأة فهو بالتحريم أولى وأقاويل السلف فى التفسير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم الأتقان لأنهم مستقذرون شرعا وسواء فى كل ما ذكرناه نظر المنسوب الى الصلاح وغيره ودخل سفيان الثورى (١) الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : أخرجوه عنى أخرجوه فأنى أرى مع كل امرأة شيطانا وأرى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطانا .
وجاء رجل الى الامام أحمد رحمه الله ومعه صبي حسن فقال الامام : ما هذا منك ؟ قال : ابن اختي قال : لا تجيء به الينا مرة أخرى ولا تمش معه فى طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوء .
وروى (٢) أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ كان فيهم امرء حسن فاجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال : « انما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر » . وأنشدوا شعرا :

كل الحوادث مبدؤها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	فى أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة قطعت فى قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره	لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

وكان يقال : النظر بريد الزنا وفى الحديث : « النظر سهم مسوم من سهام ابليس فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها الى يوم القيامة » .
(فصل) فى عقوبة من أمكن من نفسه طائعا عن خالد بن الوليد رضى الله عنه انه كتب الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه وجد فى بعض النواحي رجلا يفتكح فى دبره فاستشار أبو بكر الصحابة رضى الله عنهم فى أمره فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ان هذا ذنب لم يعمله الا أمة واحدة قوم لوط وقد أعلمنا الله تعالى بما صنع بهم أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر اليه أن أحرقه بالنار فأحرقه خالد رضى الله عنه (٣) .

(١) سفيان بن سعيد الثورى أبو عبد الله الكوفى أحد الاعلام قال الخطيب : كان الثورى أماما من أئمة المسلمين وعلماء من اعلام الدين مجمعا على إمامته مع الاتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفى بالبصرة سنة ١٦٦ هـ خلاصة ملخصا .

(٢) رواه الديلمى بسنده الى الحسن عن بهمة به قال ابن الصلاح فى شكل الوسيط : لا أصل لهذا الحديث وقال الزركشى فى تخريج أحاديث الشرح الكبير : هذا حديث منكّر فيه ضعف وإجماع وانقطاع وقد استدل على بطلانه بقوله ﷺ : « أنى أراكم من وراء ظهري » ا هـ ذيل الموضوعات للسيوطى .
(٣) رواه ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى بسند جيد قاله المنذرى فى ترمييه .

وقال علي رضي الله عنه : مَنْ أَمَكَنَ مِنْ نَفْسِهِ طَائِعًا حَتَّى يَنْكَحَ أَلْقَى اللَّهَ عَلَيْهِ شَهْوَةَ النِّسَاءِ وَجَعَلَهُ شَيْطَانًا رَجِيمًا فِي قَبْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
 واجمعت الأمة علي أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم ومما روى أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته علي نار توقد علي رجل فآخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفئ عنه فانقلبت النار صبيًا وانقلب الرجل نارا فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك وقال : يا رب .. ردّها إلي حالهما في الدنيا لأسألهما عن خبرهما فأحيهما الله تعالى فإذا هما رجل وصبي فقال لهما عيسى عليه السلام : ما خبركما ؟ فقال الرجل : يا روح الله .. أني كنت في الدنيا مبتلي بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة فلما أن مت ومات الصبي صيرت نارا يحرقني مرة وأصير نارا أحرقة مرة فهذا عذابنا إلي يوم القيامة .. نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

(فصل) ويلتحق باللواط اتيان المرأة في دبرها وذلك مما حرّمه الله تعالى ورسوله ﷺ قال الله عز وجل : « نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتِ شَتْمٌ » (١) أي كيف شتتم مقبلين ومحبّرين في صمام واحد أي موضع واحد وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فسأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم : « نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتِ شَتْمٌ » مجيبة أو غير مجيبة غير أن ذلك في صمام واحد أخرجه مسلم .

وفي رواية : « اتقوا الدبر والحیضة » وقوله : في صمام واحد أي في موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث أي موضع لزرع الولد وأما الدبر فإنه محل النجس وذلك خبيث مستقذر وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها » (٢) ١٠ وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل علي محمد » (٣) فمبني جامع امرأته وهي حائض أو جامعها في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا

(١) البقرة: ٢٢٣ .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وقاله المنذرى .

(٣) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه كلّهم من طريق حكيم الأثرم عن أبي تميمة طريف بن خالد عن أبي هريرة وسئل ابن أبي الدنيا عن حكيم من هو ؟ فقال : أعيننا هذا وقال البخاري في تاريخه الكبير : لا يعرفه لأبي تميمة سمع من أبي هريرة أنه منذرى في ترهيبه قال المصنف في الصغير :
 ووليس استأذنه بالقائم اهـ .

الرعييد الشديد وكذا اذا أتى كاهنا وهو المنجم ومن يدعى معرفة الشيء المسروق وينتكم على الأمور الغيبات فسأله عن شيء منها فصحه .
وكثير من الجاهل واقعون في هذه المعاصي وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ولذلك قال أبو الدرداء : كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك وهو الذى لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك ويجب على العبد أن ينوب الى الله من جميع الذنوب والخطايا ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله والعاقبة فيما بقى من عمره ، اللهم انا نسالك العفو والعاقبة في الدين والدنيا والآخرة انك أرحم الراحمين .



المكيدة الثانية عشر : أكل الربا

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، وابتغوا الله لعلكم تنجحوا » (١) وقال تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » (٢) أى لا يقومون من قبورهم يوم القيامة الا كما يقوم الذى قد مسه الشيطان وصرعه « ذلك » (٣) أى ذلك الذى أصابهم « بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا » (٤) أى حلالا فاستحلوا ما حرم الله فاذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين الا اكلة الربا فانهم يقومون ويستقون كما يقوم المصروع كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا ارباه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ويريدون الاسراع مع الناس فلا يقدرُونَ .
وقال قتادة (٥) : ان أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك علم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (٦) : « لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم وهنضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال : فيقبلون مثل الابل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون فاذا احس بهم أصتأب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يفشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومخبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة » قال ﷺ : « فقلت :

(٢) البقرة : ٢٧٥ .

(١) آل عمران : ١٣٠ .

(٣) قتادة بن دعامة السدس البصرى امام جليل في التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ١١٧هـ .

(٤) عزاه ابن كثير في تفسيره في سورة الاسراء الى البيهقى في دلائل النبوة والى ابن جرير وابن أبى حاتم في تفسيريهما كلهم من طريق أبى هارون العبدى عن أبى سعيد قال : واسم أبى هارون عمارة بن جوين ، مضاعف عند الشيعة أ هـ .

يا جبريل ٠٠ من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

وفي روايه قال : « لما عرج بى سمعت فى السماء السابعة فوق ر برعدا وصواغى ورأيت رجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت فيها حيات وعقار تترى من ظاهر بطونهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء آ الربا » (١) .

وروى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود بن أبيه : « اذا ظهر الزنا والربا فى قرية آذن الله بهلاكها » (٢) وعن عمر مرفوعا : « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم ونبايعوا بالعينة وتتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد فى سبيل الله أنزل الله بلاء فلا يرفعهم عنهم حتى يرجعوا دينهم » (٣) .

وقال ع : « ما ظهر فى قوم الربا الا ظهر فهم الجنون ولا يظهر فى قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما يخس قوم الكيل والوزن الا منعهم الله القطر » (٤) .

وجاء فى حديث فيه طول (٥) أن آكل الربا يعذب من حين يموت الى يوم القيامة بالسباحة فى النهر الأحمر الذى هو مثل الدم ويلقم الحجارة وهو المال الحرام الذى جمعه فى الدنيا يكلف المسقة فيه ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام فى الدنيا هذا العذاب له فى البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له ، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أربعة حتى على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يثيبهم نعيمها : مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاقى لوالديه الا أن يتوبوا » .

ومد ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على آكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحياوا على أخراج الحيتان التى نهامهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا حياضا تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد فلما فعلوا ذلك مسحهم الله قردة وخنازير وهكذا الذين

(١) رواه أحمد فى حديث طويل وابن ماجه مختصرا والاصبهانى كلهم من رواية على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة قاله المنذرى اه وعلى ابن زيد هو ابن جدعان فيه كلام كثير فى تضعيفه .

(٢) رواه أبو يعلى بإسناد جيد وله شاهد من حديث ابن عباس صحح الحاكم إسناده أفاده المنذرى فى ترجمته .

(٣) رواه داوود وغيره من طريق إسحاق بن أسيد نزيل مصر - مختلف فيه - والحديث من رواية ابن عمر أفاده المنذرى .

(٤) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى والحاكم وقال : على شرط مسلم أفاده المنذرى .

(٥) هو حديث سمرة الطويل فى منام وآه النبى ﷺ . رواه البخارى .

يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين قال.
أيوب السخيتاني (١) : يخادعون الله كما يخادعون صبيها ولو اتوا الأمر عياناً.
كان أهون عليهم وقال ﷺ : « الربا سيعون بابا أهونها مثل أن ينكح الرجل.
أمه وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم » (٢) فصح الله
باب من أعظم أبواب الربا .

وعن أنس قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال :
« الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أسد من ست وثلاثين زنية في
الإسلام » (٣) وعنه ﷺ قال : « الربا سيعون حوبا أهونها كوقع الرجل على
أمه » (٤) وفي رواية : « أهونها كالذي ينكح أمه » والحب : الاتم .
وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : الزائد والمستزيد في النار
يعنى الآخذ والمعطى فيه سواء - نسأل الله العافية .

(فصل) عن ابن مسعود (٥) رضي الله عنه قال : إذا كان لك على رجل
دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فإنه ربا وقال الحسن (٦) رحمه الله : إذا
كان لك دين على رجل فما أكلت من بيته فهو سحت وهذا من قوله ﷺ :
« كل قرض جر نفعا فهو ربا » وقال ابن مسعود أيضا : من شفع لرجل
شفاعة فأهدى إليه هدية فهي سحت وتضديقه من قوله ﷺ : « من شفع
لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا »
(أخرجه أبو داود) . فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة (٧) .

(١) أيوب بن أبي تميمة السخيتاني أبو بكر البصري أحد الأئمة الأعلام
من أكابر التابعين مات سنة ١٣١ هـ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق وهو
من رواية البراء بن عازب وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن ماجه
والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق أفاده المنذرى .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وأشار المنذرى الى ضعفه بتصديره
بلفظ روى .

(٤) قال المنذرى : رواه ابن ماجه والبيهقي كلاهما عن أبي معشر وقد
وثق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة .

(٥) أبو عبد الرحمن بن مسعود الصحابي الجليل توفي سنة ٣٢ هـ .

(٦) هو البصري من كبار أئمة التابعين مات بعد سنة ١٤٠ هـ .

(٧) زاد في الصغرى : قال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » .
فذكر منها أكل الربا (متفق عليه) وقال ﷺ : « لعن الله أكل الربا وموكله » .
رواه مسلم والترمذي وزاد : « وشاهديه وكاتبه » . وقال ﷺ : « أكل
الربا وموكله وكاتبه . إذا هما ذلك ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم
القيامة » .

الكبيرة الثالثة عشرة : لكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا » (١) ومال تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده » (٢) •

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال في حديث المراج : « فاذا انا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيحذفونها بأفواههم وتخرج من أفواههم مقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : « الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا » (٣) (رواه مسلم) •

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بيعت الله عز وجل قوما من قبورهم تخرج النار من بطونهم بأجج أفواههم نارا » فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله تعالى يقول . « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا » (٤) • وقال السدي (٥) رحمه الله تعالى : يحشر أكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهيب النار يخرج من فيه ومن مسامحه وانفه وعينه يعرفه كل من رآه أنه أكل مال اليتيم •

قال العلماء : فكل ولي ليتيم اذا كان فقيرا فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه وما زاد على المعروف فسحت حرام لقوله تعالى : « ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف » (٦) •

وفي الاكل بالمعروف أربعة أقوال (أحدها) أنه الأخذ على وجه القرض • (والثاني) الاكل للحاجة من غير اسراف •

(١) النساء : ١٠ •

(٢) الانعام : ١٥٢ •

(٣) عزاه الشيخ ابن كثير في تفسيره قوله : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى » • الخ وفي سورة الاسراء من أولها الى ابن أبي حاتم وفي سنده أبو هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين تركوه ومنهم من كذبه كما في التقريب فتول المصنف هنا رواه مسلم لعلة سبق قلم من النسخ فحذر •

(٤) عزاه ابن كثير في تفسيره الى ابن مردويه وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عتبة بن مكرم بسنده الى أبي برزة واسمه فضلة بن عبيد الأسلمي فعزو الحديث هنا الى أبي هريرة لعلة وهم أو من تحريف النسخ • (٥) اسماعيل بن عبد الرحمن أبي كريم السدي - بضم السين وشذ الدال - أبو محمد الكوفي صاحب التفسير صدوق ورعى بالتشيع مات

(٦) النساء : ٦ •

سنة ١٢٧ هـ ١ هـ تقريـب •

(والفالث) انه أخذ بقدر الحاجة اذا عمل لليتيم عملا .
(والرابع) انه الاخذ عند الضرورة فان أيسر قضاءه وان لم يوسر فهو في حل . وهذه الاموال ذكرها ابن الجوزي (١) في تفسيره .

وفي صحيح البخارى ان رسول الله ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » (٢) وأتسار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال : « كامل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة » وأتسار بالسبابة والوسطى .

كفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعى في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله ان كان له مال وان كان لا مال له أنفق عليه وكساه لبتقاء وجه الله تعالى وقوله في الحديث : « له أو لغيره » أى سواء أكان اليتيم قرابة أو أجنبيا منه فالقرابة مثل ان يكفله جده أو اخوه أو أمه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه والأجنبى من ليس بينه وبينه قرابة .

وقال رسول الله ﷺ : « من ضم يتيما من المسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة الا أن يعمل ذنبا لا يغفر » (٣) ، وقال ﷺ : « من مسح رأس يتيم لا يمسحه الا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ، ون أحسن الى يتيم عنده كنت أنا وهو هكذا في الجنة » (٤) .

وقال رجل لأبى الدرداء رضى الله عنه : أوصنى بوصية . قال : ارحم اليتيم وادنه منك وأطعمه من طعامك فأنى سمعت رسول الله ﷺ أتاه رجل يشتكى قسوة قلبه فقال رسول الله ﷺ : « ان أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فان ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك » (٥) .

ومما حكى عن بعض السلف قال : كنت في بداية أمرى مكبا على المعاصى وشرب الخمر فظفرت يوما بصبى يتيم فقير فأخذته واحسنت اليه وأطعمته وكسوته وأنخلته الحيام وأزلت شعته راكرمته كما يكرم الرجل ولده بل

(١) هو الحافظ جبال الدين العربى أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن محمد بن على الجوزى صاحب التصانيف المشهور البغدادى الفقيه الحنبلى المتوفى سنة ٥٧٠ هـ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه الترمذى من حديث ابن عباس وقال : حسن صحيح بلفظ : « من قبض » وله شواهد ذكرها المنذرى في الترغيب .

(٤) رواه أحمد وغيره من طريق عبد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة قاله المنذرى .

(٥) رواه الطبرى من رواية بنية وفيه راو لم يسم قال المنذرى : وله شاهد من حديث أبى هريرة رواه أحمد ورجال رجال الصحيح قاله المنذرى .

أكثر نبت ليلة بعد ذلك فرايت في النوم أن القيامة قامت ودعيت الى الحساب وأمر بي الى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي فسحبنتى الزبانية ليمضوا بى الى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونى سحباً الى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضنى بالطريق وقال : خلوا عنه يا ملائكة ربى حتى أشفع له الى ربى فإنه قد أحسن الى وأكرمنى فقالت الملائكة : انا لم نؤمر بذلك وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعه اليتيم واحسانه اليه قال : فاستيقظت وتبت الى الله عز وجل وبذلت جهدى في إيصال الرحمة الى الأيتام . ولهذا قال انس بن مالك رضى الله عنه - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء اليه وأحب عباد الله الى الله تعالى من اصطنع صنعا الى يتيم أو أرمله . وروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام : « يا داود .. كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للأرملة كالزوج النسيق واعلم كما تزرع كذا تحصد معناه أنك كما تفعل كذلك يفعل معك أى لابد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة » وقال داود عليه السلام في مناجاته : الهى .. ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاءه أن أظله في ظلى يوم لا ظل الا ظلى معناه ظل عرشى يوم القيامة . ومما جاء في فضل الاحسان الى الأرملة واليتيم عن بعض العلويين وكان نازلاً ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة فخرجت ببنتاتها الى بلدة أخرى خوف شتمة الأعداء واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد انحلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم في القنوت فمرت بجمعين جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد وجمع على رجل مجوسى وهو ضامن البلد فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له وقالت : انا امرأة علوية معى بنات أيتام أخذتهم بعض المساجد المهجورة وأريد الليلة قوتهم فقال لها : أقيمى عندى البينة أنك علوية شريفة فقالت : انا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى فأعرض عنها فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت الى ذلك الرجل المجوسى فشرحت له حالها وأخبرته أن معها بنات أيتام وهى امرأة شريفة غريبة وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وأرسل بعض نسائه وأتوا بها وبناتها الى داره فاطعمهن أطيب الطعام واليسهن أوفر اللباس وياتوا عنده في نعمة وكرامة قال : فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قامت وقد عقد اللواء على رأس النبی ﷺ وإذا بقصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان فقال : يا رسول الله .. لمن هذا القصر ؟ قال : لرجل مسلم موحد فقال : يا رسول الله .. انا رجل مسلم موحد فقال رسول الله ﷺ : لما قصصتك المرأة العلوية قلت : أقيمى عندى البينة أنك علوية فكذا انت اقم عندى البينة أنك مسلم فانتبه الرجل حزينا على رده المرأة خائبة ثم جعل يظوف بالبلد

- ٥٢ -

ويسأل عنها حتى دل عليها انها عند المجوسى فأرسل اليه فأتاه فقال له : أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها فقال : ما الى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني قال : خذ مني الف دينار وسلمهن الى فقال : لا أفعل فقال : لابد منهن فقال : الذى تريده أنت أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى مقامك خلق لى اتدل على بالاسلام فوالله ما نمت ألبارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كئنا على يد العلوية ورأيت مقل الذى رأيته فى مقامك وقال لى رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عندك ؟ قلت : نعم يا رسول الله قال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمنا في الأزل . قال . فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه الا الله . فانظر رحمك الله الى بركة الاحسان الى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبها من الكرامة فى الدنيا .

ولهذا ثبت فى الصحيحين (١) عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله » قال الراوى : أحسبه قال : « وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر » والساعى عليهم هو القائم بأمرهم ويصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى . وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه أنه جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

الكبيرة الرابعة عشرة

الكذب على الله عز وجل وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله عز وجل : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » (٢) قال الحسن : هم الذين يقولون : ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل قال ابن الجوزى فى تفسيره : وقد ذهب طائفة من العلماء الى ان الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله فى تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض وانما الشأن فى الكذب عليه فيغيره سوى ذلك .

وقال ﷺ : « من كذب على بنى له بيت فى جهنم » (٣) . وقال ﷺ : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقال ﷺ : « ومن روى عنى جهنميا وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين » (٤) .

(١) وابن ماجه من حديث أبى هريرة قاله المنذرى .

(٢) الزمر : ٦٠ .

(٣) زواه البخارى ومسلم وغيرهما وقد روى عن غير واحد فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر ما قاله المنذرى فى ترغيبه .

(٤) رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بلفظ : « من حدث عنى بحديث : فليكرهه المنذرى .

وقال ﷺ : « ان كذبا على ليس ككذب على غيرى من كذب على مفعدها فليتبوا مفعده من النار » (١) وقال ﷺ : « من يقل عنى ما لم آقله فلينبوا مفعده من النار » وقال ﷺ : « يطبق المؤمن على كل شئ الا الخيانة والكذب » (٢) نسأل الله التوفيق والعصمة انه جواد كريم .



الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف

اذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين الا متحرفا لقتال أو متحيزا (٣) الى نئة وان بعثت قال الله تعالى : « ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لتتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وملاواه جهنم ، وبئس المصير » (٤) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت : « ان يكن جنكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » (٦) فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين » (٧) فكتب أن لا يفر مائة من مائتين (رواه البخارى) .



الكبيرة السادسة عشرة : غش الامام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى : « انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم » (٨) وقال تعالى : « ولا تحسبن الله

(١) رواه مسلم وغيره من حديث المغيرة يعنى ابن شعبة اه منذرى .
(٢) رواه البزار وأبو يعلى من حديث سعد بن أبى وقاص ورواه رواة الصحيح وذكره الدارقطنى فى الطل مرفوعا وموقوفا وقال : الموقوف أشبه بالصواب ورواه الطبرانى فى الكبير والبيهقى من حديث ابن عمر مرفوعا وله شاهد عند أحمد من حديث الأعمش قال : حدثت عن أبى أمامة فذكر نحوه أفاده المنذرى فى ترغيبه .

(٣) المتحرف للقتال من يفر من العدو لخدعة حربية ، والمتحيز لفئة من يفر عن وجه العدو لينضم الى جماعة المجاهدين وجملتهم .

(٤) الأنفال : ١٦ .

(٥) تقدم تخريجه مرارا وأنه متفق عليه .

(٦) الأنفال : ٦٦ .

(٧) الأنفال : ٦٥ .

(٨) الشورى : ٤٢ .

غافلا عما يفعل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تتشخص فيه الأبصار • مهطعين
مقتعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم ، وانفذتهم هواء» (١) وقال تعالى :
« وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» (٢) وقال تعالى : «ثانوا لا يقتناهون
عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون» (٣) •

ومال رسول الله ﷺ : « من غشنا فليس منا » (٤) وقال عليه السلام :
« الظلم ظلمات يوم القيامة » (٥) وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته » (٦) وقال رسول الله ﷺ : « ايما راع غش رعيته فهو فى النار » (٧) •
وقال ﷺ : « من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه الا حرم الله عليه
الجنة » • واخرجه البخارى وفى لفظ (٨) : « يموت يوم يموت وهو غاشى لرعيته
الا حرم الله عليه الجنة »

وقال ﷺ : « ما من حاكم يحكم بين الناس الا حبس يوم القيامة وملك
أخذ ببقاه فان قال ألهام فهو فى جهنم أربعين خريفا » (رواه الامام
أحمد) (٩) •

وقال رسول الله ﷺ : « ويل للأمرء •• ويل للعرفاء •• ويل للأمناء ليمتنين
أقوام يوم القيامة أن ذوابهم كانت مطقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا
من شيء » (١٠) •

وقال ﷺ : « لياتين على القاضى الحبل يوم القيامة ساعة يتمنى انه

-
- (١) ابراهيم : ٤٢ ، ٤٣ • (٢) الشعراء : ٢٢٧ •
(٣) المائدة : ٧٩ •
(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة •
(٥) رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث ابن عمر •
(٦) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر •
(٧) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أنس ورواته ثقات الا
عبد الله بن ميسرة أبى ليلى وشواهدة الصحيحة كثيرة عن محفل بن يسار
فى الصحيحين وعن ابن عباس وغيرهما •
(٨) يعنى للبخارى أيضا •
(٩) وروى ابن ماجه والبخارى نحو من هذا فى حديث ابن مسعود وفى
اسنادهما مجالد بن سعيد مختلف فيه أناده المنذرى •
(١٠) رواه أحمد عن أبى هريرة مرفوعا من طرق رواية بعضها ثقات قاله
المنذرى فى موضع وقال فى موضع : رواه ابن حبان والحاكم وقال : صحيح
الاسناد •

لم ينض بين اثنين في شجرة تط « (١) وقال ﷺ : « ما من أمير عشرة الا يؤتى به يوم القيامة مقلوبة يده الى عنقه اما أطلقه عدل او أوبقه جوره » (٢) •

ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال : « اللهم من ولي من أمر هذه الأمة شيئاً فرق بيني وبينهم فاروق به ومن سخط عليهم فاسخط عليه » (٣) وقال ﷺ : « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره » (٤) •

وقال رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء فسقة جوراة ذمّن صحتهم وأعانهم على ذلهم فليس مني ولست منه ولن يرد علي الحوض » (٥) وقال رسول الله ﷺ : « صنّان من امتي لن تنالهم سفاقتي : سلطان ظلم غشوم وغال في الدين يسود عليهم ويتبرأ منهم » (٦) وقال عليه السلام : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة امام جائر » (٧) وفي الحديث ان رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل ان تدعوا الله فلا يسنجيب لكم وقبل ان تستغفروا الله فلا يغفر لكم ان الاحبار من اليهود والرهبان من النصراري لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان انبيائهم ثم عمهم بالبلاء » (٨) •

وقال رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » (٩) : « ومن أحدث حدثاً او آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » وفي الحديث أيضاً : « من لا يرحم لا يرحم »

-
- (١) رواه البزار والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجال البزار رجال الصحيح وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد وعنه أبي الحرداء عند ابن حبان أفاده المنذرى •
 - (٢) رواه أحمد وابن حبان من حديث عائشة ا هـ • منه •
 - (٣) رواه مسلم والنسائي عن عائشة •
 - (٤) رواه أبو داود والترمذي عن أبي مريم عمرو بن مرة الجهني •
 - (٥) رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي والبزار بالفاظ متقاربة من حديث كعب بن عجرة •
 - (٦) رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ورجال ثقات ا هـ منه •
 - (٧) رواه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود ورواته ثقات الا ليعت ابن سليم ا هـ •
 - (٨) رواه الأصبهاني من حديث ابن عمر وأشار المنذرى الى ضعفه •
 - (٩) رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث عائشة •

لا يرحم الله من لا يرحم الناس» (١) وقال ﷺ : « الامام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله » (٢) وقال : « المفسطون على منابر من نور الذين يعملون في حكمهم وأهلهم وما ولوا » (٣) .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضى الله عنه الى اليمن قال : « اياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب » (٤) . وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة » ففكر مذنب الملك الكذاب (٥) وقال : « انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة » (رواه البخارى) وميه أيضاً : « وانا والله لانولى هذا العمل احدا سألته او احدا حرص عليه » .

وقال رسول الله ﷺ : « يا كعب بن عجرة .. اعاذك الله من امارة السفهاء امرء يكونون من بعدى لا يهتدون بهدى ولا يستقنون بسنتى » (٦) وعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من طلب قضاء المسلمين حتى يناله نم غلب جورهم فله الجنة ومن غلب جورهم عدله فله النار » (٧) . وقال : « ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة » (٨) وقال عمر لأبي ذر رضى الله عنهما : حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فقال أبو ذر . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بالوالى يوم القيامة فينذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل الا زال عن مكانه فان كان مطيعا لله في عمله مضى به وان كان عاصيا لله في عمله انخرق به الجسر فهوى به في جهنم مفدار خمسين عاما » (٩) فقال عمر : من يطلب العمل بها يا أبا ذر ؟ قال : من سلت الله أنفه وألصق خده بالتقرب .

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث جرير بن عبد الله ، وله شواهد من حديث أبى موسى وابن مسعود وابن عمرو وابن عباس وغيرهم والسنن والمسند والطبرانى .

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة فى ضمن حديث السبعة الغين يظله الله فى ظله .

(٣) رواه مسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة .

(٦) رواه أحمد والبخارى ورواه محتج بهم فى الصحيح قاله المنذرى .

(٧) رواه أبو داود اهـ منه .

(٨) تملأه : « فنعمت الموضة وبئست الفاطمة » (رواه البخارى

والنسائى من حديث أبى هريرة) المنذرى .

(٩) روى نحوه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة أن بشر بن عاصم

الغشمى حدث عمر فذكره وأن عمر سأل سلمان وأبا ذر فصيحاه . قاله المنذرى وضعفه .

وقال عمرو بن الجاهلي: قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في ثيابي ثم قل: يا عمر... ما تصنع... يا راضيا باسم الظالم... كم عليك من المظالم؟ السجن جهنم والحق الحاكم، ولا حجة لك فيما تخاصم، النقيير مهول فتذكر حبسك، والحساب طويل فخلص نفسك، والعبر كيوم فبادر تمسك، تفرح بمالك والكسب خبيث، وتمرح بآمالك والسير حثيث... ان الظلم لا يترك منه قدر أنملة، فإذا رايت ظالما قد سطا فقم له، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة، أي قروح في الجسد.

الكبيرة السابعة عشرة: الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتهى قال الله تعالى: «وقال موسى اني شئت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» (١) وقال تعالى: «انه لا يحب المتكبرين» (٢) وقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل ينجس في مشيه اذ حسف الله به الأرض فهو ينجل فيها الى يوم القيامة» (٣). وقال عليه الصلاة والسلام: «يخسر الجبارون المتكبرون يوم الفامة أمثال الذر يطوهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان» (٤). وقال بعض السلف: اول ذنب عصي الله به الكبر قال الله تعالى: «واذ قلنا للأنكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي واستكبر وكان من الكافرين» (٥) فمن استكبر على الحق لم ينفعه ايانه كما فعل ابليس. وعن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة احد في قلبه مثقال ذرة من كبر» (رواه مسلم) وقال تعالى: «ان الله لا يحب كل مختال فخور» (٦) وقال ﷺ: «قال الله تعالى: العظمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما ألقيته في النار» (رواه مسلم). المخازعة: المجاذبة. وقال ﷺ: «اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة: مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: أوثرت بالجبارين»

(٢) النحل: ٢٣.

(١) غافر: ٢٧.

(٣) رواه البخاري والنسائي وغيرهما بنحوه من حديث ابن عمر وشواهد من حديث أبي سعيد الخدري وجابر وأبي هريرة وأقربها الى ما هنا المقطع أبي هريرة عن البخاري ومسلم كما في المنذرى.

(٤) تبارك: «يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تلومهم نار الانيار يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال» (رواه النسائي والترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص عنه).

(٦) لقمان: ١٨.

(٥) البقرة: ٣٤.

والتكبرين» (١) ٠٠٠ الحديث وقال تعالى : « ولا تصغر حنك للناس ولا تمشي في الأرض مرفحا إن الله لا يحب كل مختال فخور » (٢) أى لا نهل خدك معرضا متكبرا والمرح : التبختر .

وقال سلمة بن الأكوع : « أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشمائه قال : كل بيمينك قال : لا أستطيع فقال : « لا استطعت » ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه بعد (رواه مسلم) وقال عليه الصلاة والسلام : « إلا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » (٣) العتل : الغليظ الجافي والجواظ : الجموع النوع وقيل : الضخم المختال في مشيته وقيل : البطيئ .
عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يختال في مشيته ويتعاضم في نفسه إلا لقي الله وهو عليه غضبان » (٤) وصح من حديث أبي هريرة : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلم - أى ظالم - وغنى لا يؤدي الزكاة وفقير فخور » (٥) وفي صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمسبل : هو الذى يسبل أزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قميصه لأنه ﷺ قال : « ما أسفل من الكعبين من الأزار فهو في النار » (٦) .

وأشر الكبر الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاضم في نفسه بفضيلته فإن هذا لم ينفعه علمه فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتقرها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدوها فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وأزدرأهم فهذا من أكبر الكبر ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور

قال الله تعالى : « والذين لا يشهدون الزور » (٧) ٠٠ الآية وفى الأثر

- (١) تلمذه : « ففضى الله بينهما أنك الجنة رحمى أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابى أعذب بك من أشاء ولكليكما ملؤها » (رواه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى) ١ هـ منزرى . (٢) لقمان : ١٣ .
- (٣) رواه البخارى ومسلم من حديث حارثة عن وهب ١٠ هـ منزرى .
- (٤) رواه الطبرانى فى الكبير ورواته محتج بهم فى الصحيح والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ١ هـ منه .
- (٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما ١ هـ منه .
- (٦) رواه البخارى من حديث أبى هريرة ١ هـ منزرى .
- (٧) الفرقان : ٧٢ .

عدلت شهادة الزور السرك بالله تعالى مرتين (١) وقال تعالى : « **واجتنبوا قول الزور** » (٢) وفي الحديث : « لا تزال قدما ساهدا الزور يوم القيامة حتى تجب له النار » (٣) قال المصنف رحمه الله تعالى : ساهد الزور قد ارتكب عظام (أحدهما) الكذب والافتراء قال الله تعالى : « **ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب** » (٤) وفي الحديث : « يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب » (٥) .

(وثانيها) أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه .

(وثالثها) أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار وقال عليه السلام : « من فضيت له من مال أخيه بغير حق فلا يأخذه فانها أقطع له قطعة من نار » (٦) .

(ورابعها) أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراف بالله وعقوق الوالدين ؟ لا وقول الزور ألا وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت (رواه البخاري) (٧) فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء .

الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر

قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والاتصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » . أنها يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » (٨) فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن

(١) هذا الحديث من رواية حزيم بن فاتك مرفوعا فذكره قال : ثم قرأ : « **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** » . خفاء لله غير مشركين به » (الحج : ٣٠ ، ٣١) . رواه أبو داود وهذا لفظه والترمذي وابن ماجه ورواه الطبراني في الكبير موقوفا على ابن مسعود بإسناد حسن اهـ مندرى . (٢) الحج : ٣٠ .

(٣) رواه ابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث ابن عمر بلفظ : « **لن تزول** » الخ . (٤) غافر : ٢٨ .

(٥) تقدم في الكبيرة الرابعة عشرة تخريجه .

(٦) متفق عليه من حديث أم سلمة ونحوه في أبي داود ١ هـ مشكاة ١٠

(٧) ومسلم والترمذي من حديث أبي بكره ١ هـ منه .

(٨) المائدة : ٩٠ ، ٩١ .

الخمير وحذر منها وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث » ، فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله . ورسوله « (١) قال الله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله فقد صدق الله ويخذه نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » (٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما . قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم الى بعض وقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك (٣) .

وذهب (٤) عبد الله بن عمر الى أن الخمر أكبر الكبائر وهي بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها في غير حديث (٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة » (٦) (رواه مسلم) وروى مسلم (٧) عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال » قيل : يا رسول الله . وما طينة الخبال ؟ قال : « عرق أهل النار أو عصارة أهل النار » .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من شرب الخمر في الدنيا يجرمها في الآخرة » .

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن : رواه الامام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مدمن الخمر كعابد وثن » .

وذكر أن مدمن الخمر اذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة : روى النسائي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق .

(١) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ : « فانها مفتاح كل شر » وقال : صحيح الاسناد وفي حديث عثمان مرفوعا : « اجتنبوا أم الخبائث . فانها كانت رجلا من كان قبلكم » . الخ فذكر قصة . رواه ابن حبان . والبيهقي مرفوعا وموقوفا وذكر أنه المحفوظ . منخري . (٢) النساء : ١٤ .

(٣) رواه الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح . منخري . (٤) رواه الطبراني مع قصة باسناده صحيح . ورواه الحاكم . وقال : صحيح على شرط مسلم . اهـ .

(٥) من حديث ابن عمر عن أبي داود وابن ماجه حديث أنس عن ابن ماجه والترمذي . وحديث ابن عباس عن أبي داود والترمذي وابن حبان . والحاكم .

(٦) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والبيهقي .

(٧) والنسائي .

ولا مدمن خمر» (١) وفي رواية : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة . مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث » وهو الذى يقر السوء فى أهله .

ذكر ان السكران لا يقبل الله منه حسنة روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة الى السماء : العبد الأبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده فى أيديهم والمرأة السالخط عليها زوجها حتى يرضى عنها والسكران حتى يصحو » (٢) .

والخمر ما خامر العقل أى غطاه سواء كان رطبا أو يابسا أو مأكولا أو مشروبا وعن أبى سعيد الخدرى قال رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة ما دام فى جسده شئ منها » (٣) وفي رواية : « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئا ومن سكر منها لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب ثم عاد كان حقا على الله أن يسقيه من مهل جهنم » وقال رسول الله ﷺ : « من شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أربعين ليلة فان مات فيها مات كعابد وثن وكان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال » قيل : يا رسول الله .. وما طينة الخبال ؟ قال : « عصارة أهل النار القيح والدم » (٤) .

وقال عبد الله بن أبى أوفى : من مات مدمنا للخمر مات كعابد اللات والعزى قيل : أرايت مدمن الخمر هو الذى لا يستغنى عن شربها ؟ قال : لا ولكن هو الذى يشربها اذا وجدها ولو بعد سنين .

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمنا حين يشربها : عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد » (أخرجه البخارى) (٥) وفي الحديث : « من زنى أو شرب الخمر فزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه » (٦) ونفيه :

(١) رواه أحمد والبخارى والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقى والطبرانى فى الأوسط آه منه .

(٣) ذكره فى اللآلىء المصنوعة عن عبد بن حميد بسنده الى أبى سعيد

الخدرى .

(٤) روى بالفاظ نحو مما هنا أقربها حديث عبد الله بن عمر عند

الترمذى وحسنه الحاكم والنسائى ووقفه عليه مختصرا أعاده الترمذى .

(٥) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وقوله : « والتوبة

معروضة بعد » من زبادة مسلم وأبى داود أفاده الترمذى .

(٦) رواه الحاكم من حديث أبى هريرة آه منه .

(٥ - الكبائر)

« من شرب الخمر ميسيا أصبح مشركا ومن شربها مصبها أمسي مشركا » وفيه عن النبي ﷺ انه قال : « ان رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن » (١) روى الامام أحمد من حديث ابي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجرى من فروج المومسات - أي الزانيات - يؤذى أهل النار ريح فروعهن » (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين بعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية وأقسم ربي تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبدي جرعة من الخمر الا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من مخافتي الا سقيته اياها في حظائر القدس مع خير النعماء » (٣) .

خبر من لعن في الخمر :

روى ابو داود أن رسول الله ﷺ قال : « لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقياها وبيئتها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وأكل ثمنها » (٤) ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد .. ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبيئتها ومبتاعها وشاربها وأكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه وساقياها ومستقيها » (٥) .

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر اذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : لا تعودوا شراب الخمر اذا مرضوا . قال البخاري : وقال ابن عمر : لا تسلموا على شربة الخمر . وقال ﷺ : « لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنازتهم وان شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودا وجهه ملعلا

(١) رواه الطبراني في الصغير من حديث ابي هريرة واشار المنذرى الى ضعفه اهـ منه .

(٢) ورواه ابو ليلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه اهـ منه .

(٣) رواه أحمد من حديث ابي أمامة من طريق علي بن يزيد يعنى الالهاني فيه خلاف والاکثر على تضعيفه اهـ منه .

(٤) رواه من حديث ابن عمر بلفظ : « لعن الله الخمر » .. الخ ، ولفظ : وأكل ثمنها من زيادة ابن ماجه وشاهده من حديث انس عند الترمذى وابن ماجه كما فى المنذرى .

(٥) أى بسند صحيح وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح اهـ

لسانه على صدره يميل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب
خمر» (١) .

قال بعض العلماء : انما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب
الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله : « لعن الله
الخمر وشاربها » ... الحديث فان اشتراها وعصرها كان ملعونا مرتين وان
سقاها لغيره كان ملعونا ثلاث مرات فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه
الا أن يتوب فمن تاب تاب الله عليه .

وذكر ان الخمر لا يحل الداوى بها . عن ام سلمة رضى الله عنها قالت .
اشتكت ابنة لى فنبذت لها في كوز فدخل على رسول الله ﷺ وهو يغلى
فقال : « ما هذا يا ام سلمة » ؟ فذكرت له انى اداوى به ابنتى فقال رسول الله
ﷺ : « ان الله تعالى لم يجعل سقاء امتى فيها . . حرم عليها » (٢) .

ذكر احاديث متفرقة رويت في الخمر : من ذلك ما ذكره أبو نعيم في
الحلية عن أبي موسى رضى الله عنه قال : اتى النبی ﷺ بنبيذ في جرة له
نشيش فقال : « اضربوا بهذا الحائط فان هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم
الآخر » .

وقال رسول الله ﷺ . « من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها
الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته فالويل
لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة » وجاء عن النبي ﷺ : « حتى يوقف بين
يدى الله تبارك وتعالى فيخاصمه ومن خاصمه القرآن خصمه » .

« ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا الا جمعهم الله في النار فيقبل
بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر : يا فلان . . لا جزاك الله
عنى خيرا فأنت الذى اورقتنى هذا المورد ، ويقول الآخر مثل ذلك » وجاء
عن النبي ﷺ أنه قال : « من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم
الاساودة شربة يتساقط لحم وجهه في الاتاء قبل أن يشربها فاذا شربها تساقط
لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، الا وشاربها وعصرها ومعتصرها وحاملها
والمحمولة اليه واكل ثمنها شركاء في اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما
ولا حجا حتى يتوبوا ، فان ماتوا قبل التوبة كان حتما على الله أن يستقبلهم

(١) ذكره ابن الجوزى في الموضوعات عن ابن عدى بسنده الى ابن عمر
وقال : موضوع فيه ضعفاء ليث وجعفر بن الحارث ابو الأشهب وأبو مطيع ،
وله طرق أخرى لا ترفعه عن الحضيض .

(٢) رواه البيهقي وأبو يعلى وشاهده عن ابن مسعود عن أحمد والحاكم
وعلمة البخارى عن ابن مسعود بصيغة الجزم .

بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم الا وكل مسكر خمر وكل
 خمر حرام» •

وَيَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ ﷺ : « كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ » : الْحَشِيشَةُ كَمَا سَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . رَوَى أَنَّ شَرِبَةَ الْخَمْرِ إِذَا أَتَوْا عَلَى الصَّرَاطِ يَخْتَفِئُهُمُ الزَّبَانِيَةُ إِلَى نَهْرِ الْخَبَالِ فَيَسْقُونَ بِكُلِّ كَأْسٍ شَرِبُوهَا مِنَ الْخَمْرِ شَرِبَةَ مِنْ نَهْرِ الْخَبَالِ فَلَوْ أَنَّ تِلْكَ الشَّرْبَةَ تَصُبُّ مِنَ السَّمَاءِ لَأَحْرَقَتْ السَّمَوَاتِ مِنْ حَرِّهَا . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْهَا .

ذكر الآثار عن السلف في الخمر :

ذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال : اذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فان لم تتروا وجهه مصروفا عن القبلة والا فاتركوه مصلوبا ، وعن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها فكررها عليه فقال : لا أقولها وأنا برئ منها ثم مات فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به الى النار فقال له : يا مسكين .. بم نزعك منك المعرفة ؟ فقال : يا أستاذ كان بي علة فأنيت بعض الأطباء فقال لي : تشرب في كل سنة قدحا من الخمر وان لم تفعل تبقى بك علتك ، فكننت اثريها في كل سنة لأجل التداوى فهذا حال من يشربها للتداوى فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟ نسأل الله العفو والعامة من كل بلاء .

وسئل بعض التائمين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة فسألت أهلهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة .

وقال بعض الصالحين : مات لى ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته فى المنام وقد شاب رأسه فقلت : يا ولدى .. دفنتك وأنت صغير فما الذى شريك فقال : يا أبت دفن جنبى رجل ممن كان يشرب الخمر فى الدنيا فزفرت جهنم لقمومه زفرة لم يبق منها طفل الا شاب رأسه من شدة زفرتها .
نعوذ بالله منها ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب فى الآخرة .

فالأوجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى قبل أن يتركه الموت وهو على أشرف حالة فيلقى في النار • نعوذ بالله منها •

(فصل) والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربيها كما يحد شارب الخمر وهي أخبت من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث وحيائة وغير ذلك من الفساد والخمر أخبت من جهة أنها تقضى الى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها ورأى أن أكلتها نعرز بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاما وليس كذلك بل أكلتها ينتشون ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر حتى لا يصبروا عنها ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها مع ما فيها من الديانة والتخنت وفساد المزاج والعقل وغير ذلك لكن لما كانت جامدة مطعونة ليست شرابا تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الإمام أحمد وغيره فقيل هي نجسة كالخمر المشروبة وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا ٠٠ ، لجهودها وقيل : يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لظنا ومعنى ٠ قال أبو موسى : يا رسول الله ٠٠ أفقتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن (البقع) وهو من العسل ينبذ حتى يشتد (المزر) وهو من الذرة والتسعر ينبذ حتى يشتد قال : وكان رسول الله ﷺ قد أعطى جوامع الكلم بخواتمه فقال ﷺ : « كل مسكر حرام » (رواه مسلم) وقال ﷺ : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولا أو مشروبا على أن الخمر قد يصنع بها يعنى الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب والخمر يشرب ويؤكل والحشيشة نشرب وتؤكل وإنما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام وقد قيل في وصفها شعر :

فأكلها وزارعها حلالا فتتك على الشقى بصيبتان
فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زنها للأنفس الخسيسة
فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا عشت في أكلها بأفجع عيشة
قيمة المرء جوهر فلمماذا يا أبا الجهل بعته بحشيشة
(حكاية) عن عبد الملك بن مروان أن شابا جاء إليه باكيا حزينا فقال :
يا أمير المؤمنين ٠٠ أنى ارتكبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة ؟ فقال :
وما ذنبك ؟ قال : ذنبي عظيم قال : وما هو ؟ ٠٠ فتب إلى الله تعالى فإنه
يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ٠٠ قال : يا أمير المؤمنين ٠٠ كنت
أنبش القبور وكنت أرى فيها أمورا عجيبة قال : وما رأيت ؟ قال : يا أمير
المؤمنين ٠٠ نبشت قبرا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه
وأردت الخروج وإذا أنا بقائل يقول فى القبر : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه
عن القبلة ؟ فقلت : لماذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفا بالصلاة هذا جزء
مثله ثم نبشت قبرا آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا وقد شد بالسلاسل
والأغلال فى عنقه فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لى : ألا تسأل
عن عمله ولماذا يعذب ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان يشرب الخمر فى الدنيا
ومات من غير توبة ٠ والثالث يا أمير المؤمنين ٠٠ نبشت قبرا فوجئت صاحبه
قد شد بالأرض بأوتاد من نار وأخرج لسفاه من قفاه فخفت ورجعت وأردت

الخروج فنوديت . ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى ؟ فقلت : لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز من البول وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزء مثله والرابع يا أمير المؤمنين . . نبشت قبراً فوجت صاحبه قد اشتعل ناراً فخفت وأردت الخروج فقلت : ألا تسأل عنه وعن حاله ؟ فقلت : وما حاله ؟ فقال : كان تاركاً للصلاة . والخامس يا أمير المؤمنين . . نبشت قبراً فرأيت أنه قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع والميت نائم على سرير وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخفتني منه هيبة وأردت الخروج فقلت لى : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة ؟ فقلت : لماذا أكرم ؟ فقلت لى : لأنه كان شاباً طائعاً نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته ، فقال عيد الملك عند ذلك : ان في هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين . فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة الى التوبة والطاعة جعلنا الله واياكم من الطائعين وجنبنا أفعال الفاسقين انه جواد كريم .

الكبيرة العشرون : القمار

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون » (١) والميسر هو القمار بأى نوع من نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير ذلك ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذى نهى الله عنه بقوله : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » (٢) وداخل في قول النبي ﷺ : « ان رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » (٣) وفي صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » فإذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل .

(فصل) اختلف العلماء في النرد والشطرنج اذا خليا عن رهن فاتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه » (أخرجه مسلم) وقال ﷺ : « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » (٤) وقال ابن عمر رضى الله عنهما :

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ . (٢) البقرة : ١٨٨ .

(٣) رواه البخارى كما قاله المؤلف في الرسالة الصغرى .

(٤) رواه مالك وأبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقى وقال الحاكم : صحيح على شرطهما .

اللعب بالنرد قمار كآكل لحم الخنزير واللعب بها من غير قمار كالدمن
بودك الخنزير .

قال . وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها سواء
أكان برهن أو بغيره أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف وأما الكلام إذا خلا
عن الرهن فهو أيضا قمار حرام عند أكثر العلماء وحكى إباحته في رواية
عن الشافعي إذا كان في خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة في وقتها
وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز ؟ فأجاب رحمه
الله تعالى : هو حرام عند أكثر أهل العلم . وسئل أيضا رحمه الله عن
لعب الشطرنج هل يجوز أم لا وهل يأثم اللاعب بها أم لا ؟ أجاب رحمه الله :
إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام والا فمكروه
عند الشافعي وحرام عند غيره وهذا كلام النووي في فتاويه .

والدليل على تحريمه على قول الأكثرين في قوله تعالى : « حرمت عليكم
المينة والدم ولحم الخنزير » (١) إلى قوله : « وأن تستقسموا بالأزلام » (٢)
قال سفيان ووكيع بن الجراح : هي الشطرنج وقال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه : الشطرنج ميسر الأعاجم ، ومرضى الله عنه على قوم
يلعبون بها فقال : ما هذه التمانيل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدكم
جمرا حتى يطفى خير له من أن يمسها ثم قال : والله لغير هذا خلقتكم
وقال أيضا رضي الله عنه : صاحب الشطرنج أكذب الناس يقول أحدهم :
قتلت وما قتل ومات وما مات وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه :
لا يلعب بالشطرنج إلا خاطيء وقيل لاسحاق بن راهويه : أتري في اللعب
بالشطرنج بأس ؟ فقال : البأس كله فيه فقليل له : أن أهل الثغور يلعبون
بها لأجل الحرب فقال : أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم
القيامة - أو قال : يحشر يوم القيامة - مع أصحاب الباطل .

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج فقال : هي أشر من النرد
وتقدم الكلام على تحريمه ، وسئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج
فقال : الشطرنج من النرد بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مالا ليقيم فوجدها
في تركة والد اليتيم فأحرقها ، ولو كان اللعب بها حلالا لما جاز له أن
يحرقها لكونها مال اليتيم ولكن لما كان اللعب بها حراما أحرقها فتكون من
جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم وجبت إراقته كذلك الشطرنج وهذا
مذهب حبر الأمة رضي الله عنه وقيل لأبراهيم النخعي : ما تقول في اللعب
بالشطرنج ؟ فقال : إنها ملعونة .

وروى أبو بكر الأثرم (١) في جامعه عن وائلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال : « ان الله في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب - يعنى لاعب الشطرنج - لانه يقول شاه مات » ، وروى أبو بكر الأثرم باسناده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الألام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم فانهم اذا اجتمعوا واكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحرق بهم كلما ذمب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده فلا يزالون يلعبون حتى يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت ولأنهم يكتبون عليها فيقولون : شاه مات » وروى عنه ﷺ أنه قال : « أشد الناس عذابا يوم القيامة صاحب الشاه - يعنى صاحب الشطرنج - ألا تراه يقول : قتلتك ، والله ما مات .. والله أفترى وكذب على الله » (٢) .

وقال مجاهد : ما من ميت يموت الا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقبل له : قل : لا اله الا الله فقال : شامك ثم مات فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب فقال : عوض كلمة الاخلاص شامك . وهذا كما جاء في انسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر أنه حين حضره الموت فجاءه انسان يلقيه الشهادة فقال له : اشرب واسقنى ثم مات فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وهذا كما جاء في حديث مروي : « يموت كل انسان على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه » (٣) فنسأل الله المنان بفضلته أن يتوفانا مسلمين لا مبطلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائفين انه جواد كريم .

الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المحصنات

قال الله تعالى : « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » (٤) وقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون » (٥) .

-
- (١) أحمد بن محمد بن هانيء أبو بكر الأثرم البغدادي صاحب الامام أحمد المتوفى سنة ٢٧٣هـ .
 (٢) قال المنذرى في الترغيب : وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث لا أعلم لشيء منها اسنادا صحيحا ولا حسنا ، والله أعلم .
 (٣) روى مسلم بلفظ آخر : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » . ذكره في أسنى المطالب .
 (٤) النور : ٢٣ ، ٢٤ .
 (٥) النور : ٤ .

بين الله تعالى في الآية أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وإن كان عدلاً . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات . والقذف أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة أو يقول لزوجها : يا زوج القحبة . أو يقول لولدها : يا ولد الزانية ، أو يا ابن القحبة أو يقول لبنتها : يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة فإن القحبة عبارة عن الزانية فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل : يا زاني أو قال لصبي حر : يا علق أو يا منكوح وجب عليه الحد ثمانون جلدة إلا أن يقيم بينة بذلك والبينة ما قال الله أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذلك الرجل فإن لم يقم بينة جلد إذا طالبته بذلك التي قذفها أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه : يا زاني أو لجاريته : يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال » وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة . في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها (١) في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله .. وأنا لمؤاخذون بها نتكلم به فقال : « نكلتك أمك (٢) يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد السنتهم » . وفي الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (٣) وقال تبارك وتعالى في كتابه العزيز : (ها يلقظ من قول لا لديه رقيب عتيد) (٤) وقال عقبه بن عامر : يا رسول الله .. ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسي (٥) .

وقال ﷺ : « إن أبغض الناس إلى الله الفاحش الذي يتكلم بالفحش

(١) يزل : أي يهوى ، من الزلل بالزاي .

(٢) أي فقدتك ولا يقصد معناه وإنما يجري على لسانهم عفواً .

(٣) رواه البخاري ومسلم في ضمن حديث أكرام الضيف والنهي عن أذى الجار . من المخذرى .

(٤) سورة ق : ٦٨ .

(٥) رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عنه .

وردي الكلام «(١) وقانا الله واياكم شر السنننا بمنه وكرمه انه جواد كريم «(٢) .

الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة

وهي من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى : « ان الله لا يحب الخائنين »(٣) وقال تعالى : « وما كان لنبي أن يغفل ، ومن يغفل يات بها غل يوم القيامة »(٤) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال . « لا ألفين (٥) أحكمم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء(٦) يقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحكمم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحة(٧) فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحكمم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء(٨) يقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحكمم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحكمم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق فيقول : يا رسول الله أغثنى فأقول : لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحكمم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول :

(١) في معناه حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا : « اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش » رواه النسائي في سننه الكبرى في التفسير منها والحاكم وصححه وكذلك حديثه : « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها » رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم وحديث ابن مسعود مرفوعا « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء » (رواه الترمذي باسناد صحيح أفاده العراقي) .

(٢) (فائدة) قال المؤلف في الصغرى : ولما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد نزول براءتها من السماء فهو كافر مكذب للقرآن فيقتل كفرا .

(٤) آل عمران : ١٦١ .

(٣) الأنفال : ٥٨ .

(٦) الرغاء : صوت البعير .

(٥) أي لا أجدن .

(٨) الثغاء : صوت الشاة .

(٧) الحمحة : صوت الفرس .

يا رسول الله أغتنى فأقول . لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك » (أخرج هذا الحديث مسلم) (١) .

(قوله) على رقبته رقاع نخفق أى ثياب وفماتس (قوله) على رقبته صامت : أى من ذهب أو فضه ، فمن أخذ شيئا من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال ويغير اذن الامام ، أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حمله على رقبته كما ذكر الله تعالى في القرآن : « ومن يغفل يأت بها غل يوم القيامة » .

ولقول النبي ﷺ : « أدوا الخيط والمخيط واياكم والغلول فانه عار على صاحبه يوم القيامة » ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم وقال : هذا لكم وهذا اهدى الى قصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله واننى عليه الى ان قال : « والله لا يأخذ احد منكم شيئا بغير حقه الا جاء يوم القيامة يحمله فلا اعرف رجلا منكم لقي الله يحمل يعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه ﷺ فقال : « اللهم هل بلغت » (٢) .

وعن أبي هريرة (٣) قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ثم انطلقنا الى الوادي (يعنى وادي القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بنى حزام (يدعى رفاعة بن يزيد من بنى الضبيب) فلما نزلنا (الوادي) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حقه فقلنا : هنيئاً له بالشهادة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : « كلا ٠٠ والذي نفسى بيده ٠٠ ان الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم لم تصبها القاسم » قال : ففرع الناس مجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال : أصبت يوم خيبر) فقال رسول الله ﷺ : « شراك أو شراكين من نار » (متفق عليه) (٤) وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كان على نقل رسول الله ﷺ رجل يقال له : كركرة ، فمات ، فقال النبي ﷺ : « هو في النار » فذهبوا

(١) يعنى بها اللفظ والا فقد عزاه في الترغيب للبخارى أيضاً وقال : واللفظ لمسلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى حميد الساعدي ، الخوار : صوت البقر ، واليعار : صوت الغنم المنذرى .

(٣) وكذا رواه أبو داود والنسائي والزيادات بين قوسين أثناء الحديث في لفظ الحديث في الترغيب والترهيب لم تكن في الأصل وقد كان فيه بين لفظي ذهباً وورقاً كلمة فضة حذفتها لحكم وجودها في لفظ الحديث في الترغيب ولأنها تكرار لفظ ورقاً والشملة كما قال المنذرى كساء أصفر من القطيفة يتشع به .

(٤) رواه مالك وأحمد . وأبو داود والنسائي وابن ماجه بنحو مما هنا كما في المنذرى .

ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلبها (١) ، وعن زيد بن خالد الجهني أن رجلا غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه وقال : « ان صاحبكم غل في سبيل الله » قال : ففمنعنا مناعه فوجدنا فيه خرزا من خرز اليهود ما يساوي درهمين . قال الامام أحمد رحمه الله : ما نعلم أن النبي ﷺ امتنع من الصلاة على أحد الا على المغال وقتل نفسه وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « هدايا العمال غلول » (٢) .

وفي الباب احاديث كثيرة ويأتي بعضها في باب الظلم ، والظلم على ثلاث اسماء (أحدا) أكل المال بالباطل (وثانيها) ظلم العباد بانفيل والضرب والكسر والجراح (وثالثها) ظلم العباد بالثبتم واللعن والنسب والذف ، وقد خطب النبي ﷺ بمعنى فقال : « ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » (متفق عليه) .

وقال ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » (٣) .
فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة

قال الله تعالى : « واللسارق والنسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » (٤) قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع في سرقة اموال الناس والله عزيز في انتقامه من السارق حكيم فيما أوجبه من قطع يده وقال ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولكن التوبة معروضة » (٥) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٦) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا (٧) . وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : لا

(١) رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وكان في الأصل ابن عمر غلطا فصحناه (عمرو) والنقل محرقة الغنيمة وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما أفاده المنخري .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه من حديث أبي حميد الساعدي وله شواهد من حديث حذيفة وابن عباس وجابر أفاده في كشف الخفاء .

(٣) رواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ مشكاة .

(٤) المائدة : ٣٨ .

(٥) تقدم عزوه فيا تقدم في الكبيرة العاشرة .

(٦) متفق عليه كما في المشكاة وبلوغ المرام .

(٧) متفق عليه .

« لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن » (١) . ميل لسانه رضى الله عنها . وما ثمن المجن ؟ قالت : ربع دينار . وفي روايه : قال : « اقطعوا نى ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك » (٢) ، كان ربع الدينار يومئذ نلانه درهم ، الدينار اثنتى عشر درهما .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله السارق يديرن الببضة ممطع يده وبسرى الحبل ممطع يده » (٣) . قال الاعشى : حازرا يرون انه يبيض الحديد والحبل كالوا يرون ان منها ما يساوى منه نلانه درهم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت مخزومية تستعير المتاع وتبتجده فأمر النبى ﷺ بقطع يدها فأنى اهلها اسامه بن زيد فكلموه فيها فكلهم النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ : « يا اسامة .. لا اراك تسفح فى حد من حدود الله تعالى » ثم قام النبى ﷺ خطيبا فقال : « اسما اهلك من كنز قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم انسرف تركوه واذا سرق معهم الضعيف قطعوه ، والذي نفسى بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرت لقطعت يدها » (٤) . فقطع يد المخزومية .

وعن عبد الرحمن بن جرير (٥) قال : سألنا مضالمة بن عبيد عن تعليق يد السارق فى عنقه امن السنة ؟ قال . أتى النبى ﷺ بسارق مقطع يده ثم أمر بها فعلق فى عنقه . قال العلماء : ولا تنفع السارق توبته الا ان يرد ما سرقه فان كان مفلسا تحل من صاحب المال ، والله أعلم .

الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق

قال الله تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » (٦) .

(١) هي لفظ مسلم كما فى بلوغ المرام .

(٢) لفظ رواية أحمد ا ه منه .

(٣) متفق عليه كما فى المشكاة .

(٤) متفق عليه واللفظ لمسلم كما فى المشكاة .

(٥) رواه الترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجه كذا فى المشكاة .

(٦) المائدة : ٣٣ .

قال الواحدى (١) رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله : يعصونهما ولا يطيعونهما كل من عصاك فهو محارب لك ويسعون فى الأرض فسادا : أى بالقتل والسرقة وأخذ الاموال . وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله . وهذا قول مالك والأوزاعى والشافعى (قوله) ان يقتلوا الى قوله : أو ينفوا من الأرض قال الوالى (٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما . (أو) أدخلت للتخيير ومعناها الإباحة ان شاء الامام قتل ، وان شاء صلب وان شاء نفى . وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقال فى رواية عطيه (٣) : (أو) ليست للإباحة انما هى مرتبة للحكم باختلاف الجنايات فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ومن سفك الدماء وكف عن الاموال قتل ومن أخاف السبيل ولم يقتل نفى من الأرض وهذا مذهب الشافعى رضى الله عنه وقال الشافعى أيضا : يحد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع الى أهله يدفعونه ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت فان عاد وسرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان عاد وسرق قطعت يده اليسرى لما روى عن النبى ﷺ قال فى السارق . « ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ثم ان سرق فامطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله » (٤) ولأنه فعل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار الى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى وذلك معنى قوله : من خلاف .

(١) هو أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على بن متوبة بفتح الميم وتشديد التاء المثناة صاحب التفسير المشهورة « البسيط والوسيط والوجيز وأسباب نزول القرآن والتحجير فى شرح أسماء الله الحسنى » وشرح ديوان أبى الطيب المتنبى شرحا مستوفيا ليس فى شروحه على كثرتها مثله وذكر فيه أشياء غريبة وكان الواحدى تلميذ أبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى المفسر المشهور وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه ، توفى سنة ٤٦٨ هجرية فى جمادى الآخرة ١١٠٠ هـ من ابن خلكان .

(٢) يعنى على بن أبى طلحة الوالى راوية تفسير ابن عباس وان كان فى سماعه منه كلام ، راجع ترجمته فى الميزان للذهبى .
(٣) يعنى ابن سعد العرفى مختلف فى توثيقه صدوق يخطئ كثيرا وكان يجلس افاده فى التقريب .

(٤) رواه أبو داود والنسائى من حديث جابر واستنكره وأخرجه من حديث الحارث أبى حاطب نحوه وذكر الشافعى ان القتل فى الخامسة منسوخ ١١٠٠ هـ بلوغ المرام .

وقوله تعالى . « أو ينقوا من الأرض » قال ابن عباس : هو أن يهجر
الامام دمه فيقول : من لقيه فليقتله هذا ميم لم يفدر عليه فاما من مبص عليه
فنفية من الأرض الحبس والسجن لأنه اذا حبس ومنع من التقلب في البلاد
مقد نفى منها . أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعرا :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ملسنا من الأحياء فيها ولا انونى
إذا جاءنا انسجان يوما لحاجه نجبنا وملنا : جاء هذا من الدنيا

قال : فبمجرد قطع الطريق وإخافه السبيل قد ارتكب الكبيرة فكيف اذا
أخذ المال أو جرح أو قتل فعل عدة كباثر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة
وانفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواطه وغير ذلك ، نسال الله العافيه
من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم غفور رحيم .

الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين النعوس

قال الله تعالى : « ان الذين يشتركون بعدد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك
لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكهم
ولههم عذاب أليم » (١) قال الواحدى (٢) : نزلت في رجلين اخصما الى
النبي ﷺ في ضيعة فهم المدعى عليه ان يحلف فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى
عن اليمين وأقر بحقه . وعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف
على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه
غضبان » (٣) فقال الأشعث : في والله نزلت ، كان بينى وبين رجل من
اليهود أرض فجحنتى فقدمته الى النبي ﷺ فقال : « لك بينة » ؟ قلت :
لا . قال لليهودى : « احلف » قلت : يا رسول الله . . انه اذن يحلف
فيذهب بمالى فأنزل الله تعالى : « ان الذين يشتركون بعدد الله وأيمانهم ثمنا
قليلا » أى عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين « أولئك
لا خلاق لهم في الآخرة » أى لا نصيب لهم في الآخرة « ولا يكلمهم الله » أى
بكلام يسرهم « ولا ينظر اليهم » نظرا يسرهم يعنى الرحمة « ولا يزكهم »
ولا يزيدهم خيرا ولا يثنى عليهم .

وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف
على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان » قال عبد الله :
ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصحيحه من كتاب الله : « ان الذين يشتركون بعدد
الله وأيمانهم ثمنا قليلا » الى آخر الآية أخرجاه في الصحيحين . وعن أبى أمامة

(١) آل عمران : ٧٧ .

(٢) تقدمت ترجمته فريبا .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه مختصرا .

وتفسير الآية في آخر الحديث من صنيع المؤلف .

قال . كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال رجل : وإن كان يسيرا يا رسول الله ؟ قال : « وإن كان قضيبا من أراك » (أخرجه مسلم) (١) في صحيحه قال حفص بن ميسرة : ما أشد هذا الحديث . فقال : ليس في كتاب الله تعالى : « ان الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا » (٢) الآية . وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » مقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال أبو ذر : خابوا وحسروا يا رسول الله من هم ؟ قال : « المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » (٣) وقال ﷺ : « الكبائر . الاسراك بالله وعقوق المواليدين وقتل النفس واليمين الغموس » (أخرجه البخاري) (٤) في صحيحه ، والغموس : هي التي يتعمد الكذب فيها سميت غموسا لأنها تنفوس الحالف في الاثم وقيل : في النار (٥) .

(فصل) ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسما والماء والحياة والأمانة وهي من أشد ما هنا والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان .

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ان الله ينهاكم ان تحلفوا بأبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت » (٦) وفي رواية في الصحيح : « فمن كان حالفا فلا يحلف الا بالله أو ليسكت » .

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم » (رواه مسلم) (٧) . الطواغي : جمع طاغية وهي الأصنام ومنه الحديث : « هذه طاغية دوس » أي صنمهم ومعبودهم وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف بالأمانة فليس منا » (رواه أبو داود وغيره) وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله

(١) رواه النسائي وابن ماجه ومالك كلهم من حديث أبي امامة اياس ابن ثعلبة الحارثي هـ منخري . (٢) آل عمران : ٧٧ . (٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . (٤) رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقد تقدم مرارا .

(٥) عبارة المنذرى : تغمس الحالف بها في الاثم في الدنيا وفي النار في الآخرة وهي أحسن مما هنا : من جعلها قولين فيها .

(٦) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه قاله المنذرى .

(٧) كان في الأصل أبو عبد الرحمن وهو غلط وإنما هو عبد الرحمن ابن سمرة بن أبي حبيب من مسلمة الفتح افتتح سجستان روى له الستة سكن البصرة . مات بعد سنة ٥٠ ، أفاده في التقريب .

صلى الله عليه وسلم : « من حلف فقال : انى برىء من الاسلام فان كان كاذبا فهو كما قال وان كان صادقا فلن يرجع الى الاسلام سالما » (١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلا يقول : والكعبة . . فقال : تحلف بغير الله ؟ نانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك » (رواه الترمذى وعسنه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهم) (٢) قال : وفسر بعض العلماء قوله : كفر أو أشرك على التغليظ كما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « الرياء شرك » .

وقال، ﷺ : « من حلف فقال فى حلفه . واللوات والعزى . . فليقل . لا اله الا الله » (٣) وقد كان فى الصحابة من هو حديث تهدد بالحلف بها قبل اسلامه فربما سبق لسانه الى الحلف بها فأمره النبى ﷺ ان يبادر بقوله : لا اله الا الله ليكفر بذلك ما سبق الى لسانه ، وبالله التوفيق .

الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم

بأكل اموال الناس وأخذها ظلما وظلم الناس بالضرب والنستم والنعدى والاستطالة على الضعفاء قال الله تعالى : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار . مهطعين مقتعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم ، وأنذرتهم هواء . وأنذر الناس يوم ياتنيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ، أو لم تكونوا اقسمت من قبل مالكم من زوال . وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال » (٤) وقال تعالى : « انما السبيل على الذين يظلمون الناس » (٥) وقال تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » (٦) .

وقال ﷺ : « ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته » (٧) ثم

(١) أى عن بريدة رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما . . منه .

(٢) وسكت على ذلك المنذرى فى ترغيبه لكن قال المصنف فى الصغرى : اسناده على شرط مسلم وساقه من حديث الحسن بن عبيد الله النخعى عن سعد بن عبيدة .

(٣) قال فى الصغرى : متفق عليه يعنى رواه البخارى ومسلم .

(٤) ابراهيم : ٤٢ - ٤٥ . (٥) الشورى : ٤٢ .

(٦) الشعراء : ٢٢٧ .

(٧) رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث أبى موسى الأشعرى .

قاله المنذرى .

(٦ - الكبائر)

قرأ رسول الله ﷺ : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، ان أخذهم لليم شديد » (١) • وقال ﷺ : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » (٢) •

وقال ﷺ عن ربه تبارك وتعالى انه قال : « يا عبادي .. اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » (٣) وقال رسول الله ﷺ : « اتدرون من المفلس ؟ قالوا : يا رسول الله .. المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع • فقال : « ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج فيأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا ونبش عن عرض هذا وضرب هذا وسفك دم هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار » (٤) وهذه الأحاديث كلها في الصحاح (٥) وتقدم حديث « ان رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وتقدم قوله (٦) لمعاذ حين بعثه الى اليمن : « واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » (٧) وفي الصحيح : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » •

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : « اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصرا غيري » وأنشد بعضهم :

لا تظلمن ما كنت مقتصدرا فالظلم يرجع عقبا الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء وقال أبو هريرة رضي الله عنه . ان البخاري لتموت في وكرها هزالا من ظلم للظالم وقيل : مكتوب في التوراة : ينادي مناد من وراء الجسر - يعني الصراط -

(١) هود : ١٠٢ •

(٢) رواه البخاري والترمذي من حديث أبي هريرة هـ مخفري •

(٣) رواه مسلم والترمذي وهو من حديث أبي ذر الطويل •

(٤) رواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة •

(٥) تقدم في القمار رواه البخاري •

(٦) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث طويل عن ابن عباس •

(٧) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وشواهد كثيرة كما في

البخاري •

يا معشر الجبابرة انطفأة .. ويا معشر المترعين الأنبياء .. ان الله حلف بعمره وجلاله أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم . عن جابر (١) قال : لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح الى رسول الله ﷺ قال : « ألا نخبرونى باعجب ما رأيتم بأرض الحبشة » ؟ فقال فتية كانوا منهم : بلى يا رسول الله .. بينما نحن يومها جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت فلتها فلما قامت التفتت اليه ثم قالت : سوف تعلم يا غادر اذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم من أمرى وأمرك عنده غدا . فقال رسول الله ﷺ : « صدقت .. كيف يقدر الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم » .

إذا المظلوم استتوطأ الظلم مركبا ولج عتوا في مبيح اكتسابه
مكمله الي صرف الزمان وعسله سيجو له ما لم يكن في حسابه

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « خمسة غضب الله عليهم ، ان شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والا أمر بهم في الآخرة الى النار . أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوى بين القوى والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته ورجل ظلم امرأة صدامها » .

وعن عبد الله بن سلام قال : ان الله تعالى لما خلق الخلق واستتوا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم الى السماء وقالوا : يا رب .. مع من انت ؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ، وعن وهب بن منبه قال : بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه كوخا تاوى اليه فركب الجبار يوما وطاق حول القصر فرأى الكوخ فقال : لمن هذا ؟ فقيل : لامرأة فقيرة تاوى اليه فأمر به فهدم فجاءت العجوز فرائته مهدوما فقالت : من هدمه ؟ فقيل : الملك رآه فهدمه . فرفعت العجوز رأسها الى السماء وقالت : يا رب .. اذ لم أكن انا حاضرة فإين كنت أنت ؟ قال : غامر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل : لما حبس خالد بن برمك وولده قال : يا أبت بعد العز صرنا في القيد والحبس فقال : يا بنى .. دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل

(١) عزا المرفوع مئة في الجامع الصغير الى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وصححه وذكر شاهدا له من حديث بريدة عند أبى بعلى والبيهقى . وعلم عليه بالصحة أيضا .

الله عنها وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هيت أحداً فط هيتي رجلا ظلمته وإنه أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لى : حسبى الله ، الله بينى وبينك .
وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر مكتوب عليه من السجن هذين البيتين شعرا :

أما والله ان الظلم شؤم وما زل المسىء عى الظالم
ستعلم يا ظنوم اذا التقينا غدا عند المليك من الظنوم

وعن أبى أمامة قال : « يجىء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به فما يبرح أنذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينفذوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا إلى الدرك الأسفل من النار » (١) .

وعن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك العيان . لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا » قلنا : يا رسول الله . كيف وانها نأتى حفاة عراة فقال : « بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحدا » (٢)
وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من ضرب سوطا ظلما اقتصر منه يوم القيامة » (٣) . ومما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا شديدا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب ؟ فقال المعلم : أعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك

(١) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبى أمامة مرفوعا ورواته مختلف في توثيقهم قاله المنذرى .

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن قاله المنذرى وعزاه ابن القيم في صواعقه إلى أبى يعلى الموصلى في مسنده والبخارى في الأدب المفرد والضيء في المختارة والطبراني في المعجم والسنة وغيرهم وحسن أسناده وهو من رواية همام بن يحيى عن أنقاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر في رحلته إلى الشام إلى عبد الله بن أنيس فذكره وعلقه البخارى في أول صحيحه مجزوما به وفي آخره بلفظ : ويذكر عن جابر . الخ .

(٣) رواه البزار والطبراني بإسناد حسن من حديث أبى هريرة قاله المنذرى .

فأردت أن أذيقك ألم بالضرب والم الظلم حتى لا تنظّم أحدا • فقال : جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه •

ومن الظلم أخذ مال اليتيم ونفد من معاذ بن جبل حين قال له رسول الله ﷺ : « واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » (١) • وفي رواية : « أن دعاء المظلوم رنح فوق الغمام ويمول الرب نبارك وتعالى : وعزتي وجلالي • • لأنصرك ولو بعد حين » (٢) •

وأنشد شعرا :

توق دعا المظلوم أن دعاءه ليرفع فوق السحب ثم يجاب
نوق دعا من ليس بين دعائه وبين الله العالين حجاب
ولا تحسبن الله مطرعا له ولا أنه يحفى عليه خطاب
فتد صبح أن الله قال : وعزتي لأنصرك المظلوم وهو مثاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه جبول والا غفله فمصاب
(فصل) ومن أعظم الظلم المماثلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما
ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « مظل النفي ظلم » وفي رواية :
« لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » أى يحل شكايته وجبسه •

(فصل) ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل في قوله ﷺ : « لى الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » • وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق : هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم ذرا : « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » (٣) قال : فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق : ائتوا الى حقوقكم • قال : فيقول الله تعالى للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذى حق حقه بقدر طلبته فان كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها وان كان عبدا شقيا ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة ربنا • • فنبت حسناته وبقي طالبوه فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها الى سيئاته ثم صك له صكا الى النار ، ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي

-
- (١) تقدم قريبا أنه رواه البخارى ومسلم وابو داود والنسائي من حديث ابن عباس •
(٢) رواها أحمد في حديث لأبى هريرة والترمذى وحسنه ، وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما قاله الخضرى •
(٣) المؤمنون : ١٠١ •

ﷺ : « أتدرون من المفلس » ؟ (١) فذكر أن المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته فان فنيت حسناته قيل ان يفضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرح عليه تم طرح في النار .

(فصل) ومن الظلم أن يستأجر أجيرا أو انسانا في عمل ولا يعطيه أجرته لما نبت في صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا استوفى منه العمل ولم يعطه أجرته » وكذلك اذا ظلم يهوديا أو نصرانيا أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فهو داخل في قوله تعالى : « أنا حججه - أو قال : أنا خصه - يوم القيامة » . ومن ذلك ان يحلف على دين في نمته كاذبا فاجرا لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » قيل : يا رسول الله . . وان كان شيئا يسيرا ؟ قال : « وان كان قضيبا من أراك » .

فخف القصاص غدا الا أوفيت ما	كسبت يداك اليوم بالقسطاس
في موقف ما فيه الا شاخص	أو مهطع أو مقنع للراس
اعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم	نار وحاكمهم نسديد الباس
ان تمطل اليوم الحقوق مع الغنى	فغدا تؤديها مع الافلاس

وقد روى أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي ﷺ : « لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلاء من الشاة القرناء » (٢) وقال ﷺ : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار » (٣) . وروى عبد الله بن أبي الدنيا بسنده الى أبي أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامراته ، والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولى

(١) تقدم قريبا رواه مسلم والترمذى من حديث أبي هريرة .

(٢) رواه مسلم والترمذى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٣) رواه البخارى والترمذى من حديث أبي هريرة قاله البخارى في ترغيبه .

زوجته من خير أو شر ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم
حوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هذا الظالم تدفع الى هذا المظلوم وسيئات
هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ثم يؤتى بالجبارين في مقامح من حديد
فيقال : سوتوهم الى النار ﴿١﴾ وكان شريح القاضي يقول : سيعلم الظالمون
حق من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب .
وروى أنه اذا أراد الله بعبد خيرا سلب الله عليه من ظلمه ، ودخل طاوس
اليمنى على هشام بن عبد الملك فقال له . اتق الله يوم الأذان . قال
هشام : وما يوم الأذان ؟ قال : قوله تعالى : « فَأَتْنِ وَتُنْ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ » (١) فصنع هشام فقال طاوس : هذا ذل الصفة فكيف
بذل العائنة ؟ يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم
والحق الحاكم .

(فصل) في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم قال
الله تعالى : « وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ » (٢) والركون هنا
المسكون الى الشيء والميل اليه بالمحبة قال ابن عباس رضى الله عنهما
لا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة وقال السدى وابن زيد :
لا تدهنوا الظلمة وقال عكرمة : هو أن يعطيهم ويؤدبهم وقال أبو العالية :
لا ترضوا بأعمالهم « فتهمسكم النار » (٢) فيصيبكم لفتحها « وما لكم بمن
دون الله من أولياء » (٢) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ما لكم من مانع
يمنعكم من عذاب الله « ثم لا تقصرون » (٢) لا تمنعون من عذابه وقال تعالى :
« احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ » (٣) أى أشباههم وأمثالهم وأتباعهم وعن
ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء يغتصبهم
غواش - أو حواش - من الناس يظلمون ويكذبون فمن دخل عليهم وصدقهم
بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ومن لم يدخل عليهم ولم
يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه » (٤) وعنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ :
« من أعان ظالما سلب الله عليه » (٥) وقال سعيد بن المسيب رحمه الله :
لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة الا بانكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم
الصالحة . وقال مكحول الحمشتى : ينادى مناد يوم القيامة : أين الظلمة

﴿١﴾ رواه الطبراني في مسنده عن عبد الله بن عبد العزيز الليثي وهو
ضعيف . ووثقه سعيد بن منصور وقال : كان مالك يرضاه . مجمع الزوائد .
(١) الأعراف : ٤٤ . (٢) هود : ١١٣ . (٣) الصافات : ٢٢ .
(٤) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد
الخدري لا ابن مسعود كما في المنبرى قلعل ما هنا من خطأ النسخ .
(٥) عزاء السيوطي في جامعه الصغير الى ابن عساکر عن ابن مسعود
وأشار الى ضعفه .

وأعوانهم ؟ .. فما أحد مد لهم خبرا أو حبر لهم دواة أو برى لهم قلمًا فما فوق ذلك الا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم . وجاء رجل خياط الى سفیان الثوري فقال : انى رجل أخيط ثياب السلطان .. هل انا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفیان : بل انت من الظلمة انفسهم ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الابرة والخيط .

وقد روى عن النبى ﷺ انه قال : « أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الاسواط يضربون بها الناس بين يدى الظلمة » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة : أعوان الظلمة .

وقد روى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام أن مر ظلمة بنى اسرائيل ان يلقوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرى وان ذكرى اياهم أن ألعنهم ، وفى رواية : فانى أذكر من ذكرى منهم باللعنة (١) وجاء عن النبى ﷺ انه قال : « لا يقف أحدكم فى موقف يضرب فيه رجل مظلوم فان اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان اذا لم يدفعوا عنه » .

وروى عن رسول الله ﷺ انه قال : « أتى رجل فى قبره فقيل له : انا ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع اليهم حتى صاروا الى ضربة واحدة فضربوه فالتهب القبر عليه نارا فقال : لم ضربتمونى هذه الضربة ؟ فقالوا : انك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره » (٢) فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم ؟ .

وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » ، فقال : يا رسول الله .. انصره اذا كان مظلوما فكيف انصره اذا كان ظالما ؟ قال : « تمنعه من الظلم فان ذلك نصره » (٣) .

ومما حكى قال بعض العارفين : رأيت فى المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة فى حالة قبيحة فقلت له : ما حالك ؟ قال : شر حال فقلت : الى أين صرت ؟ قال : الى عذاب الله قلت : فما حال الظلمة عنده ؟ قال : شر حال أما سمعت قول الله عز وجل : « وسيعلم الذين ظلموا أى مقلب ينقلبون » (٤) ومما حكى قال بعضهم : رأيت رجلا مقطوع اليد من

(١) رواه الطبرانى باسناد حسن من حديث ابن عباس بلفظ : يقتل فيه رجل ظلما .. الخ اهترغيب .

(٢) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وفى سنده يحيى بن عبد الله البجلي وهو ضعيف قاله فى مجمع الزوائد وعزاه فى الترغيب الى كتاب التوبيخ لآبى الشيخ ابن حبان وأشار لضعفه .

(٣) رواه البخارى من حديث أنس ومسلم من حديث جابر قاله المنخري فيه . (٤) الشعراء : ٢٢٧ .

الكتف وهو ينادى : من رأى فلا يظلمن احدا فقدمت اليه فقلت له : يا أخى .. ما قصتك ؟ قال : يا أخى .. قصة عجيبة وذلك انى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوما صيادا وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني فجنّث اليه فقلت : أعطنى هذه السمكة فقال : لا اعطيكها أنا آخذ بمنها قوتا لعالى فضربته وأخذتها منه قهرا ومضيت بها . قال : فبينما أنا أمشى بها حاملها اذ عضت على ابهامى عضه قوية فلما جنّث بها الى بيتى وألقيتها من يدي ضربت على ابهامى وألمتني ألما شديدا حتى لم انم من شدة الوجع والألم وورمت يدي فلما أصبحت اتيت الطبيب وشكوت اليه الألم فقال : هذه بدء الآكلة اقطعها والا تقطع يديك فقطعت ابهامى تم ضربت على يدي فلم أطلق النوم ولا القرار من شدة الألم فقل لي : اقطع كفك فقطعته وانتشر الألم الى الساعد وآلانى ألما شديدا ولم أطلق القرار وجعلت أستغيث من شدة الألم فقل لي : اقطعها الى المرفق فقطعتها فاننتشر الألم الى العضد وضربت على عضدى أشد من الألم الاول فقل لي : افطع يدك من كتفك والا سرى الى جسدك كله فقطعتها فقال لي بعض الناس : ما سبب ألمك ؟ فذكرت قصة السمكة فقال لي : لو كنت رجعت في أول ما أصابك الألم الى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضوا فاذهب الآن اليه واطلب رضاه فبل أن يصل الألم الى يدك قال : فلم ازل أطلبه في البند حنى وجدته فوقعت على رجليه أقبلها وأبكى وقلت له : يا سيدى .. سألنك بالله الا ما عفوت عنى فقال لي : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذى أخذت منك السمكة غصبا وذكرتك ما جرى وأريته بدى فبكى حين رآها ثم قال : يا أخى .. قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء . فقلت : يا سيد .. بالله هل كنت قد دعوت على لما أخذتها ؟ قال : نعم .. قلت : اللهم ان هذا تقوى على بقوته على ضعفى على ما رزقتنى ظلما فارنى قدرتك فيه . فقلت : يا سيدى .. قد اراك الله قدرته في وانا تائب الى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ولا عدت اقف لهم على باب ولا اكون من أعوانهم ما دمت حيا ان شاء الله ، وبالله التوفيق .

(موعظة) اخوانى .. كم أخرج الموت نفسا من دارها لم يدارها وكم أنزل أجسادا بجارها لم يجارها وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها .
تسعر :

يا معرضا بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعا أو كارهيا
ان الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحي وغرس الحدائق ،
ونال الامانى وركب العواتق ، صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطوقه
في لهوه أقطع طارق وزجرت عليه وعود وصواعق ، وحل به ما شيب بعض
المفارق ، وقلاه الحبيب الذى لم يفارق ، وهجره الصديق والرفيق الصادق ،

ونقل من جوار المخلوقين الى جوار الخالق ، نازله والله الموت فلم يحاشه ،
وأذله بالقهر بعد عز جاشه ، وأبجله خشن التراب بعد لين فراشه ، وخرقه
الدود في قبره كتمزيق قماشه ، ويبقى في ضنك شديد من معاشه ، وبعد
عن الصديق فكأنه لم يماشه . ما نفعه والله الاحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ،
بل ضره من الزاد الاعواز ، وصار والله عبيرة للمجتاز ، وقطع شاسعا من
السبل الأوفاز ، وبقي رهينا لا يدرى اهلك أم ناز ، وهذا لك بعد أيام ، وما أنت
فيه الآن أحلام ، ودفنيك لا تصلح وما سمعت سقراء غدا على التهام ،
ويقع لى ولك ، ويحك . . . أما يؤثر فيك هذا الكلام ؟



الكبيرة السابعة والعشرون : المكس

وهو داخل في قوله تعالى . « انما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم » (١) والمكاس من أكبر
أعوان الظلمة بل هو من الظلمة أنفسهم فانه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن
لا يستحق ، ولهذا قال النبي ﷺ : « المكاس لا يدخل الجنة » وقال ﷺ .
« لا يدخل الجنة صاحب مكس » (رواه أبو داود) وما ذاك الا لانه
يتقصد مظالم العباد ومن اين للمكاس يوم القيامة ان يؤدى للناس ما اخذ
منهم ؟ انما يأخذون من حسناته ان كان له حسنات وهو داخل في قول
النبي ﷺ : « اندرون من المفلس » ؟ قالوا : يا رسول الله . . . المفلس فينا
من لا درهم له ولا متاع قال : « ان المفلس من امتي من يأتى بصلاة وزكاة وصيام
وحج ويأتى وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا فيؤخذ لهذا من حسناته
وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من سيئاتهم
فطرحت عليه ثم طرح في النار » (٢) .

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم : « لقد تابت توبة لو تابها
صاحب مكس لغفر له - أو لقبلت منه » والمكاس من فيه شبه من قاطع
الطريق وهو من اللصوص . وجابى المكس وكاتبه وشاهده وأخذه من جندي
وشيخ وصاحب راية شركاء في الوزر أكلون للسحت والحرام وصح ان رسول
الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت ، النار أولى به » والسحت :
كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكره الواحدى (٣) رحمه الله في تفسير قوله تعالى : « قل لا يستوي
الخبيث والطيب » (٤) وعن جابر أن رجلا قال : يا رسول الله . . . ان الخمر

(١) الشورى : ٤٢ .

(٢) رواه مسلم والترمذى من حديث أبى هريرة كماً في الترغيب للمنفردى .

(٣) ذكره في تفسيره الوسيط بلا سند وقال السيوطي في لباب النقول

(٤) المائدة : ١٠٠ .

في أسباب النزول بسند ضعيف .

كانت تجارتى وانى جمعت من بيعها مالا فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ان أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ، ان الله لا يقبل الا الطيب » ، فأنزل الله تعالى تصديقا لقول رسول الله ﷺ : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » (١) قال عطاء والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية .

(موعظة) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس . وعمر الحقائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهى ورأى الملتبس ، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ، أزجه والله عافم اللذات واخنلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به الى دار البلاء فانطمس ، وتركه في ظلام ظلمه من الجهل واندنس ، فالعاقل من أباد أيامه نان العواقب في خلس . ينظر :

وتبني وتجمع والآثار تنحرس	وذئبل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فما في العيش من طمع	لا بد ما ينتهى أمر وينعكس
أين الملوك وأبناء الملوك ومن	كانوا إذا الناس قاموا هيبة جنسوا
ومن سيوفهم في كل معترك	تخسى ودونهم الحجاب والحرس
اضحوا بهلكة في وسط معركة	صرعى وصاروا بطن الأرض وانطمسوا
وعصم حدث وضمهم حدث	باتوا فهم جنث في الرمس قد حبسوا
وكانهم قط ما كانوا وما خلقوا	ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عينك ما صنعت	أيدى البلاء بهم والسود يفترس
لعاينت منظرا تشجى القلوب له	وأبصرت منكرا من دونه البلس
من أوجه ناضرات حار ناظرها	وليس تبقى لهذا وهى تنتهس
وأعظم باليات ما بها رمق	في رونق الحسن منها كيف ينطمس
والسن ناطقات زانها أدب	ما شأنها شأنها بالآفة الخرس
حاتم يا ذا النهى لا ترعوى سفها	ودمع عينيك لا يهمل وينبجس

(موعظة) يا من يرحل في كل يوم مرحلة ، وكتابه تد حوى حتى انخرطه ، ما ينفع بالذخير والذخر متصلة ، ولا يصغى الى ناصح وقد عذله ، ودروعه مخرفة والسهام مرسلة ، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله ، وهو يؤمل البقاء ويرى مصير من قد أمله ، قد انعكف بعد النسيب على العيب بصباية ووله ، كن كيف شئت فبين يديك السساب والزلزلة ، ونعم جلدك فلا بد للحيدان أن تأكله ، فياعجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة ، استيقن من غرور وبله ، ويحك يا هذا . . من استدعاك وفتح منزله ، فقد

أولاً لو علمت منزله ، فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .



الكبيرة الثامنة والتسرون : أقل الحرام ونأكله على أي وجه كان

قال الله عز وجل : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ » (١) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعنى باليمين انباطلة الكاذبة يفتنع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين : أحدهما ان يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة . والثاني على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك ، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « ان رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم اثنان يوم القيامة » (٢) وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يا رب يا رب . . . ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك . وعن أنس رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله . . . ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة . فقال ﷺ : « يا أنس . . . أطب كسبك تجب دعوتك فان الرجل ليرفع اللقمة من الحرام الى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوماً » (٣) ، وروى البيهقي بإسناده الى رسول الله ﷺ قال : « ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من يحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ، ان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن » (٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا طوة خضرة ، من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان ورب متخوض (فيما) (٥) اشتته نفسه

(١) البقرة : ١٨٨ .

(٢) من حديث خولة الأنصارية .

(٣) ذكره المنذرى في ترغيبه عن حديث ابن عباس وأن الذي طلب دعوة الرسول في اجابة دعوته هو سعد بن أبي وقاص وعزاه الى الطبراني .

(٤) عزاه في الترغيب الى رواية أحمد من حديث ابن مسعود وقال : قد حسنها بعضهم .

(٥) عبارة الترغيب هكذا في مال الله ورسوله .

من الحرام) له النار يوم القيامة « (١) وجاء عنه ﷺ أنه قال : « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم في فيه ترابا خيرا من أن يجعل في فيه حراما » (٢) وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : أن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعدائه : انظروا من أين مطعمه فإن كان مطعمه سوء قال : دعوه يتعبد ويجتهد فقد كفاكم أنفسه إن اجتهداه مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك (٣) . وقد روى في حديث أن ملكا على بيت المقدس ينادى كل يوم وكل ليلة : من أكل حراما لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . الصرف : النافلة ، والعطل : الفريضة ، وقال عبد الله بن المبارك : لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من حج بمال حرام فقال : ليك ، قال ملك : لا ليك ولا سعيدك حجك مردود عليك » (٤) وروى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من استترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه » (٥) وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه ؛ وقال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في الطاعة فهو كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال وقال عمر رضي الله عنه : كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام . وعن كعب بن عجرة (٦) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة »

(١) رواه البيهقي قاته المنذرى في الترغيب .

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن اسحاق وقد وثق قاله الهيثمي في مجمع وقال المنذرى : إسناده جيد .

(٣) يعنى صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم قريبا .

(٤) رواه الطبراني من حديث أبي هريرة وفي سننه سليمان بن داود اليمامي ضعيف . مجمع الزوائد .

(٥) من حديث ابن عمرو في سننه هاشم لم يعرفه الهيثمي وأشار المنذرى إلى ضعفه .

(٦) حديث كعب بن عجرة رواه الترمذى وابن حبان في صحيحه بلفظ : « لا يدخل الجنة لحم ودم نباتا على سحت ، النار أولى به » وما في الكتاب منا لفظ حديث أبي بكر الصديق رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبيهي وبعض أسانيدهم حسن أفاده المنذرى في ترغيبه .

جسد غزى بالحرام » ، وعن زيد بن أرمم (١) قال : كان لابی بكر غلام يخرج له الخراج أى قد كاتبه على مال وكان يجيئه كل يوم بخراجة فيسأله : من أين أنيت بها ؟ فان رضىه أكله والا نركه قال : فجاءه ذات ليلة بطعام وكان أبو بكر صلاتما فأكل منه لقمة ونسى أن يسأله ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت نكحت لآناس بالجاهلية وما كنت أحسن الكهانة الا أنى خدعتهم فقال أبو بكر : أف لك .. كنت تهلكنى . ثم ادخل يده فى فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : انها لا تخرج الا بالماء فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شئ فى بطنه فقيل له : يرحمك الله ، كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضى الله عنه : لو لم تخرج الا مع نفسى لأخرجتها انى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت أن ينبت بذلك فى جسدى من هذه اللقمة ، وقد تقدم قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة جسد غزى بحرام » واسناده صحيح ، قال العلماء رحمهم الله : ويدخل فى هذا الباب المكاس والخائن والزغلى والسارق والبطال وأكل الرشوة ومنقص الكيل والوزن ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه والمفامر والساحر والمنجم والمصور والزانية والنائحة والعشيرة والذلال اذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع ومخير المسقى بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه .

(فصل) روى عن رسول الله ﷺ انه قال : « يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة حتى اذا جىء بهم جعلها الله هباء منثوراً ثم يقذف بهم فى النار » فقيل : يا رسول الله .. كيف ذلك ؟ قال : « كانوا يصلون ويصومون ويحجون غير أنهم كانوا اذا عرض لهم شئ من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم » (٢) وعن بعض الصالحين أنه رأى بعد موته فى المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً .. غير أنى محبوس عن الجنة بآبرة استعرتها فلم أردمها . فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم رؤوف رحيم .

(موعظة) عباد الله .. أما الليالى والأيام تهتم الأجل ؟ ، أما مال المقيم فى الدنيا الى الزوال ؟ ، أما آخر الصحة يؤول الى الاعتلال ؟ أما غاية السلامة نقصان الكمال ؟ أما بعد استقرار المنى هجوم الأجل ؟ أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال ؟ أما بانئت لكم العبر وضربت لكم الأمثال ؟ .

(١) رواه البخارى من حديث عائشة بدون الزيادة فى آخره من شرب الماء .. الخ .

(٢) رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة الباهلى من حديث طويل فى سندك كثره بن زياد وبكر بن سهل الدميلى وكلاهما وثق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ مجمع الزوائد .

وعزيز ناعـم ذل لـه
فكسـاه بعـد لين ملبس
ووجسـوه ناضرات بدلت
وشـموس طالعـات أنـلت
ومنيـف شـامخ بيـانه
أف للـدنـيا فـما شـيـمتـها
فاسـتـعـدوا الزاد تنـجـوا واعـملوا
كل صعب المرتقى وعـر المـرام
خسنا بالرغم منه في الرغـام
بعـد لون الحسن لونا كالتـقام
بعـد ذاك النور منها بالظلام
لين الأعطاف مهـتز القـوام
غير نقض العـهد أو خـفر الذمـام
صالحا من قبل تقويض الخيام

يا متعلقا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق ، يا مضيعا في الهوى واجبات
الحقوق ، تبارز الخالق وتستحي من المخلوق ، يا مؤثرا على العلالي سائرا
ذلك الفسوق ، إلا ستري ذلك الفسوق يا متولها بهاد الهوى وهو في سجن
الردى مرموق ، ابك على نفسك العليـلة فاذك بالبكاء محقوق . عجباً لمن رأى
فعل الموت لصحبه ، وأيقن بئله وما قضى نـحبه وسكن الإيمان بالآخرة في
قلبه ، أنام غافلا على جنبه ونسى جزاءه على جرـمه وذنبه وأعرض الى
ربه من الهوى عن ربه كأنى به وقد سقى كأس حمام يستغيث من شربه وأفرده
الموت عن أهله وسريه ونقله الى قبر ذل فيه بعد عـجه ، فياذا اللب جز على
قبره وعج به (١) لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع ،
لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطامع ، ولقد بانـت العبر بآثار الغير لمن اغتر
بالمصارع فما بالها لا تكسب المدامع ؟ يا عجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ،
لقد نشبت فيه بخالب المطامع ، يا من شبيه قد أتى هل ترى ما مضى من
العمر براجع ؟ انتبه لما بقى وانتـه وراجع ، فالهوى عظيم والحساب شديد
والطريق شاسع ، ان عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع .



الكبيرة التاسعة والعشرون : ان يقتل الانسان نفسه

قال الله تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما .
ومن يفعل ذلك عدونا وظلما فسوف نصليه نارا ، وكان ذلك على الله
يسميرا » (٢) .

قال الواحدى في تفسير هذه الآية : « ولا تقتلوا أنفسكم » : أى لا يقتل
بعضكم بعضا لأنكم أهل دين واحد فأنتم كنفس واحدة . هذا قول
ابن عباس والاكثرين وذهب قول الى أن هذا نهى عن قتل الانسان نفسه ويدل
على صحة هذا ما أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد المنصورى بإسناده
عن عمرو بن العاص قال : احتلـمت فى ليلة باردة وأنا فى غـروة دأب سلسـل
فأشفت أن اغتسلت أن أهـلك فتيممت فصليت بأصحابى الصبح فذكرت ذلك

(١) أى أكثر واعتم به . (٢) النساء : ٢٩ ، ٣٠ .

للنبي ﷺ فقال : « يا عمرو .. صليت بأصحابك وأنت جنب » ؟ فأحبرته الذى منعنى من الاغتسال فقلت : انى سمعت الله يقول : « ولا تقتلوا انفسكم ، ان الله كان بكم رحيمًا » فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً فدل هذا الحديث على ان عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ (١) . قوله : « ومن يفعل ذلك » كان ابن عباس يقول : الإشارة تعود الى كل ما نهى عنه من اول السورة الى هذا الموضع وقال قوم : الوعيد راجع الى اكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة وقوله تعالى : « عدوانا وظلما » من العدوان أن يعدو ما أمر الله به « وكان ذلك على الله يسيرا » أى انه قادر على ايقاع ما توعده به من ادخال النار . وعن جندب ابن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكيناً فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات ، قال الله تعالى : بادرني عبدى بنفسه ، حرمت عليه الجنة » (مخرج فى الصحيحين) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قتل نفسه بحديدة فحديته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بسم فسمه فى يده ويتحصاه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل فى نار جهنم خالداً فيها أبداً » (مخرج فى الصحيحين) وفى حديث ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن المؤمن كقتله ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله ومن قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيامة » (٢) وفى الحديث الصحيح عن الرجل الذى آلمته الجراح فاستعجل الموت فقتل نفسه بنشاب سيفه فقال رسول الله ﷺ : « هو من اهل النار » فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا انه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) ابن آدم .. كيف تظن أعمالك مسيدة ، وأنت تعلم انها مكيدة؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ، وكيف تتصر فى زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة ، يا معرضاً عنا الى متى هذا الجفا والاعراض ، يا غافلاً عن الموت والعمر لا شك فى انقراض . يا مغترا فى أمله وأيدى المنايا فى أجله تفرضه بمقراض ، يا مغروراً بصحته وبدنه كل يوم فى انتقائى ، يا من يفتنى كل يوم يعضه ستفنى والله الأبعاض ، يا غافلاً عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض ، يا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض ، يا من

(١) رواه أبو داود وقال المنذرى فى مختصره : حسن .

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى باختصار ، والترمذى وصححه وهذا لفظ الترمذى كما فى الترغيب والترهيب .

يساق الى موارد التلف وقد نزلت الحياض ، يا صاحبا وعيون الفنا غير
غماض ، عجباً لمن هذه الأوقات بين يديه كيف يقدر جفنه على الاغماض .



الكبيرة الثلاثون : الكذب في غالب أقواله

قال الله تعالى : « لعنة الله على الكاذبين » (١) وقال تعالى : « قتل
الخصاصون » (٢) أي الكاذبون وقال تعالى : « أن الله لا يهدي من هو مسرف
كذاب » (٣) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :
« أن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق
ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإن الكذب يهدي الى الفجور
وإن الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب
عند الله كذاباً » وفي الصحيحين أيضاً أنه ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث وإن
صلى وصام وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن
خان » (٤) وقال عليه الصلاة والسلام . « أربع من كن فيه كان منافقاً
حالصاً ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :
إذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وإذا عهد غدر وإذا خاصم فجر » (٥) وفي
صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ قال : « فأتينا على رجل مضطجع
لقناه وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدة الى قفاه وعينه الى قفاه
ثم يذهب الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول فما يرجع
اليه حتى يصح مثل ما كان فيفعل به كذلك الى يوم القيامة فقلت لهما : من
هذا فقالا : انه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلى الآفاق » (٦) وقال
ﷺ : « يطبع المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب » (٧) ، وفي
الحديث : « وإياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » (٨) وقال ﷺ :

-
- (١) آل عمران : ٦١ . (٢) الذاريات : ١٠ . (٣) غافر : ٢٨ .
(٤) من حديث أبي هريرة .
(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو
ابن العاص .
(٦) من حديث سمرة بن جندب مطولاً .
(٧) رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند منقطع بلفظ : « يطبع
المؤمن على كل شيء ٠٠٠ » الخ وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص عند
البزار وأبي يعلى بسند رجاله رجال الصحيح ولكن رجح الدارقطني وقفه
كذا في الترغيب .
(٨) متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ مشكاة .
(٧ - الكباثر)

« ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر » (١) العائل : الفقير ، وقال ﷺ : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب ويل له ويل له ويل له » (٢) وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله : « ويحلفون على الكذب وهم يعلمون » (٣) وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : رجل على فضل ماء يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلا سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع أمما لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفي له وان لم يعطه لم يف له » (٤) وقال ﷺ : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب » (٥) ، وفي الحديث أيضا : « من تحلم بطم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقده » (٥) . وقال رسول الله ﷺ : « أفرى الفرى على الله أن يرى الرجل عنييه ما لم قريا » (٦) معناه : أن يقول رايت في منامي كيت وكيت ولم يكن رأى شيئا وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين (٧) .

فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام الا كلاما ظهرت فيه المصلحة فان في السكوت سلامة والسلامة لا يعطلها شيء . وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في أنه لا ينبغي للانسان أن يتكلم الا اذا كان الكلام خيرا وهو الذى ظهرت مصلحته للمتكلم قال أبو موسى (٨) : قلت : يا رسول الله .. أى

-
- (١) رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة . ترغيب .
 - (٢) رواه أحمد من حديث النواس بن سمعان وشيخ أحمد فيه عمر ابن هارون فيه خلاف قاله في الترغيب . (المجادلة : ١٤) .
 - (٣) رواه داوود والترمذى وحسنه أبو داود والنسائى والبيهقى من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده . ترغيب .
 - (٤) رواه الجماعة الا الترمذى كلهم من حديث أبي هريرة .
 - (٥) رواه البخارى .
 - (٦) رواه البخارى من حديث ابن عمر ا ه مشكاة .
 - (٧) ذكره مالك في موطنه بلاغا ا ه ترغيب قال : وقد تقدم بنحوه متصلا مرفوعا .
 - (٨) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى قاله المتحرى في ترغيبه وأبو موسى هو الأشعرى اسمه عبد الله بن قيس .

المسلمين أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » (١) وفي الصحيحين : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها - أى ما يفكر فيها بأنها حرام - يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » (٢) وفي موطا الامام مالك من رواية بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها سخطه الى يوم يلقاه » (٣) والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيها اسرنا اليه كفاية ، وسئل بعضهم : كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هي أكثر من أن تحصى والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة ان استعملها سترت العيوب كلها وهي حفظ اللسان . جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيها يرضيه انه جواد كريم .

(موهبة) ايها العبد .. لا شيء اعز عليك من عمرك وانت تصيحه ، ولا عدوك كالسيطان وأنت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وأنت نصافياها ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وأنت تسرف فيها ، لقد مضى من عمرك الأطايب ، فما بقي بعد شيب الذنائب ، يا حاضر البدن والقلب غائب ، اجتماع العيب وانسيب من جملة المصائب ، يمضي زمن الصبا وحب الحبائب ، كفى زاجرا واعظا تشيب منه الذنائب ، يا غافلا فاته أفضل المناقب ، أين البكا لخوف العظيم الطالب ؟ أين الزمان الذي ضاع في الملاعب ، نظرت فيه آخر العواقب ، كم في القيامة من دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب ، من لى اذا قمت في موقف المحاسب وقيل لى : ما صنعت في كل واجب ، كيف ترجو النجاة وتلهو بأسر الملاعب ؟ اذا اتك الأمانى بظن الكاذب ، الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقي شره بكأس صدور الكتائب . فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب ، يأتى بقور ويرمى بسهم صائب . يا أهلا أن تبقى سليما من الذنائب ، بنيت بيتا كنسيج العناكب ، أين الذين علوا متون الركائب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب ، وأنت بعد قليل حليف المصايب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجائب .



-
- (١) من حديث أبى هريرة ورواه النسائي أيضا كما في الترغيب .
 (٢) وكذا رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال : صحيح الاسناد اهترغيب .

الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضى السوء

- قال الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » (١) •
 وقال تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (٢) •
 وقال تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (٣) •
 روى الحاكم بإسناده (٤) وفي صحيحه عن طلحة بن عبيد الله عن النبي ﷺ
 أنه قال : « لا يقبل الله صلاة امام حكم بغير ما أنزل الله » •

وصحح الحاكم أيضا من حديث بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « القضاة ثلاثة : فاض في الجنة وقاضيان في النار ، قاض عرف الحق ففضى به فهو في الجنة وقاض عرف الحق فجار متعبدا فهو في النار وقاض قضى بغير علم فهو في النار » قالوا : فما ذنب الذي يجهل ؟ ! قال : « ذنبه أن لا يكون قاضيا حتى يعلم » (٥) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين » (٦) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ينبغي للقاضى أن يكون يوما في القضاء ويوما في البكاء على نفسه • وقال محمد بن واسع رحمه الله : أول من يدعى يوم القيامة الى الحساب : القضاة • وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة » (٧) وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان القاضى ليزل في زلقة في جهنم أبعد من عدن » وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدى الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريره فتقرأ على رؤوس الخلائق فان كان عدلا نجاه الله بعله وان كان غير ذلك انتقص به ذلك الجسر انتقاضا فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر الى جهنم » وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء

(١) المائدة : ٤٤ • (٢) المائدة : ٤٥ • (٣) المائدة : ٤٧ •

(٤) في سننه عبد الله بن محمد العدوى واه متهم وهذا مما أنكر على الحاكم قال الترمذى : ولفظه : « لا يقبل الله صلاة امام جائر » وقال الذهبي في رسالته الصغرى : بسند لا أرضاء •

(٥) ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حسن غريب وقواه المصنف في صغراه •

(٦) رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن غريب ، وابن ماجه والحاكم وصححه اهترغيب •

(٧) روه احمد وابن حبان في صحيحه اهترغيب •

وبين ضرب عنقى لاخترت ضرب عنقى على القضاء . وقال أيوب السخيتاني :
انى وجدت أعلم الناس أشدهم هربا منه . وقيل للثورى : ان شريحا قد
استنقى فقال : أى رجل قد أفسدوه ، ودعا مالك بن النذر محمد بن واسع
ليجعله على قضاء البصرة فأبى فعاوده وقال : لتجلسن والا جلدتك فقال :
ان تفعل فانك سلطان وان ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة . وقال وهب
ابن منبه : اذا هم الحاكم بالجور او عمل به أدخل الله النقص على اهل
ملكته حتى فى الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء ، واذا هم
بالخير او العدل أدخل الله البركة فى أهل ملكته كذلك . وكتب عامل من
عمال حمص الى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : أما بعد .. فان
مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح ، فكتب اليه عمر : حصنها
بالعدل ونق طرقها من الجور .. والسلام . قال : ويحرم على القاضي أن
يحكم وهو غضبان واذا اجتمع فى القاضى قلة علم وسوء قصد وأخلق
زعة (١) وقلة ورع تم خسارته ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص
ففسال الله الحفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

(موعظة) يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يامن ملك الموت وقد
اقتص ، يا مائلا الى الدنيا هل سلمت من النقص ؟ يا مفرطا فى عمره
هل بادرت الفرص ؟ يا من اذا ارتقى فى منهاج الهدى ثم لاح له الهوى
نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص (٢) ؟ عجباً لنفس أمست بالليل
هاجعة ونسيت أحوال يوم الواقعة ولأن تفرعها المواعظ فتصغى لها سامعة ،
ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت فى كرم الكريم طامعة ، وليست
له فى حال من الأحوال طائعة ، والاقدام سعت فى الهوى فى طرق شاسعة بعد
ان وضحت من الهدى سبيل واسعة ، والهمم شرعت فى مشارع الهوى متنازعة ؛
لم تكن مواعظ العقول لها نافعة ، وقلوب تضرر التوبة اذا فزعت بزواجر
رادعة ، ثم تعود الى ما لا يحل مرارا متتابة .

الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى : « ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى
الحكام فتاكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » (٣) أى لا تدلوا
بأموالكم الى الحكام أى لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقنطوا لكم حقا

-
- (١) فى الأساس : زعر الرجل زعرا ساء خلقه وقل خيره ا ه .
(٢) القصص : جمع قصة ، يعنى الصحف التى فيها الأعمال .
(٣) البقرة : ١٨٨ .

لنبركم وانتم تعلمون انه لا يحل لكم • وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم » (١) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن • وعن عبد الله بن عمرو : لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي ، قال العلماء : فالراشي هو الذى يعطى الرشوة والمرتشي هو الذى يأخذ الرشوة وانما تلحق اللعنة الراشي اذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق ، أما اذا اعطى ليتوصل الى حق له أو يدفع عن نفسه ظلما فانه غير داخل في اللعنة ، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقا أو دفع بها ظلما • وقد روى في حديث آخر (٢) أن اللعنة على الراشئ أيضا وهو الساعى بينهما ، وهو تابع للراشي في قصده ان قصد خيرا لم تلحقه اللعنة والالحقته •

(فصل) ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه عن أبي امامة الباهلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى بابا كبيرا من أبواب الربا » • وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدى اليك هدية فتقبلها منه ، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى اليه صاحب المظلمة فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت ، فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن • ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم ، فقال : ذلك كفر (٣) نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه •

(حكاية) عن الامام أبي عمر الأوزاعي رحمه الله وكان يسكن ببيروت. ان نصرانيا جاء اليه فقال : ان والى بعلبك ظلمنى بمظلمة وأريد أن تكتب اليه ، وأتاه بقلة غسل ، فقال الأوزاعي رحمه الله : ان شئت رددت القلة وكتبت لك اليه وان شئت أخذت القلة فكتب له الى والى أن ضع عن هذا النصراني من خراج • فأخذ القلة والكتاب ومضى الى والى فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهما بشفاعة الامام رحمه الله وحشرنا في زمرة •

(موعظة) عباد الله • تدبروا العواقب ، واحذروا قوة المناقب واخشوا عقوبة المعاقب وخافوا سلب السالب ، فانه والله طالب غالب ، أين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا • ما أغل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا • لقد وبخوا في نفوسهم في قعر قبورهم ، على ما أسلفوا ولا موار •

أما والله لو علم الانسام لما خلقوا لما هجعوا وناموا

(١) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد : والرائش •• يعنى الذى يسعى بينهما ا هترغيب •

(٢) أخرجه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح ا هترغيب •

(٣) رواه الطبراني عنه موقوفا عليه ا هترغيب •

لقد خلقوا لأمر لو رأته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
مات ثم قبر ثم حشر وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال فصلوا من مخافته وصاموا
وفحن إذا أمرنا أو نهينا كأهل الكهف أيقاظ نيام

يا من يأخذ الخطايا قد تلتطخ ، وبآفات البليات قد تضمخ ، يا من سمع
كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ ، يا مطلقا
لسانه والملك يحصى وينسخ ، يا من طير الهوى في صدره قد عشى
وفرخ ، كم أباد الموت ملوكا كالجبال الشمخ ، كم أزعه قواعد كانت في
الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ ، يا من قلبه من
بدنه بالذنوب أوسخ ، يا مبارزا بالعظام : أتأمن من أن تخسف أو نمسخ ،
يا من لازم العيب بعد اشتعال الشيب ففعله يؤرخ . والحمد لله دائما أبدا .



الكبيرة الثالثة والثلاثون تشبيه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لعن الله المتشبهات من النساء
بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء » (١) وفي رواية : « لعن الله الرجل
من النساء » (٢) وفي رواية قال : « لعن الله المخنن من الرجال والمترجلات
من النساء » (٣) - يعني اللاتي يتسعين بالرجال في لبسهم وحيثهم - ،
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله المرأة
تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة » (٤) .

فاذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والإكمام الضيقة فقد
شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من
ذلك أي رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن
المعصية لقول الله تعالى : « قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة » (٥) أي أدبهم وعلوهم ومروهم بطاعة الله وانهم عن معصية
الله كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم ولقول النبي ﷺ : « كلكم راع وكلكم

-
- (١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث
ابن عباس مرفوعا بلفظ : (لعن رسول الله ﷺ) الخ .
(٢) قال المصنف في رسالته الصغرى : اسناده حسن .
(٣) عزاه في الترغيب والترهيب للبخاري من حديث ابن عباس .
(٤) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم
وقال : على شرط مسلم ! هترغيب . (٥) التحريم : ٦ .

مسئول عن رعيته ، الرجل راع في أهله ومسئول عنهم يوم القيامة » (١) .
 وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء » (٢) .
 وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه
 الله تعالى في النار ، وقال ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم
 معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات
 مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يحلن الجنة ولا يجدن ريحها
 وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » (أخرجه مسلم) (قوله) كاسيات :
 أى من نعم الله عاريات من تتركها ، وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوبا رقيقا
 يصف لون بدنها . ومعنى مائلات : قيل : عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ،
 مميلات : أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم وقيل : مائلات : يمشين متبخترات
 مميلات لأكتانهن وقيل : مائلات : يمشين المشية الميلاء وهى مشية البغايا
 ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة رؤوسهن كاسنمة البخت : أى يكبرنها
 ويعظمنها بلف عصاية أو عمامة أو نحوهما وعن نافع قال : كان ابن عمر
 وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذا أقبلت امرأة تسوق غنما
 متكبجة قوسا فقال عبد الله بن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة .
 فالتفت الى ابن عمرو فقال : ان الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات
 من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .

ومن الأفعال التى تلحن عليها المرأة اظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من
 تحت النقاب وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب اذا خرجت ولبسها الصباغات
 والأزر والحريير والأقبيية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها
 الى غير ذلك اذا خرجت وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله
 في الدنيا والآخرة وهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء ، قال عنهن
 النبي ﷺ : « اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء » (٣) ، وقال
 ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء » . فنسأل
 الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه .

(موعظة) ابن آدم . . كأنك بالموت وقد فجأك وهجم والحقك بمن سبقك
 من الأمم ، ونقلك الى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك الى عسكر الموتى مخيمة
 بين الخيم ، مفرقا من مالك ما اجتمع ، ومن تملك ما انتظم ، ولا تدفعه

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر .
 (٢) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة وله شاهد من حديث
 ابن عمر وصححه ابن حبان وقال الحاكم : على شرط مسلم . أقاده المنذرى
 رحمه الله تعالى .
 (٣) هو فى الصحيحين .

- ١٠١ -

بكثرة الاموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فيا عجا لعين . تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعده وتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتثوقه ، الى متى حسناتك تضحل وسيئاتك تجدد ، الى متى لا يهلك زجر الواعظ وان شدد ، الى متى انت بين الفتور والتواني تتردد ، متى تحذر يوما فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد ، متى تهب بك في بحر الوجد ربح الخوف والرجا ، متى تكون في الليل قائما اذا سجا ، اين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا ، وقدموا الى بابه في الاسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا ، وبقيت في اعقابهم وان لم تلحق بعد :

يا نائم الليل كم ترقد قم يا حبيبي فقد دنا الموعد
من نام حتى ينقضى ليله لم يبلغ المنزل قبل أن يجهد
قل لذوى الالباب اهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

* * *

الكبيرة الرابعة والثلاثون

الديوث المستحسن على أهله والمقواد الساعى بين الاثنين بالسفاد

قال الله تعالى : « الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين » (١) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال . « ثلاثة لا يخطون الجنة : العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء » (٢) وروى أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : محمّن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقر الخبث فى أهله » (٣) . يعنى يستحسن على أهله ، نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبتة فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز أو صداقاً ثقيلاً أو له أطفال صغار فترفعه الى القاضى وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ولا خير فيمن لا غيره له ، فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة ، انه جواد كريم .
(موعظة) أيها المشغول بالشهوات الفانيات . . متى تستعد لمات آت ، حتى متى لا تجتهد فى لحاق القوافل الماضيات ، انطمع وأنت رهين الوساد

(١) النور : ٣ .

(٢) رواه النسائى والبزار والحاكم وصححه من حديث ابن عمر قاله المنذرى فى ترغيبه .

(٣) رواه أحمد والبزار والحاكم وقال : صحيح الاسناد وهو من حديث عبد الله بن عمر أفاده المنذرى .

في لحاق السادات ، هيهات هيهات هيهات ، يا آملا في زعمه اللذات احذر
هجوم هاذم اللذات ، احذر مكائده فهي كوا من في عدة الانفاس واللحظات :
تمضى حلاوة ما اخفيت وبعدها تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم لو أنهم سنبقوا الى الجنات
لو لم يكن الا الحياء من الذي ستر العيوب لاكثروا الحشرات
يا من صحيفته بانذوب قد جفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت
اما رأيت أكفاء عن مطالعها كفت ، اما رأيت عرائس آحاد الى اللحد قد زفت
اما عابنت ابدان المترفين وقد ادرجت في الأكفان ولقت ، اما عابنت طورا
الاجسام في الارحام ؟ ومتى تنتبه لخلاص نفسك ايها الناعس ، متى تعتبر
بربع غيرك الدارس ، أين الأكاسرة الشجعان الفوارس وابن المنعمون بالجوارى
والظباء الخنس الكوانس ، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوايس ، أين من اعتاد
سمة الفصور ؟ حبس في القبور في اضيق المحابس ، أين الرافل في أنوابه عرى
في ترابه عن الملابس ، أين الغافل في أهله وأهله عن اجله سلبته كف الخالس ،
أين جامع الأموال سئب المحروس وهلك الحارس ، حق لمن علم مكر الدنيا
ان يهجرها ، وان جهل نفسه ان يزجرها . وان تحقق نقلته أن يذكرها ،
وان غمر بالنعماء أن يشكرها ، وان دعى الى دار السلام أن يقطع مفاوزه
الهوى ليحضرها .

الكبيرة الخامسة والثلاثون : المحلل والمحلل له

صح من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل
والمحلل له (١) .

قال الترمذى : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان
ابن عفان وعبد الله بن عمر وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الامام أحمد
في مسنده والنسائى في سننه أيضا باسناد صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله ﷺ عن المحلل
فقال : « لا ، الا نكاح رغبة لا نكاح دلسة (٢) » ، ولا استهزاء بكتاب الله
عز وجل حتى يذوق العسيلة » ورواه أبو اسحاق الجوزجاني .

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بالتيس
المستعار » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : « هو المحلل ، لعن الله المحلل
والمحلل له » (رواه ابن ماجه باسناد صحيح) .

(١) رواه النسائى والترمذى قاله المصنف في الصغرى .

(٢) التدلّيس كتم العيب كما في المجمع والأساس ، والمراد هنا اظهار
الرغبة في النكاح مع ابطان خلفه .

- ١٠٤ -

وعن ابن عمر أن رجلا سألته فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها أهلها
لزوجها لم يأمرني ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا الا نكاح رغبة ان
أعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقتها وانا كنا نعد هذا سفاحا على
عهد رسول الله ﷺ .

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا أوتي بمحل ولا محل له الا رجمتها .
وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال : ذلك السفاح .
وعن عبد الله بن شريك العامري قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنه
وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ثم ندم ورغب فيها فأراد رجل أن يتزوجها
ليحلها له فقال ابن عمر : كلاهما زان وان مكنا عشرين سنة او نحو ذلك
اذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأل رجل فقال : ابن عمي طلق
امراته فلانا ثم ندم فقال : ابن عمك عصي الله فأندمه وأطاع الشيطان فلم
يجعل له مخرجا فقال : كيف ترى في رجل يحلها له ؟ فقال : من يخادع الله
يخدعه .

وقال ابراهيم النخعي : اذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول او الزوج
الأخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول .
وقال الحسن البصري : اذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد .
وقال سعيد بن المسيب أئمة التابعين في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها
الأول فقال : لا تحل .

وممن قال بذلك مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والامام
أحمد وقال اسماعيل بن سعيد : سألت الامام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة
وفي نفسه أن يحلها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك فقال : هو محل واذا
أراد بذلك الإحلال فهو ملعون .

ومذهب الشافعي رحمه الله اذا شرط التحليل في العقد بطل العقد لانه
عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة وان وجد الشرط قبل العقد
فالأصح الصحة وان عقد كذلك ولم يشترط في العقد ولا قبله لم يفسد العقد
وان تزوجها على أنه اذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحهما أنه يبطل ووجه
البطلان أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبهه التاقيت وهذا هو الأصح
في الرافعي ووجه الثاني أنه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها
بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها ، والله أعلم ، فنسأل الله أن يوفقنا
لما يرضيه ويجنبنا معاصيه انه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر
عن ظلام شكها ، التقطوا أيام السلامة ففغفوا ، وتلذذوا بكلام مولاهم
فاستسلموا لامره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا في

- ١٠٤ -

طاعته لذيذ الكرى وهربوا اليه من جميع الورى ، وآتروا طاعته اينار من علم ودرى . ورضوا فلم يعرضوا على ما جرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشرا ، أسلموا اليه لما سلموا الروح ، وحدهوه والصدر لخدمته منسروح وفرعوا بابيه واذا الباب مفتوح ، واصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا فى الأسحار قيام من يبكى وينوح ، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا أنفسهم فاذا المذموم ممدوح ، تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق بلوح ، قد عيقوا بنسر أنسه رائحة ارتياحهم تقوح ، من طيب التناء روائح لهم بكل مكان تستنشق ، ممسكة النفحات الا انها وحسبه لسواهم لا تعبق .

الكبيرة السادسة والثلاثون

عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى : « وثيابك فطهر » (١) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبی ﷺ بقبرين فقال : « انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير اما احدهما فكان يمشى بالنميمة واما الآخر فكان لا يستبرى من البول - أى يتحرز منه - » (مخرج فى الصحيحين) وقال رسول الله ﷺ : « استغزوها من البول فان عامة عذاب القبر منه » (رواه الدارقطنى) .

ثم ان من لم يتحرز من البول فى بجنه وثيابه فصلاته غير مقبولة وروى الحافظ أبو نعيم (٢) فى الطية عن شقى بن ماتهع الأصبحى عن رسول الله ﷺ قال : « أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والجحيم ويدعون بالويل والثبور ويقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى » قال : « فرجل مطلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاء ورجل يسيل فمه قيحا ودما ورجل يأكل لحمه » قال : « فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد مات وفى عنقه أموال الناس ثم يقال للأذى يجر أمعاء : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد كان لا يبالي أين ما أصاب البول منه (ولا يغسله) ثم يقال للأذى يسيل فمه قيحا ودما : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها . » (وفى رواية كان يأكل لحوم الناس ويمشى بالنميمة) ثم يقال للأذى يأكل لحمه :

(١) المخر : ٤ .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت وفى ذم الغيبة والطبرانى فى الكبير باسناد لين وأبو نعيم وقال : شقى بن ماتهع مختلف فى صحبته فقيل : له صحبة قال الحافظ المنذرى : شقى ذكره البخارى وابن حبان فى التابعين اه الترغيب والترهيب .

ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الأبعد كان يأكل لحوم الناس » - يعنى بالغيبة - .

فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه انه أرحم الراحمين .
(جوعنة) أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا ، واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما اهل الخير فساعدوا وأما اهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل ان تلقى ما لقوا :

والمراء مثل هلال عند مطلع	يبعد ضئيلا لطيفا ثم يتساقط
يزداد حتى اذا ما تم أعقبه	كر (*) الحديد ينقص ثم يمتدح
كان الشباب رداء قد بهجت به	فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مجتسم يجد المشيب به	كالليل ينهض في أعجازه الأثق
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه	من راكبين الى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها	بطارق الفجع والتنغيص قد طرخوا
دار لعهد بها الأجل مهلكة	ودو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال المخذوع بباطلها	بعد البيان ومغرور بها يثق
اقول والنفس تدعوني لزخرفها	اين الملوك ملوك الناس والسوق
أين الذين الى لذاتها جنحوا	قد كان قبلهم عيش ومرتق
أست مساكنتهم قفرا معطلة	كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا اهل لذة دار لا بقاء لها	ان اغترارا بطلس زائل حمق

الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء

قال الله تعالى محبوا عن المنافقين : ((يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا)) (١) وقال تعالى : ((فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون)) (٢) وقال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالبن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس)) (٣) . الآية وقوله تعالى : ((فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)) (٤) أى لا يرائى بعمله ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فى سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء ، وقد قيل ، تم أمر به فمسح على وجهه حتىلقى فى النار ، ورجل .

(*) يعنى تعاقب الليل والنهار

(٢) الماعون : ٤ - ٧

(١) النساء : ١٤٢

(٤) الكهف : ١١٠

(٣) البقرة : ٢٦٤

وسمى الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سجيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك خال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم وقرأت ليقال هو قارئ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » (١) رواه مسلم وقال ﷺ : « من سمع سمع الله به ، ومن يرائى يرائى به » (١) . قال الخطابي : معناه من عمل عملا على غير اخلاص انما يريد ان يراه الناس ويسمعه جزى على ذلك بأنه يشهره ويفضحه فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك ، والله اعلم . وقال عليه الصلاة والسلام : « اليسير من الرياء شرك » (٢) قال ﷺ : « اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر » ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « الرياء » يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى انذين كنتم تراهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ » (٣) وقيل في قوله تعالى : « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » (٤) قيل : كانوا عملوا أعمالا كانوا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية يقول : ويل لأهل الرياء وقيل (٥) : ان المرائى ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء : يا مرائى يا غادر يا فاجر يا خاسر . . اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائى يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء يريد أن يقول للناس هو صالح فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه ، وقال قتادة : اذا رآه العبد يقول الله : انظروا الى عبدى كيف يهزئ بى ، وروى أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه نظر الى رجل وهو يطأ رقبته فقال : يا صاحب الرقبة . . ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب انما الخشوع فى القلوب .

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه وفى مسند أحمد وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قاله العراقى فى تخريج الاحياء .

(٢) رواه الحاكم من حديث معاذ والطبرانى نحوه أفاده العراقى .

(٣) رواه أحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد وله

رواية ورجاله ثقات ، ورواه الطبرانى عنه عن رافع بن خديج (العراقى) .

(٤) الزمر : ٤٧ .

(٥) ابن أبى الدنيا من رواية جبلة اليمصبي عن صحابى لم يسم واسفاده

ضعيف ا ه عراقى .

وقيل ان أبا أمامة الباهلي رضى الله عنه أتى على رجل في المسجد وهو ساجد يبكى في سجوده ويدعو فقال له أبو أمامة : أنت أنت لو كان هذا في بيتك ؟ وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السميت بالليل فانه أشرف من أظهاره بالنهار لان السميت بالنهار للمخلوقين والسميت بالليل لرب العالمين ١٠ وقال على بن أبي طالب رضى الله عنه : للمرائي ثلاث علامات : يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا أننى عليه وينقص اذا ذم به وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما .

فنسأل الله المعونة والاخلاص في الأعمال والأحوال والحركات والسكنات انه جواد كريم .

(موعظة) عباد الله ٠٠ ان أيامكم قلائل ومواعظكم قوائل ، نليخبرم الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوائل ، يا من يوتن أنه لا شك راحل وماله زاد ولا راحل ، يا من لح في لجة الهوى متى ترتقى البحر الساحل ، هل انتبهت من رقاد شامل . وحضرت المواعظ بقلب غير غافل وغمت في الليل قيام عاقل وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفى بها زفريات الندم والوسائل ، وبعثتها في سفينة دمع سائل ، لعلها ترسى على الساحل ، وا أسفا لمخروم جهول غافل ، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنوب الكامل ، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل ، وركن الى ركوب الهوى ركبته مائل ، بينى البنيان ويشيد المعقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعى بعد هذا أنه عاقل ، تالله لقد سبقه الأبطال الى أعلى المنازل ، وهو يؤمل في بطانته فوز العامل ، وهيئات ما فاز باطل بطائل :

أيها المعجب فخرنا بمقاصير البيوت انما الدنيا محل لقيام وقنوت ففدا تنزل بيتا ضيقا بعد النحوت بين أقوام سكوت ناطقات في الصموت فارض في الدنيا بثوب ومن العيش بقوت واتخذ بيتا ضعيفا مثل بيت العنكبوت ثم قل يا نفس هذا بيت مثواك فموتى

الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى : ((انما يخشى الله من عباده العلماء)) (١) يعنى العلماء بالله عز وجل قال ابن عباس : يريد انما يخافنى من خلقى من علم بجبروتى وعزتى وسلطانتى ، وقال مجاهد والشعبي : العالم من خاف الله تعالى ١٠

وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله فليس بعالم ، وقال تعالى : « ان الذين يكتفون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (١) نزلت هذه الآية في علماء اليهود واراد (بالبينات) الرجم والحدود والاحكام وبالهدى امر محمد عليه الصلاة والسلام ونعته : « من بعد ما بيناه للناس » اي بنى اسرائيل « في الكتاب » اي في التوراة « أولئك » يعني الذين يكتفون « يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » قال ابن عباس : كل شيء الا الجن والانس وقال ابن مسعود : ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتفون امر محمد ﷺ وصفته وقال تعالى . « واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنخوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا ، فبئس ما يشتررون » (٢) قال الواحدى : نزلت هذه الآية في يهود المدينة اخذ الله ميثاقهم في التوراة ليبينن شان محمد ﷺ ونعته ومبعته ولا يخفونه وهو قوله تعالى : « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود ان يبينوا للناس ما في كتابهم وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله : « فنخوه وراء ظهورهم » قال ابن عباس : اي اقنوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم « واشتروا به ثمنا قليلا » يعني ما كانوا ياخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم وقوله : « فبئس ما يشتررون » قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا وقال رسول الله ﷺ : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة » (٣) - يعني ربحها - (رواه أبو داود) وقد مر حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين يسحبون الى النار احدثهم الذي يقال له : انما فعلت ليقال عالم وقد قيل (٤) وقال ﷺ : « من ابتغى العلم ليباهى به العلماء او ليمارى به السفهاء او تقبل افئدة الناس اليه فالى النار » وفي لفظ : « اخله الله النار » (أخرجه الترمذى) (٥) وقال ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » (٦) ، وكان من دعاء رسول الله ﷺ : « اعوذ بك

(١) البقرة : ١٥٩ .

(٢) آل عمران : ١٨٧ .

(٣) وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم
قاله النخري وقال المصنف في الصغرى : سنده صحيح .

(٤) اي في الباب الماضي .

(٥) بسنده فيه اسحاق بن يحيى وهو واه قاله المصنف في صفراء .

(٦) باسناد صحيح رواه عن عطاء عن أبي هريرة ونحوه من حديث
عبد الله بن عمرو وقال : على شرطهما ولا أعلم له علة ، قاله المصنف في
الصغرى .

من علم لا ينفع» (١) وقال ﷺ : « من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار » (٢) وقال ﷺ : « من تعلم علما لم يعمل به لم يزد العلم الا كبرا » (٣) وعن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبة كما يدور الحمار بالرحا فيقال له : بما لقيت هذا وانما اهتدينا بك ؟ فيقول : كنت أخالفكم الى ما أنهاكم عنه » (٤) وقال علان بن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه والسلامة منه أشد من العمل به ، ففسال الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

(هو عظة) ابن آدم . متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرجال عن هذه القصور ؟ الى متى أنت في جميع ما تبني تدور ؟ أين من كان من قبلكم في المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تحبيره انه لا يحور ؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في العبور . واستوطنوا أخشن المهاد الى نفخ الصور ، فاذا قاموا الى فصل القضاء والسماء تمور ، كشفوا الحجاب المخفى وهتك المستور ، وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما في الصدور ، ونصب الصراط فكم من قدم عثور ، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور ، واصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور . وياعوا بتجارة لن تبور ، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور ، وجيء بالنار تقاد بالآزمة وهي نفور ، اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ، ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور ، انما يفرح بالدنيا جهول أو كفور .

انها الدنيا متاع كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم فيه السماء تمور

(١) رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث ابن أرمم وتبامه : « ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » اهـ المنذرى .

(٢) حسنه الترمذى قاله المصنف فى الصغرى ، وقال المنذرى رواه الترمذى وابن ماجه من روايه خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه رجال اسنادها ثقات .

(٣) رواه أبو داود والترمذى وحسنه ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم بنحوه وقال : على شرط الشيخين كلهم من حديث أبى هريرة فاه المنذرى فى الترغيب .

(٤) رواه ابن حبان ، ومسلم من حديث أسامة بن زيد ورواه البيهقى وابن حبان من حديث أنس أفاده المنذرى فما هنا من جعله من حديث أبى أمامة خطأ من الناسخ أو سبق قلم .

(٨ - الكيلثر)

الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (١) قال الواحدى رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية في أبى لبابة حين بعنه رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة لما حاصروهم وكان أهله وولده فيهم فخالوا : يا أبا لبابة .. ما ترى لنا ان نزلنا على حكم سعد فينا ؟ فأشار أبو لبابة إلى حلته - أى أنه الذبح فلا تفعلوا - فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله وقوله : « وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » عطف على النهي - أى ولا تخونوا أماناتكم - قال ابن عباس : الأمانات الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد - يعنى الفرائض - يقول : لا تنقضوها ؛ قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما وأما خيانة الأمانة فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه ان شاء خانها وان شاء أداها لا يطلع عليه أحد الا الله تعالى وقوله : « وأنتم تعلمون » أنها أمانة من غير شبهة ، وقال تعالى : « ان الله لا يهدي كيد الخافئين » (٢) أى لا يرشده كيد من خان أمانته يعنى أنه ينتضح في العاقبة بحرمان الهداية وقال ﷺ : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف ولذا ائتمن خان » (٣) . وقال ﷺ : « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » (٤) والخيانة تبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » وفي الحديث أيضا : « يطبع المؤمن على كل شيء الا الخيانة والكذب » (٥) وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله : انا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه » (٦) وفيه أيضا : « أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مصل لا خير

(١) الأنفال : ٢٧ .

(٢) يوسف : ٥٢ .

(٣) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة وزاد مسلم : « وان صلى وصام وزعم أنه مسلم » وروى نحوه أبو يعلى من حديث أنس قاله المنذرى في ترغيبه .

(٤) رواه أحمد والبخارى والطبرانى في الأوسط وابن خبان في صحيحه من حديث أنس والطبرانى في الأوسط والصغير من حديث ابن عمر قاله المنذرى .

(٥) رواه أحمد عن وكيع عن الأعمش قال : حدثت عن أبى أمامة هـ ترغيبه . فقيه انقطاع بين الأعمش وأبى أمامة .

(٦) رواه أبو داود ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

- ١١١ -

فيه « وقال رسول الله ﷺ : « اياكم والخيانة فانها بثست البطانة » (١)
وقال عليه الصلاة والسلام : « هكذا أهل النار - وذكر منهم رجلا لا يخفى » (٢)
له طمع وان دن الا خانه - » (٣) ومال ابن مسعود : يؤنى يوم
القيامة بصاحب الأمانة الذى خان فيها فينال له : اد امانتك فيقول : أنى
يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟ قال : نتمثل له كهينتها يوم أخذها فى قعر جهنم
ثم يقال له : انزل اليها فأخرجها قال : انزل اليها فيحملها على عاتقه فهي
عليه أثقل من جبال الدنيا حتى اذا ظل انه ناج هوت وهوى فى أثرها ابد
الأبدن ثم قال : الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة واظم
ذلك كله الودائع (٤) .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركتنا بعفوك .

(موعظة) عباد الله .. ما اشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما اجهل
النفوس وقد اطعمتموها ، وما أدنى السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتوها ،
وما احفظ الصحف بالأعمال فتنبهوا ما أودعتموها ، قبل الرحيل عن الثليل
والمناقشة عن النقيير والفتيل قبل أن تنزلوا بطون اللحد ، وتصيروا طعاما
للحدود فى بيت بابيه مسدود ، ولو قيل فيه للعاصي : ما تختار لقال : اعود
ولا اعود .

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وتمود
بينما القوم فى الخمارق والاسنن رف أفضت الى التراب الحدود
وصحيح أضحي يعسود مريضا وهو أدنى للموت ممن يعسود

الكبيرة الأربعون : النسان

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن
والأذى » (٥) . قال الواحدى : هو ان يمين بما أعطى وقال الكلبي : باليمن على
الله فى صدقته والأذى لصلحها ، وفى الصحيح ان رسول الله ﷺ قال :
« ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ، ولا يزكّيهم ولهم عذاب
اليم : المسبل والنان والمتفق سلعتة بالحلف الكاذب » (٦) المسبل هو الذى

(١) رواه أبو داود ، والنسائى وابن ماجه ، من حديث أبى هريرة
وأوله : « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بثس الضجيع » .. الخ أفاده
المنخري فى الترغيب .

(٢) لا يخفى أى لا يظهر والظهور والخفاء من الأضداد .

(٣) رواه مسلم فى حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعى .

(٤) عزاه فى الترغيب والترهيب الى أحمد والبيهقى موقفا بنحو ما هنا

قال : وذكر عبد الله ابن الامام أحمد فى كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال :

اسناده جيد ه . (٥) البقرة : ٢٦٤ .

(٦) يعنى صحيح مسلم وهو عند الجماعة سوى البخارى من حديث أبى ذر

رضى الله عنه ا ه ترغيب للمنخري .

يسبل ازاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين لأنه ﷺ
قال : « ما أسفل من انكعبين من ازار فهو في النار » (١) وفي الحديث أيضا :
« ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والممن الخمر والمنان » (٢) رواه
النسائي (٣) وفيه أيضا : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » (٤)
والخب هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذي يعطى سعيًا أو يتصدق به
ثم يمن به . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « اياكم والمن بالمعروف فانه يبطل
للشكر ويمحق الأجر » ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل : « يا أيها
الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالأن والأذى » (٥) وسمع ابن سيرين رجلا
يقول لآخر : احسنت اليك وفعلت وفعلت . . . فقال له ابن سيرين : اسكت
فلا خير في المعروف اذا أحصى . وكان بعضهم يقول : من من بمعروفه سقط
من شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره . وأنشد السافعي رحمه الله تعالى :

لا تحملن من الأنعام بأن يمنوا عليك منة
واختر لنفسك حظها واصبر فان الصبر جنة
من الرجال على القلوب اسد من فح الأسنة
وأنشد أيضا بعضهم فقال :

وصاحب سلفت منه إلى يد ابطأ عليه مكافاتي معاداني
لما تيقن أن الدهر حاربني أبدى الندامة مما كان أولاني
أفسدت بالأن ما قدمت من حسن ليس الكريم اذا أعطى بمنان
(هو علة) يا مبادرا بالخطايا ما أجهلك ، إلى متى تغتر بالذي أمهلك ؟
كأنه قد أمهلك ، فكانك بالموت وقد جاء بك وأنهلك ، واذا الرحيل وقد أفزعك
الملك ، وأسرك البلاء بعد الهوى وعقلك ، ونمت على وزر عظيم قد أثقلتك ،
يا مطمئنًا بالفاني ما أكثر ذلك ، ويا معرضا عن النصيح كأن النصيح ما قيل
لك ، أين حبيبك الذي كان وأين انتقل ؟ أما وعظك التلف في جسده والمقل ،
أين كثير المال أين طويل الأمل ؟ أما خلا وحده في لحده بالعمل ؟ أين من جر
ثوبه بالخلاء غافلا ورفل ؟ أما سافر به وإلى الآن ما وصل ؟ أين من تنعم في
قصره فكانه في الدنيا ما كان وفي قبره لم يزل ، أين من تفوق واحتفل ؟ غاب
والله نجم سعوده وأفل ، أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ؟ ملك أموالهم
سواهم والدنيا دول .

(١) رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحة
في ضمن حديث كما في الترغيب .
(٢) رواه النسائي من حديث ابن عمر والبخاري والحاكم وقال : صحيح
الاسناد وابن حبان في صحيحة أنفاده المنذرى في ترغيبه .
(٣) رواه الأرمذى وقال : حديث غريب أه ترغيب . والخب بكسر الخاء
المعجمة هو الخداع الخبيث . (٤) البقرة : ٢٦٤

الكبيرة الحادية والأربعون : التكتيبي بالتقدي

قال الله تعالى : « انا كل شيء خلقناه بقدر » (١) قال ابن الجوري في تفسيره : في سبب نزولها قولان أحدهما : أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونهم في القدر فنزلت هذه الآية • (انفراد بإخراجه مسلم) وروى أبو أمامة أن هذه الآية نزلت في الفدرية (٢) • والقول الثاني أن أسقف نجران جاء الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك فقال رسول الله ﷺ : « أنتم خصماء الله » (٣) فنزلت هذه الآية : « ان المجرمين في ضلال وسعر • يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر • انا كل شيء خلقناه بقدر » (٤) وروى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة أمر مناديا فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرين : أين خصماء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم الى النار يقول الله : « ذوقوا مس سقر • انا كل شيء خلقناه بقدر » (٥) وانما نزل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها • وروى هشام بن حسان عن الحسن قال : والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحنبل ثم صلى حتى يصير كالونر لكبه الله على وجهه في سقر ثم قيل له : ذق مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر ، وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » وقال ابن عباس : كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه قال الله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » (٦) قال ابن جرير : فيها وجهان ، أحدهما أن يكون بمعنى المصدر فيكون المعنى : والله خلقكم وعلمكم ، والثاني : أن تكون بمعنى « الذي » ، فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام ، وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة ، والله أعلم ، وقال الله تعالى : « فآلهمها فجورها وتقواها » (٧) الإلهام إيقاع الشيء في النفس قال سعيد بن جبيرة : ألزمتها فجورها وتقواها ، وقال ابن زائد : جعل ذلك فيها بتوقيفه إياها للتقوى وخذلته إياها للفجور ، والله أعلم • وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ان الله من على قوم فالزمتهم الخير فأدخلهم في رحمته وابتلى قوما فدخلهم

(١) القمر : ٤٩ •

(٢) رواه ابن عدى وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم بسند ضعيف قاله السيوطي في الدر المنثور •

(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قاله السيوطي في الدر المنثور ١٠

(٤) القمر : ٤٧ - ٤٩ •

(٥) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس قاله السيوطي في الدر المنثور •

(٦) الشمس : ٨ •

(٧) الصافات : ٩٦ •

ونعمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل
 « لا يستغل عما يفعل وهم يستغلون » (١) وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه
 قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبيا قط الا وفي أمته قدرية ومرجئة ،
 ان الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا » (٢) وعن عائشة رضى الله
 عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « القدرية مجوس هذه الأمة » (٣) وعن
 ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل أمة مجوس
 ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر وان الأمر أنف » قال : « فاذا
 لقينهم فأخبرهم انى منهم برىء وأنهم برءاء منى » (٤) ثم قال : « والذى
 نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله ما قبل منه
 حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبى ﷺ
 قال : ما الايمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن
 بالقدر خيره وشره » .

وقوله : « أن تؤمن بالله » الايمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه
 وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزّه عن صفات النقص وأنه
 لم يرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء يفعل فى ملكه
 ما يريد . والايمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله « بل عباد مكرهون
 لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا
 يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » (٥) .

والايمان بالرسول هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن
 الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم بلغوا عن الله

(١) الأنبياء : ٢٣ .

(٢) أورده المصنف فى الصغرى له عن بقية عن أبى العلاء الدمشقى .
 عن محمد بن حجارة عن يزيد بن حصين عنه ثم قال فيه وفى غيره : وهذه
 الأحاديث لا تثبت لضعف روايتها .

(٣) أورده كذلك فى الصغرى عن الحسن عن عائشة وقال فيه ما تقدم
 آنفا من التضعيف ، وهو وما قبله عزاها الى كتاب السنة لابن أبى عاصم
 وقال : فيها مقال ولا تثبت لضعف روايتها .

(٤) أخرج صدر حديث ابن عمر وأحمد فى مسنده الى قوله : « وان
 الأمر أنف - أى مستأنف - لم يقدره الله ولا قضاء بل العباد تقع أعمالهم
 بلا قدر سابق » وبقية كما فى الدر المنثور : « ان مرضوا فلا تعودوهم وان
 ماتوا فلا تشهدوهم » وعجز الحديث قوله : « فاذا لقيتهم .. الخ » أخرجه
 مسلم فى أول صحيحه .

(٥) الأنبياء : ٢٦ - ٢٨ .

تعالى رسالاته وبيّنوا للمكلفين ما أمرهم الله به وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم •

والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والنتى والحشر والحساب والميزان والمصراط والجنة والنار وأنهما دار نوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين الى غير ذلك مما صح به النقل • والإيمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه : « **وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** » (١) وقوله : « **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** » (٢) وهن ذلك قوله ﷺ فى حديث ابن عباس : « **واعلم ان الامه لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء كتبه الله عليك** رفعت الاملام وجئت الصحف » •

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدق بهذه الأمور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حتماً سواء اكان ذلك عن براهين فاطمة او اعتقادات جازمة ، والله أعلم •

(**فصل**) أجمع سبعون رجلاً هن التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الامصار على أن السنة التى توفى عليها رسول الله ﷺ اولها الرضا بقضاء الله وقدره والتسليم لأمره والصبر تحت حكمته والأخذ بما أمر الله به والنهى عما نهى الله عنه وإخلاص العمل لله والإيمان بالقدر خيراً وشره وترك المراء والجدال والخصومات فى الدين والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة برا وفاجراً والصلاة على من مات من أهل القبلة •

والإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور ، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وان جاروا ولا نكفر أحداً من أهل القبلة وان عمل بالكبائر الا ان استحلوها ، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير اتى به الا من شهد له النبى ﷺ والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ • وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبى ﷺ وأولاده وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين •

- ١١٦ -

(فائدة) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها : ما لو سخر باسم من أسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده كفر ، ولو قال : لو أمرني الله بكذا ما فعلت كفر ، ولو صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت اليها كفر ، ولو قيل له : لا تترك الصلاة فان الله يؤاخذك فقال : لو آخذني بها مع ما في من المرض والسدة ظلمني كفر ، ولو قال : لو شهد عندي الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت كفر ، ولو قيل له : قلم أظافرك فانها سنة ، فقال : لا أفعل وان كانت سنة كفر ، ولو قال : فلان في عيني كاليهودي كفر ، ولو قال : ان الله جلس للانصاف او قام للانصاف كفر ، وجاء في وجه . من قال لمسلم : لا ختم الله لك بخير أو سلبك الايمان كفر ، وجاء أيضا ان من طلب يمين انسان فأراد أن يحلف بالله فقال : أريد أن تحلف بالطلاق كفر ، واختلفوا في من قال : رؤيتي لك كروية الموت فقال بعضهم : يكفر ، ولو قال : لو كان فلان نبيا ما آمنت به كفر ، ولو قال : ان كان ما قاله صدقا نجونا كفر ، ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالا كفر ، ولو تنازع رجلان فقال أحدهما : لا حول ولا قوة الا بالله فقال له الآخر : لا حول ولا قوة الا بالله لا تغني من جوع كفر ، ولو سمع اذان المؤذن فقال : انه يكذب كفر ، ولو قال : لا أخاف القيامة كفر ، ولو وضع متاعه فقال : سلمته الى الله فقال له رجل : سلمته الى من لا يتبع السارق كفر ، ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشببها بالخطيب فسأله المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم : قصعة تريد خير من العلم كفر ، ولو ابتلى بمصائب فقال : اخذت مالي وولدي ، وماذا نفعل ؟ كفر ، ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل : ألست بمسلم ؟ فقال : لا - متعمدا - كفر ، ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم كفر ، ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال : هذا زنا فالأكثر على أنه يكفر ، ولو قال معلم الصبيان : اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمى صبيانهم كفر ، ولو قال : النصراني خير من المجوسي كفر ، ولو قيل لرجل : ما الايمان ؟ فقال : لا أدري كفر ، ومن ذلك الفاظ مستكرهة مستنكرة وهي : لا دين لك لا ايمان لك لا يقين لك ، أنت فاجر منافق أنت فاسق ومن ذا واشباهه كله حرام ويخسئ على العبد بها سلب الايمان والخلود في النار .

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة انه أرحم الراحمين .

(موعظة) عباد الله .. أين الخين كنزوا الكنوز وجمعوا وثلما من الشهوات وشبعوا ، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا ، وفنيت أعمارهم بما غرروا به وخدعوا ، نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله ما رجعوا ، فهم مفترقون في القبور فاذا نفخ في الصور اجتمعوا .

وكيف قمرت لأهل العلم أعينهم
والموت ينخرهم جهرا علانية
والنار ضاحية لأبد موردتهم
قد أمست الطير والأنعام آمنة
والأدمى بهذا الكسب مرتين
حتى يرى فيه يوم الجمع منفردا
واذ يقومون والأشهاد قائمة
وطارت الصحف في الأيدي منشرة
فكيف بالناس والأنبياء واقفة
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له
تهوى بسكانها طورا وترفعهم
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم

أو استلذوا لذيق العيش أو هجعوا
لو كان للقوم أسباع لقد سمعوا
وليس يدرون من ينجو ومن يقع
والنون في البحر لا يخشى لها فزع
له رميب على الأسرار يطلع
وجسمه الجلد والأبصار والسمع
والجن والأنس والأملك قد خُسعوا
فيها السرائر والأخبار تطلع
عما قبل وما تحدى بما تقع
أم في الجحيم فلا تبقى ولا تدع
إذا رخوا مخرجا من عبها قمعوا
هيهات لا رمية تغنى ولا جزع

الكبيرة الثانية والأربعون : التسمع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى . « ولا تجسسوا » (١) قال ابن الجوزي رحمه الله :
قرا أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء فال أبو عبدة : التجسس
والتجسس واحد وهو البحث ومنه الجاسوس . وقال يحيى بن أبي كثير :
التجسس بالجيم عن عورات الناس وبالحاء الاستماع لحديث القوم . قال
المفسرون : التجسس البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم فالمعنى لا يبحث أحدكم
عن عيب أخيه ليطلع عليه إذا ستره الله ، وقيل لابن مسعود : هذا الوليد
ابن عقبة تقطر لحيته خمرا قال : انا نهينا عن التجسس فان يظهر لنا
شيء نأخذ به .

وقال رسول الله ﷺ : « من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون
صب في أذنيه الآنك يوم القيامة » (أخرجه البخاري) والآنك : الرصاص
المذاب ، نعوذ بالله منه ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد
كريم .

(موعظة) عباد الله .. ان المنايا قد فنت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد
جمعت وتعبت كأنكم بكاف الردى قد أخذت وسلبت ، رب شمس طالعة على
القبر قد غربت ، يا فراخ الفنا فشاخ البلا قد نصبت ، عباد الله .. كل المعاصي
قد سطرت وكتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت ، لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت ، يا من يفتر بالأمانى والآمال الكواذب ، ومبارز بالقبايح وما بدرى
من يحارب ، يا حاضر البعد غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تفوتك الخيرات

والرغائب ، يا من عمره يفتنى في مفرة ويسرى كالنجائب ، يا من شاب وما تاب
هذا من العجائب ، يا عجباً كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟

الكبيرة الثالثة والأربعون : النمام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الانسداد بينهم . هذا
بياتها .

وأما احكامها فهي حرام باجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها
الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة قال الله تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين •
ههاز دشاء بفهمهم » (١) وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل
الجنة نمام » (٢) وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال : « انهما
ليعذبان وما يعذبان في كبير أما انه كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرى
من بوله وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » ثم اخذ جريدة رطبة فشقها
اثنيتين وغرز في كل قبر واحدة وقال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » (٣) .

وقوله : « وما يعذبان في كبير » أى ليس بكبير تركه عليهما أو ليس
بكبير في زعمهما ولهذا قال في الرواية الأخرى : « بلى انه كبير » وعن
أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تجدون شر الناس
ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين في
الدنيا فان الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة » (٤) ، ومعنى من كان
ذا لسانين أى يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين
قال الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله : انما تطلق في الغالب على من ينف
قول الغير الى المقول فيه بقوله : فلان يقول فيك كذا • وليست النميمة
مخصوصة بذلك بل حدها كسف ما يكره سواء المنقول عنه أو المنقول اليه
أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الايماء
أو نحوهما وسواء أكان من الأقوال أو الأعمال وسواء أكان عيباً أو غيره
فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه • وينبغي للانسان
أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا ما في حكايته فائدة للمسلمين

(١) انقلط : ١٠ ، ١١ •

(٢) وكذا رواه أبو داود والترمذى كلهم من حديث حنيفة بن اليمان
رضى الله عنهما •

(٣) رواه الجماعة وابن خزيمة كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ •

(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم قاله وما قبله المنذرى في الترغيب
والترهيب •

أو دفع معصية • قال : وكل من حملت إليه نسيمة وقيل له : قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال :

(الأول) أن لا يصدق له (نمام) فاسق وهو مردود الخبر •

(الثاني) أن ينهيه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله •

(الثالث) أن يبغضه في الله عز وجل فانه بغض عند الله والبغض في الله واجب •

(الرابع) أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى : « اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم » (١) •

(الخامس) أن لا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك ، قال سبحانه وتعالى : « ولا تجسسوا » (٢) •

(السادس) أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكى نسيمة • وقد جاء أن رجلا ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلا بشيء فقال عمر : يا هذا • ان شئت نظرنا في امرك فان كنت صادقا فانت من أهل الآية : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » (٣) وان كنت كاذبا فانت من أهل الآية : « هماز شفاء بمنهم » (٤) وان شئت عفونا عنك • فقال : العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه أبدا ورفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد (٥) رحمه الله يحته فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة : النسيمة قبيحة وان كانت صحيحة والميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمة الله والساعي لعنه الله • وقال الحسن البصري : من نقل اليك حديثا ناعلم انه ينقل الى غيرك حديثك ، وهذا مثل قول الناس : من نقل اليك نقل عنك فاحذره • وقال ابن المبارك : ولد الزنا لا يكتفم الحديث اثار به الى أن كل من لا يكتفم الحديث ومشى بالنسيمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى : « تفل بعد فلك زعيم » (٦) والزني هو الدعي وروى أن بعض السلف الصالحين زار أخا له وذكر له عن بعض اخوانه شيئا يكرهه فقال له : يا أخى • اطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنائيات : بغضت الى أخى وشغلت قلبي بسببه واتهمت نفسك الامينة • وكان بعضهم يقول : من اخبرك بشتم عن أخيك فهو الساتم لك • وجاء رجل الى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال : ان فلانا شتمك وقال عنك كذا وكذا فقال : اذهب اليه فذهب معه وهو يرى انه ينتصر لنفسه فلما وصل اليه قال : يا أخى •

(١) الحجرات : ١٢ •

(٢) الحجرات : ١٢ •

(٣) القلم : ١١ •

(٤) الحجرات : ٦ •

(٥) وذكرها ابن أبي شامة في كتابه « الروضتين » في مناقب محمود

(٦) القلم : ١٣ •

ابن زني رحمه الله •

ان كان ما قلت في حقاً فغفر الله لى وان كان ما قلت في باطلا فغفر لك ،
وقيل في قوله تعالى : « جهالة الحطّيب » (١) : يعنى امرأه أبى لهب أنها
كانت تنقل الحديث بالنميمة . سمي النميمة حطبا لانها سبب العداوة كما أن
الحطّيب سبب لاسفعال النار . ويقال : عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن
عمل الشيطان بانوسوسة وعمل النمام بالمواجهة .

(هكاية) روى أن رجلا رأى غلاما يباع وهو ينادى عليه : ليس به
عيب الا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب وأسفراه فمكث عنده أياما ثم قال
لزوجة سيده . ان سيدى يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال : انه
لا يجبك فان أردت ان يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فاذا نام فخذى الموسى
واحطى شعرات من تحت لحيته واتركى التسعرات معك فقالت فى نفسها :
نعم . . . واشغلت قلب المرأة وعزمت على ذلك اذا نام زوجها ، ثم جاء الى
زوجها وقال : سيدى . . ان سيدتى زوجتك اتخذت لها صديقا ومحبا غيرك
ومالت اليه وتريد ان تخلص منك وقد عزمتم على ذبحك الليلة وان لم
تصدقنى متنام لها الليلة وانظر كيف تجيء اليك وفي يدها شئ تريد أن
تذبحك به ، وصدقه سيده فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق
الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها ففال فى نفسه : والله صدق
الغلام بما قال فلما وضعت المرأة الموسى واهوت الى حلقه قام وأخذ الموسى
منها وذبحها به فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقم القتال بين الفريقين
بشؤم ذلك العبد المشؤوم فلذلك سمي الله النمام فاسقا فى قوله تعالى :
« ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على
ما فعلتم نادمين » (٢) .

(موعظة) يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا ، يا غافلا عن
التلف وقد أدركه ادراكا ، يا مخرورا بسلامته وقد نصب له الموت اشراكا ،
تفكر فى ارتحالك وانت على حالك فان لم تبك فتباكى .

بكيت فما تبكى شباب صباك	كفاك نذير الشيب فيك كفاكا
الم تر ان الشيب قد قام ناعما	مكان الشباب الغض ثم نعاكا
الم تر يوما مر الا كانه	باهلاكه للهاكين غناكا
الا ايها الفانى وقد حان حينه	اتطمع أن تبقى فلسست هناكا
ستمضى ويبقى ما تراه كما ترى	فينساك ما خلفته ، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم	وتنسى ويهوى الحى بعد هواكا
كان الذى يحثو عليك من الثرى	يريد بما يحثو عليك رضاكا
كان خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك اذا الخطب الجليل اتاكا
نرى الأرض كم فيها رهون دفيئة	غلقن فلم يقبل لهن فكاكا



الكبيرة الرابعة والأربعون : اللعان

قال النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » (١) وقال ﷺ : « لعن المؤمن كقتله » (أخرجه البخارى) (٢) . وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يكون اللعانون سفعاء ولا شهداء يوم القيامة » (٣) وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا » (٤) وفى الحديث : « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذى » والبذى هو الذى يتكلم بالفحش وردى الكلام . وعن رسول الله ﷺ قال . « ان العبد اذا لعن تسيئا صعدت اللعنة الى السماء فتخلق ابواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتخلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وتسمالا فاذا لم تجد مساعا رجعت الى الذى لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها » (٥) وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها اياها ، قال عمران بن حصين : بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقه فضجت فلعننها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة » قال عمران : فكأننى أنظر اليها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد (أخرجه مسلم) (٦) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ان اربى الربا استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم » (٧) وعن عمرو ابن قيس قال : اذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم اجعله بى رفيقا رحما فاذا لعنها قالت : على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل .

(فصل) فى جواز لعن أصحاب المعاصى غير المعينين المعروفين قال الله

- (١) أخرجه الجماعة الا ابا داود ، من حديث ابن مسعود ا ه ترغيب .
- (٢) رواه الجماعة سوى ابن ماجه من حديث ثابت الضحاك ا ه ترغيب .
- (٣) من حديث أبى الدرداء وكذا أبو داود بدون لفظ « يوم القيامة » كذا فى الترغيب .

(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ونحوه عند الحاكم وصححه ا ه ترغيب .

(٥) رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء ا ه ترغيب ونحوه عند أحمد من حديث ابن مسعود بسند جيد أفاده المنذرى فى ترغيبه .

(٦) ونحوه عند أحمد من حديث أبى هريرة وعند أبى يعلى وابن أبى الدنيا من حديث أنس فى تخلية سبيل ما لعن باسانيد جيدة كما فى الترغيب .

(٧) رواه البزار باسنادين أحدهما أقوى وهو فى بعض نسخ أبى داود بنحوه هذا وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند الطبرانى ومن حديث سعيد بن زيد عند أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات ا ه ترغيب فى موضعين أحدهما الترغيب عن الغيبة والبهت والثانى الترغيب فى صلة الرحم .

تعالى : « (١) لعنة الله على الظالمين » (١) وقال : « ثم نيتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين » (٢) وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله أكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه » وأنه قال : « لعن الله المحلل والمحلل له » وأنه قال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة » فالواصلة هي التي تصل شعرها والمستوصلة هي التي يوصل لها والنامصة هي التي تنتفخ الشعر من الحاجبين والمتنمصة التي يفعل بها ذلك وأنه ﷺ لعن الصالقة والحائقة والشاتة فائصاتة هي التي ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة والشاتة هي التي تشق ثيابها عند المصيبة . وأنه ﷺ لعن المصورين ، وأنه لعن من غير مزار الأرض (أي حدودها) وأنه قال : « لعن الله من لعن والديه ولعن من سب أمه » وفي السنن أنه قال : « لعن الله من أضل أعمى عن الطريق ولعن الله من أتى بهيمة ولعن الله من عمل عمل قوم لوط » وأنه لعن من أتى كاهنا أو أتى امرأة في دبرها ولعن النائحة ومن حولها ولعن من أم قوما وهم له كارهون ولعن امرأة بائت وزوجها عليها سخط . ولعن رجلا سمع (حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح) ثم لم يجب ولعن من ذبح لغير الله ولعن السارق ولعن من سب الصحابة ولعن المخنثين من الرجال والمنرجلات من النساء ولعن المنسبهين من الرجال بالنساء والمتسبهات من النساء بالرجال ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة ولعن من سل سخيته على الطريق يعني تغوط على طريق الناس ولعن السلطاء والمرأة السلطاء التي لا تخضب يديها والمرأة التي لا تكتحل ولعن من خبب امرأة على زوجها أو مملوكا على سيده - يعني أفسدها أو أفسده - ولعن من أتى حائضا أو امرأة في دبرها ولعن من أسار إلى أخيه بحديدة ولعن مانع الصدقة - يعني الزكاة - ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ولعن من كوى دابة في وجهها ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم ولعن المرأة إذا خرجت من دارها بغير إذن زوجها ولعننا إذا بائت هاجرة فرائس زوجها حتى ترجع ولعن نارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أمكنه ولعن الناعل والمفعول به - يعني اللواط - ولعن الخمر وشاربها وساتقها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها والذال عليها . وقال ﷺ : « ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله والزائد في كتاب الله والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي » ولعن الزاني بامرأة جاره ولعن ناكح يده ولعن ناكح الأم وبنتها ولعن الراشي والمرتشى في الحكم والرائش - يعني الساعي بينهما - ولعن من كتم العلم ولعن المحتكر ولعن

- ٢٢٣ -

من أخفر مسلماً - يعنى بخذله ولم ينصره - ولعن الوالى اذا لم يكن فيه رحمة ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون : لا نتزوج والمخيفات من النساء ولعن راكب الفلاة وحده ولعن من أتى بهيمة ، نعوذ بالله من لعننه ولعنة رسوله .

(فصل) اعلم ان لعن المسلم المصون حرام باجماع المسلمين ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كفوك : لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين ، ونحو ذلك كما تقدم ، وأما لعن انسان بعينه ممن اتصف بشئ من المعاصى كيهودى أو نصرانى أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام . وأشار الغزالى رحمه الله الى تحريمه الا فى حق من علمنا أنه مات على الكفر كآبى لهب وآبى جهل وفرتون وهامان وأشباههم ، قال : لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم به لهذا الفاسق والكافر . وقال : وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال : « اللهم العن رعلا وزكوان وحصة عصوا الله ورسوله » ، وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه يحنى علم موتهم على الكفر ، قال : ويتقرب من اللعن الدعاء على الانسان بأشرك حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان : لا أصح الله جسمه ، ولا سلمه الله وما جرى مجراه وكل ذلك مضموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مضموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله : الا أن يكون لا يستحق .

(فصل) ويجوز للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه فى ذلك : ويلك ، أو يا ضعيف الحال أو يا قليل النذر لنفسك أو يا ظالم نفسك أو ما أسبه ذلك ، بحيث لا يتجاوز الى الكذب ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقا فى ذلك وانما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التاديب والزجر ويكون انكلام أوقع فى النفس ، والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك واجعلنا من قوم تحبهم ويجربونك واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

(موعظة) يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا متبلا على ما يضر تاركاً لما يفيد ، اترك يخفى عليك الأمر الرشيد ، الى متى تضيق الزمان وهو يحصى برقيب وعقيد :

مضى امسك الماضى شهيدا معدلاً	وأعقبه يوم عليك شهيداً
فان كنت بالأمس وانتزعت أساءة	فبادر باحسان وأنت حميد
ولا تبقي فضل الصالحات الى غد	فرب غد يأتى وأنت فقير
إذا ما النايأ اختلعت وصانفت	حميمك فأعلم أنها مستعود



الكبيرة الخامسة والأربعون : الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْد ، إِنْ الْعَهْدُ كَانَ مُسْتَوْلاً » (١) قال الزجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد . وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » (٢) .

قال الواحدى . قال ابن عباس فى رواية الوالىبى (العهود) يعنى : ما أحل وما حرم وما فرض وما حد فى القرآن . وقال الضحاك : بالعهود التى أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود وكذا العهود جمع عهد . (العقد) يعنى العقود وهو الذى أحكم ما فرض الله علينا أحكم ذلك ولا سبيل الى نقضه بحال وقال مقاتل بن حيان . « أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » التى عهد الله اليكم فى القرآن مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذى نهاكم عنه وبالعهود التى بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس ، والله أعلم . وقال النبى ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر » (مخرج فى الصحيحين) (٣) وقال رسول الله ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة يقال : هذه غدرة فلان بن فلان » (٤) وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل استاجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » (أخرجه البخارى) (٥) وقال ﷺ : « من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » (أخرجه البخارى) (٦) وقال ﷺ : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذى يحب أن يؤتى اليه ومن بايع اماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر » (٧) .

(١) الاسراء : ٣٤ .

(٢) المائدة : ١ .

(٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما اهـ ترغيب .

(٤) رواه مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنه .

(٥) وكذا رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه اهـ ترغيب .

(٦) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(٧) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (١) قال الواحدى فى تفسير حوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » قال الكلبي : لا تعلم ما ليس لك به علم . وقال قتادة . لا تدل : سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم والمعنى : لا تقول فى شئ بما لا تعلم « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » قال اللالى عن ابن عباس . يسأل الله العباد فيم اسئلوها وفى هذا زجر عن النظر الى ما لا يحل والاستماع الى ما يحرم وارادة ما لا يجوز . والله اعلم وقال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول » (٢) قال ابن الجوزى : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له فى ملكه « فلا يظهر » أى : ملا يطلع على غيبه الذى لا يعلمه أحد من الناس الا من ارتضى من رسول لان الليل على صدق الرسل اخبارهم بالغيب . والمعنى أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما تساء من الغيب ففى هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب نهر كافر ، والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » (٣) . وروينا فى الصحيحين عن زيد ابن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب » .

قال العلماء : ان قال مسلم : مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموحد والفاعل المحدث للمطر صار كافرا مرتدا بلا شك وان قال مريدا أنه علامة فنزل المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله وخلقه لم يكفر ، واختلفوا فى كراهته والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) فى أثر سماء : السماء هنا المطر ، والله أعلم وقال رسول الله ﷺ : « من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما » .

(٢) الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(١) الاسراء : ٣٦ .

(٣) رواء أبو داود والترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفى أسانيدهم كلام ذكره المنذرى فى مختصره لسنن أبى داود ورواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما وله شاهد من حديث جابر غند البزار باسناد جيد ومن حديث أنس عند الطبرانى بمسند فيه رشد بن سعد هـ ترغيب . (٩ - الكبائر)

(١) رواه مسلم (١) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله ﷺ أناسا عن الكهان فقال : « ليس بشيء » قالوا : يا رسول الله .. ليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها في أذن وليه - أى يلقيها - فيخلط معها مائة كذبة » (مخرج في الصحيحين . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضى في السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحى به الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » (رواه البخارى) .

وعن قبيصة بن أبى المخارى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » (رواه أبو داود) وقال : الطرق : الزجر أى زجر الطير وهو أن ينيامن أو يتشامع بطيرانه فان طار الى جهة اليمين تيمن وان طار الى جهة الشمال تشامع . قال أبو داود : العيافة : الخط . قال الجوهرى : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » وقال على بن أبى طالب : الكاهن ساحر والساحر كافر في الدنيا والآخرة . فنسأل الله العافية والعصمة .

(موعظة) عباد الله .. تفكروا في سلفكم قبل تلفكم وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل موت تحويلكم ، أين الأقران والاقربان ؟ أين من شيد الابواب ؟ رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحد تلك الأكفان ، هتف نذير بأهل العرفان : « كل من عليها فان » (٢) تقلبت بهم الأحوال . ولعب بهم في أيدي الليال . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال ، عانقوا التراب وفارقوا الأموال .. فلو أذن لأحدهم في المقال لقال :

من رآنا ليحدث نفسه	انه وقف على قسرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها	ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت	وعتاق الخبل تردى بالجلال
عمروا دهرا يعيش ناعم	أبيض دهرهم غير محال
ثم أضخوا لعب الدهر بهم	وكذاك الدهر يودى بالرجال

(١) رواه مسلم من حديث صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢) الرحمن : ٢٦ .

الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى : « **واللّٰتِي خَفَاْنَ نَفْسُوْهُنَّ نَسُوْهُنَّ فَعَطَوْهُنَّ وَاهْجَرُوْهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوْهُنَّ ، فَاِنْ اَضَعَكُمْ فَلَا تُبَغُّوا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلًا ، اِنْ اَللهُ كَانَ عَلِيًّا كَبِيْرًا** » (١) نال الواحدى رحمه الله تعالى . النشوز ههنا معصيه الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف . وقال عطاء : هو أن لا تنعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية « **فَعَطَّوْهُنَّ** » بكتاب الله ودكروهن ما أمرهن الله به « **واهجروهن في المضاجع** » قال ابن عباس . هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها ومال التسعي ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعها فلا يضاجعها « **واضربوهن** » ضربا غير مبرح . قال ابن عباس : أدبا مثل اللكزة وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية « **فَاِنْ اَضَعَكُمْ** » فيما يلتبس منهن « **فَلَا تُبَغُّوا عَلَيْهِنَّ** » .

قال ابن عباس : فلا نتجنوا عليهن العلل . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا دعا الرجل امرأته الى فراسه فلم تأتته لعنتها الملائكة حتى تصبح** » (٢) وفي لفظ : « **فباب** وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح » ولفظ الصحيحين أيضا (٣) : « **إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتابى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها زوجها** » .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا ترفع لهم الى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع الى مولاه فيضع يده فى أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو** » (٤) .

وعن الحسن قال . حدثنى من سمع النبى ﷺ يقول : « **أول ما تسئل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها** » (٥) وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد الا بأذنه ولا تأذن فى بيته الا بأذنه** » (٦) (أخرجه البخارى) ومعنى شاهد :

(١) النساء : ٣٤ .

(٢) من حديث أبى هريرة وكذا رواه أبو داود والنسائى قاله فى الترغيب .

(٣) وكذا النسائى من حديث أبى هريرة أيضا أفاده المنذرى .

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل

ورواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما من رواية زهير بن محمد قاله .

فى الترغيب وابن عقيل مختلف فيه لسوء حفظه وكذا زهير بن محمد التميمى .

(٥) رواه أبو التسيخ فى ثواب الأعمال من حديث أنس زاد فى آخره

« **وعن بعلها كيف عملت اليه** » اهـ منتخب كنز العمال .

(٦) من حديث أبى هريرة وكذا مسلم وغيرهما .

أى حاضر غير غائب وذلك في صوم القبطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل
« وجوب حقه وطاعته » وقال ﷺ : « لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت
المرأة أن تسجد لزوجها » (رواه الترمذى) (١) وفالت عمة حصين بن محسن
ونكرت زوجها للنبي ﷺ فقال : « انظري من أين أنت منه فإنه جنتك
ونارك » (أخرجه النسائي) وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :
قال رسول الله ﷺ : « لا ينظر الله الى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا
نستغنى عنه » (٢) وجاء عنه ﷺ أنه قال : « اذا خرجت المرأة من بيت
زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب » (٣) وقال رسول الله ﷺ :
« أيما امرأة ماتت وزوجها راض دخلت الجنة » (٤) .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه
متمي إرادها لقول النبي ﷺ : « اذا دعا الرجل امراته الى فرائضه فلتأتها
وان كانت على التنوير » قال العلماء : الا أن يكون لها عذر من حيض
أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ولا يحل للرجل أيضا أن يطلب ذلك منها في
حال الحيض والنفاس ولا يجامعها حتى تغسل لقوله تعالى : « فاعتزلوا
النفس في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » (٥) أى لا تقربوا جماعهن حتى
يطهرن . قال ابن قتيبة : يطهرن : ينقطع عني الدم فاذا تطهرن أى اغتسلن
بالماء والله أعلم . ولما تقدم من قول النبي ﷺ : « من أتى حائضا أو امرأة
من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد » (٦) وفي حديث آخر : « ملعون من
أتى حائضا أو امرأة في دبرها » والنفاس مثل الحيض الى الأربعين فلا يحل
للمرأة أن تطيع زوجها اذا أراد اتيانها في حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما
عدا ذلك ، وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها

-
- (١) من حديث أبى هريرة وقال : حسن صحيح وله شاهد من حديث
عائشة عند ابن ماجه وقيس بن سعيد عند أبى داود وابن أبى أوفى عند
ابن ماجه وابن حبان ومعاذ عند الحاكم أقاده في الترغيب .
(٢) رواه النسائي بإسناد صحيح قاله المصنف في رسالته الصغرى في
الكبائر وزاد في الترغيب البزار والحاكم وصححه .
(٣) رواه الطبراني من حديث ابن عباس وأشار المنذرى لأضعفه ولفظه :
« ولا تخرج من بيتك الا بأذنه فان فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة
وملائكة العذاب حتى ترجع » اهـ ترغيب .
(٤) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه والحاكم وصححه كلهم من حديث
مساور الحميري عن أمه عن أم سلمة اهـ ترغيب .
(٥) البقرة : ٢٢٢ .
(٦) رواه الترمذى وحسنه والنسائي وابن حبان في صحيحه من
حديث طلق بن علي اهـ ترغيب .

ولا في ماله الا باذنه وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ولا تتفخر عليه بجمالها ولا تعيبه بقبح ان كان فيه .

قال الأصمعي : دخلت البادية فاذا امرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنمسك أن تكوني تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا . . . لعله أحسن فيما بينه وبين خاتمه فجطنتي بوابه ولعل أسأت فجعله عقوبتي . . . وفالت عائشة رضي الله عنها : يا معشر النساء . . . لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها . . . وقال ﷺ : « . . . ونساؤكم من أهل الجنة : الولود القى اذا أذنت أو أوذيت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول : لا أذنو غمضا حتى ترضى » (١) .

ويجب على المرأة أيضا دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدامه والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه والقيام عند قدومه والابتعاد عن جميع ما يستخطه . والقيام معه عند خروجه وعرض نفسها عليه عند نومه وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته وطيب الرائحة وتعاود الفم بالسواك وبالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرتة وتركها الغيبة وإكرام أهل وأقاربه وتري القليل منه كثيرا .

(فصل) في فضل المرأة الطائفة لزوجها وشدة عذاب العاصية . ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى ان تجتهد لطاعه الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه . جهدها فهو جنتها ونارها لقول النبي ﷺ : « أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » (٢) وفي الحديث أيضا : « اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها واطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شئت » (٣) .

وروى عنه ﷺ أنه قال : « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء والحيتان في الماء والملائكة في السماء والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها ، وأيما امرأة عصت زوجها فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله الى أن تضاحكه وتسترضيه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » .

(١) رواه الطبراني من حديث أنس ورواته محتج بهم في الصحيح الا ابراهيم بن زياد القرشي لم يقف المنذرى فيه على جرح ولا تعديل قال : وقد روى هذا المتن من حديث ابن عباس وكعب بن عجرة وغيرهما اهـ ترغيب . (٢) قدم تخريجه آنفا .

(٣) رواه أحمد والطبراني من حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ : « قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت » رواه أحمد ورواته رواية الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن في المتابعات اهـ ترغيب .

وجاء عن رسول الله ﷺ أيضا قال : « أربع من النساء في الجنة وأربع في النار فأما الأربع اللواتي في الجنة فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ولود صابره قانعة باليسير مع زوجها ذات حياء ان غاب عنها حفظت نفسها وماله وان حضر أمسكت لسانها عنه . والرابعة امرأة مات عنها زوجها ولها اولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسن اليهم ولم تتزوج خسية أن يضيعوا . وأما الأربع اللواتي في النار من النساء فامرأة بخيثة اللسان على زوجها - أى طويلة اللسان - فاحشة الكلام ان غاب عنها زوجها لم نصن نفسها وان حضر آذنت لسانها . والنانية امرأة تكلف زوجها ما لا يطيق . والثالثة امرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها منبرجة والرابعة امرأة ليس لها هم الا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعة زوجها « (١) فالمرأة اذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير اذن زوجها كانت ملعونة من اهل النار الا ان تتوب الى الله وقال النبي ﷺ : « اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء » (٢) وذلك بسبب قلة طاعتهم لله ولرسوله ولأرواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج اذا أرادت الخروج ليست افخر عيائها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فان سلمت هى بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبي ﷺ : « المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان » .

وأقرب ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها ، وفي الحديث ايضا : « المرأة عورة فاحبسوها في البيوت فان المرأة اذا خرجت الى الطريق قال لها أهلها : أين تريد ؟ قالت : اعود مريضا انسيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها وما التمسست المرأة رضا الله بمثل ان تقعد في بيتها وتبعد ربها وتطيع بعلمها » . وقال على رضى الله عنه لزوجها فاطمة رضى الله عنها : يا فاطمة .. ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يرونها . وكان على رضى الله عنه يقول : الا تستحبون .. الا تغارون .. يترك أحكم امراته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها . وكانت عائشة وحفصة رضى الله عنهما يوما عند النبي ﷺ جالستين فنخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبي ﷺ : « احتجبا منه » فقالتا : يا رسول الله .. اليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ : « أفعبأوان أنتما ألستما تبصرانه » (٣) .

(١) (تنبيه) هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثانية ولا ثالثة .

(٢) مخرج في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٣) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال : حسن صحيح من حديث ثبهان مولى أم سلمة قال : كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب .. الخ قال أبو داود هذا لأزواج =

فكما أنه ينبغي للرجل أن يفض طرفه عن النساء فكذلك ينبغي للمرأة أن تحض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها أن حير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها . فأن اضطرت للخروج لزيارة والديها ، واقاربها ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه فلنخرج باذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسحة في نياح بيتها وتغض طرفها في مسينها وتنظر الى الأرض لا يميناً ولا شمالاً فان لم تفعل ذلك والا كانت عاصية ، وقد حكى أن امرأة كانت من المبرجات في الدنيا كانت تخرج من بينها متبرجة فماتت فرأها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رفاق فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها وقال . خذوا بها ذات الشمال الى النار فانها كانت من المتبرجات في الدنيا .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة رضي الله عنها ووجدناه يبكي بكاء شديداً فقلت له : فذاك أبي وأمي يا رسول الله . ما الذي أبكاك ؟ قال : « يا علي . ليلة أسرى بي الى السماء . رأيت حساء أمتي يعذبون بأنواع العذاب فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت امرأة قد نسدت رجلاها الى ثدييها وبيدها الى ناصيتيها ، ورأيت امرأة معلقة بثدييها ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير . وبدنها بدن الحمار عليها ألف لون من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار » .

فنامت فاطمة رضي الله عنها وقالت : حبيبي وقرّة عيني . ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهم العذاب ؟ فقال ﷺ : « يا بنية . أما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطي شعرها من الرجال وأما التي كانت معلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها وأما المعلقة بثدييها فانها كانت تفسد فراش زوجها وأما التي تسد رجلاها الى ثدييها وبيدها الى ناصيتيها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فانها كانت لا تنظف بدننها من الجنابة والحيض وتستعزى بالصلاة .

وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فانها كانت نمامة كذابة .

= النبي ﷺ خاصة ألا ترى الى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم قد قال لها النبي ﷺ : « اعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده » قال الحافظ في التلخيص : وهذا جمع حسن وبه جمع المنزى في حوائيه واستحسنه شيخنا يعني العراقي ا هـ من سنن أبي داود ، وشرحها عون المعبود .

واما التي على صورة الكلب والنار ندخل من فيها وتخرج من دبرها
فانها كانت منانة حسادة » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه نال : قال رسول الله ﷺ : « لا تؤذى
المرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك
الله .. ويا بنية (١) الويل لامرأة تعصى زوجها » (٢) .

(فصل) واذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاها فالزوج
أيضا مأمور بالاحسان اليها واللفظ بها والصبر على ما يبدو منها من سوء
خلق وغيره وايصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى :
« وعاشروهن بالمعروف » (٣) ولقول النبي ﷺ : « استوصوا بالنساء خيرا
فانهن عوان لكم .. الا ان لكم على نسائكم حما ولنسائكم عليكم حقا ، فحقهن
عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن ، وحكم عليهن ان لا يوطئن
فرسكم من تكرهون ولا يأتفن في بيوتكم من تكرهون » (٤) وقوله ﷺ : « عوان »
اي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها
تحت حكم الرجل بالأسير .

وقال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله » (٥) وفي رواية : « خيركم الطفكم
بأهله » وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء . وقال ﷺ : « أيما
رجل صبر على سوء خلق امراته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب
عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاهما
الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وقد روى أن رجلا جاء الى عمر رضى الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف
على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه
وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعا وقال : ان كان هذا حال
عمر مع شدته وصلابته وهو امير المؤمنين فكيف حالي ؟ فخرج عمر فرآه موليا

(١) قوله : يا بنية .. الويل .. الخ ليس من حديث معاذ ولعله من
حديث علي وفاطمة السابق .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن وآخره بعد قوله :
« قاتلك الله » : « فانما هو عنك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » .

(٣) النساء : ١٩ .

(٤) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح وهو من حديث عمرو
ابن الأحوص الجشمي أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع .. الخ .
اهترغيب .

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها وله
شاهد من حديث ابن عباس عند ابن ماجه والحاكم وصححه ومن حديث
أبي هريرة عند الترمذى وابن حبان وصححه الترمذى اهترغيب .

عن بابيه فناده وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال : يا امير المؤمنين جئت اشكو اليك سوء خلق امرأتى واسنطالقتها على فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : اذا كان هذا حال امير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : يا اخى انى احتملتها لحقوق لها على : انها طباخة لطعامى خبازه لخبزى غسالة لنيابى مرسعة لولدى وليس ذك كله واجب عليها ويسكن قلبى بها عن الحرام فاننا احملتها لذلك . فقال الرجل : يا امير المؤمنين .. وكذلك زوجتى ، مال عمر : ملحملها يا اخى فانما هى مدة يسيره .

وحكى أن بعض الصالحين كان له اخ فى الله وكان من الصالحين يزوره فى كل سنة مرة فجاء لزيارته فطرق الباب فقالت امراته : من ؟ فقال : اخو زوجك فى الله جئت لزيارته ، فقالت : راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه وفعل به وفعل وجعلت تذهمن عليه فبينما هو واقف على الباب واذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحب به ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للأسد : اذهب بارك الله فيك ، نم أدخل اخاه والمرأة على حالها تذهمن وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها فأكل مع أخيه نسيئا ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثانى جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امراته : من بالباب ؟ قال : اخو زوجك فى الله فلان فقالت : مرحبا بك وأهلا وسهلا اجلس فانه سيأتى ان شاء الله بخير وعافية قال : فتعجب من لطف كلامها وأدبها اذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضا من ذلك فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاما لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف فلما أراد أن يفارقه قال : يا أخى .. اخبرنى عما أريد ان أسألك عنه قال : وما هو يا أخى ؟ قال : عام أول اتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذهم كثيرا ورايتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد وهو مسخر بين يديك ، ورايت العام كلام المرأة لطيفا لا تذهمن ورايتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال : يا أخى .. توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابرا على خلقها وما يبدو منها كنت معها فى تعب وأنا أحتملها فكان الله قد سخر لى الأسد الذى رايت يحمل عنى الحطب بصبرى عليها واحتمالى لهما فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وأنا فى راحة معها فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتى مع هذه المرأة المباركة الطائعة . فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى أنه جواد كريم .

**الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير
في الدنيا والمحيطان والحجر والنفوس والاشياء
سواء اختلفت من سمح أو عجز أو حديد أو نحاس أو صوف
أو غير ذلك والأمر باتلافها**

قال الله تعالى : « **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُحِدَ لَهُمْ عَذَابُهُمْ** » (١) قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ،
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ الَّذِينَ يُصْعِقُونَ
الصُّورَ يُعَذِّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ** » (مخرج في
الصحيحين) وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من
سفر وقد سنرت سهوة لى بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون
وجهه وقال : « **يَا عَائِشَةُ .. أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَاغُونَ
بِخَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** » قالت عائشة رضي الله عنها : مفضته مجعلت منه
وسانتين (مخرج في الصحيحين) . القرام بكسر القاف وهو الستر والسهوة
كالصفة تكون بين يدى البيت . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « **كُلُّ مَصُورٍ فِي النَّارِ يَجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صُورَهَا نَفْسٌ
يُعَذِّبُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ** » (مخرج في الصحيحين) وعنه رضي الله عنه قال : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كَلَفَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهَا الرُّوحُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا** » (٢) وعنه ﷺ أنه قال : « **يَقُولُ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيُخْلِفُوا حَبَّةً أَوْ لِيُخْلِقُوا شَعِيرَةً
أَوْ لِيُخْلِقُوا ذَرَّةً** » (مخرج في الصحيحين) .

وقال ﷺ : « **يُخْرِجُ عُنُقَ مَنْ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : إِنِّي وَكَلْتُ بِثَلَاثَةٍ
بِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَبِالْمُصَوِّرِينَ** » (٣) .
وقال رسول الله ﷺ : « **لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ** » .
(مخرج في الصحيحين) .

وفي سنن أبى داود عن أبى بن أبى طالب قال : قال رسول الله
ﷺ : « **لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ وَلَا جَنْبٌ** » وقال الخطابي
رحمه الله تعالى : قوله ﷺ : « **لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ
وَلَا جَنْبٌ** » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين
هم الحفظة فانهم لا يفارقون الجذب وغر الجنب ، وقد قيل : انه لم يرد
الجنب الذى اصابته الجنابة فأخر الاغتسال الى اوان حضور الصلاة ولكنه-

(١) الأحزاب : ٥٧ .

(٢) رواه البخارى وفيه قصة اهترغيب .

(٣) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال : حسن صحيح .

ترغيب .

الذى يجنب ولا يغتسل وينهاون بالغسل ويتخذة عادة فان النبى ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد وفى هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه .
وفالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء (١) .

واما الكلب فهو أن يقننى كلبا لا لزرع ولا لضرع أو صيد ، فأما اذا اضطر اليه فلا حرج للحاجة اليه فى بعض الأمور أو لحراسة داره اذا اضطر اليه فلا حرج عليه ان ساء الله .

واما الصور فهى كل مصور من خوات الأرواح سواء اكانت لها أشخاص منتصبه أو كانت منقوشة فى سقف وجدار أو موضوعة فى نمط أو منسوجة فى ثوب أو مكان ، فان قضية العموم تأتى عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق .
ويجب اتلاف الصور لمن قدر على اتلافها وازالتها ، روى مسلم فى صحيحه (٢) عن حيان بن حصين قال : قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : ألا أبعثك على ما بعننى عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة الا طمسها ولا تقبرا مشرفا الا سويته .
فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

روينا فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

ورويانا فى صحيحيهما عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ « برىء من الصالقة والحالقة والنساقة » الصالقة : التى ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة : التى تحلق شعرها وتنشفه عند المصيبة ، والنساقة : التى تشق ثيابها عند المصيبة وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمس الوجه والدعاء بالويل والثبور .
وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ فى البيعة أن لا ننوح (رواه البخارى) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انتقان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى الأنساب والنياحة على الميت » (رواه مسلم) .

(١) رواه الترمذى وأعله .

(٢) وكذا أبو دارود والترمذى ، ربحان بن حصين ، هو أبو الهياج

الأسدى .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة (رواه أبو داود) • وعن أبي بردة قال : وجع أبو موسى الأشعري فمضى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها فلما أفاق قال : أنا برىء مما برىء منه رسول الله ﷺ ، أن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والنساقة (❦) •

وعن انعمان بن بشير رضى الله عنه قال : أغمى على عبد الله بن ربيعة فجعلت أخته تعدد عليه فتقول : واكذا واكذا فقال حين أفاق : ما قلت شيئا الا قيل لى : انت كذا انت كذا ؟ (أخرجه البخارى) (١) •

وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « الميت يعذب في قبره بما نصح عليه » •

وعن أبي موسى رضى الله عنه قال : ما من ميت يموت فيقوم بالكيف فيقول : واسيداه واجبله واكذا واكذا ونحو ذلك الا وكل به ملكان يلهزانه اهكذا أنت ؟ (أخرجه الترمذى) (٢) •

وفال ﷺ : « النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » (٣) وقال ﷺ : « انما نهيت عن صوتين أحقن فاجرين : صوت عند نعمة ولهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة خمس في وجوه وسق في جيوب ورنه شيطان » وقال الحسن : صوتان ملعونان : مزار عند نعمة ورنه عند مصيبة •

وقال رسول الله ﷺ : « أن هذه النوائح يجعلن صفيين في النار فينبحن في أهل النار كما تنبح الكلاب » (٤) • وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليين ضربا حتى بلغ النائحة مضربها حتى سقط خمارها وقال : اضرب فانها نائحة ولا حرمة لها ، انها لا تبكى بشجوكم انها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم وانها تؤذى موتاكم في قبورهم واحياكم في دورهم لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه •

واعلم أن النياحة رفع الصوت بالنذب ، والنذب تعيد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه •

(❦) رواه البخارى وابن ماجه والنسائي كذا في الترغيب •

(١) وزاد : فلما مات لم تبك عليه ا هـ ترغيب •

(٢) وقال حديث حسن غريب وكذا رواه ابن ماجه ا هـ ترغيب •

(٣) رواه مسلم وابن ماجه من حديث أبي مالك الأشعري •

(٤) رواه الطبرانى في الأوسط من حديث أبي هريرة وأشهر للنخري في

الترغيب الى ضعفه •

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء وأما البكاء على الميت من غير نحب ولا نياحة فليس بحرام . رويانا في صحيح البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم مكي رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا فقال : « ألا تسمعون . » أن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أويرحم . وأشار الى لسانه . ورويا في صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ رفع اليه ابن ابنته وهو فى الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ فقال سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » ورويانا فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « يا ابن عوف . . . إنها رحمة » ثم اتبعها بأخرى فقال : « ان العين لتدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا ، وأنا بفراقك يا ابراهيم لحزون » .

وأما الأحاديث انصحيحة . أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها وإطلاقها بل هى مؤولة . واختلف العلماء فى تأويلها على أقوال أظهرها ، والله أعلم - أنها محمولة على أن يكون له سبب فى البكاء إما أن يكون قد أوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعى : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح : « فإذا وجبت فلا تبكين باكية » وقد نص الشافعى والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم وتناولوا حديث : « تبكين بلكية » على الكراهية ، والله أعلم .

(فصل) وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر والله ورسوله قد أمرا بالصبر والاحتساب ونهى عن الجزع والسخط . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين » (١) قال عطاء عن ابن عباس : يقول : انى معكم انصركم ولا اخذلكم وقال تعالى : « ولتبلونكم » (٢) أى لنعاملنكم معاملة الابتلى لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج الى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى ، فمن صبر أثابه على صدره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقوله : « بشئ من الخوف والجوع » (٣) قال ابن عباس : يعنى خوف العدو والجوع يعنى المجاعة والقحط « ونقص من الأموال » (٤) يعنى الخسران

(٢) البقرة : ١٥٥ .

(١) البقرة : ١٥٣ .

والنقصان في المال وهلاك المواتي « والأأنفس » (١) بالموت والقتل والمرض والنسيب « والثمرات » (١) يعني الجوائح وأن لا تخرج الثمرة كما كانت . تم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى : « وبشر الصابرين » (١) ثم نعمتهم فقال : « الذين إذا أصابتهم مصيبة » (٢) أي نالتهم نكبة ما ذكر ، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة « قالوا إنا لله » (٢) عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء « وانا إليه راجعون » (٣) بالهلاك وبالفناء ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم إذ قد ملك في الدنيا قوما الحكم فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مصيبة يصيب بها المؤمن الا كفر الله بها عنه حتى التسوكة يساكنها » (رواه مسلم) (٣) وعن علقمة بن مرثد بن سابط عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبتة نبي فانها أعظم المصائب » (٤) وقال رسول الله ﷺ : « إذا مات ولد العبد يقول انه لله منكبه : قبضتم ولد عبي ؟ فيقولون : نعم فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . . فيقول : ماذا قال عبي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد » (٥) وعن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى : ما لعبدي عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا نم احتسب الا الجنة » (رواه البخاري) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة منهم الصاكة وجهها ومنهم النائرة شعرها ومنهم الداعية بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام : مم هذا الجزع ومم هذا الفزع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمرا ولا ذهبت لأحد منكم برزق ولا ظلمت لأحد منكم شيئا فان كانت شكابتكم وسخطكم على فاني والله مأمور وان كان علي ميتكم فانه مقهور وان كان علي ربكم فأنتم به كافرون ، وان لي بكم

(١) البقرة : ١٥٥ (٢) البقرة : ١٥٦

(٣) وكذا وشاهده عندهما من حديث أبي سعيد الخدري كما أفاده في الترغيب :

(٤) رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد وثقه

ابن حبان وضعفه غيره اه مجمع الزوائد .

(٥) رواه الترمذي وابن حبان وقال الترمذي : حسن غريب اه ترغيب .

عوده بعد عودة حنى لا أبغى منكم احدا • قال رسول الله ﷺ : « والذي نسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم » •

(فصل في التعزية) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : « من عزى مصابا فله منزل اجره » (رواه الترمذى) (١) •

وعن أبي بردة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها : « من عزى ثكلى كسى بردا من الجنة » (رواه الترمذى) (٢) •

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضى الله عنها : « ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت اهل هذا البيت فترجعت اليهم مينهم وعزيتهم به » (٣) •

وعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ : « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » (٤) •

واعلم رحك الله •• ان التعزية هي النصير وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة لانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي ايضا داحلة في قوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » (٥) وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية •

واعلم أن التعزية وهي الأمر بالصبر مستحبة قبل الدفن وبعده قال أصحاب الشافعى : من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن الى ثلاثة أيام قال أصحابنا : وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام لأن التعزية تسكن قلب المصلي والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن ، هكذا قال الجماهير من أصحابنا ، وقال أبو العباس - من أصحابنا - : لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بل يبقى أبدا وإن طال الرمان ، قال النووي رحمه الله : والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين استثناهما أصحابنا وهما اذا كان المعزى أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر ، هذا اذا لم ير منهم جزعا ، فان رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم •

ويكره الجلوس للتعزية ، يعنى أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقتصد منهم من

(١ ، ٢) وقال في كليهما : حديث غريب وزاد في الأول أنه روى موقوفا

أماهه في الترغيب •

(٣) رواه أبو داود والنسائي بسند فيه ربيعة بن سيف تابعي من

أهل مصر فيه كلام لا يقدح في حسن الاسناد اهترغيب •

(٤) رواه ابن ماجه وصكت عليه المنخوى في ترغيبه •

(٥) المسائدة ٢٠ •

أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ما روينا في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابنا لها في الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : « أرجع اليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب » وذكر تمام الحديث .
قال النووي رحمه الله : فهذا الحديث من أعظم قواعد الاسلام المشتمة على مهمات كثيرة من اصول الدين وفروعه والآداب والصبر على النوازل كلها والهموم والاسقام وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قوله ﷺ : « ان الله ما أخذ » : ان العالم كله ملك لله لم يأخذ ما هو لكم بل هو أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية ، وقوله : « وله ما أعطى » ما وهبه لكم ليس خارجا عن ملكه بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء « وكل شيء عنده بأجل مسمى » فلا تجزعوا فان من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه فاذا علمتم هذا كله فاصبروا . واحتسبوا ما نزل بكم ، والله اعلم .

وعن معاوية بن اياس عن ابيه رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه فقد رجلا من أصحابه فسأل عنه فقالوا : يا رسول الله .. ابنه الذي رأيته هلك فلقية النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره أنه هلك فعزاه عليه ثم قال : « يا فلان .. أيما كان أحب اليك ان نمتع به عمره أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة الا وجهته قد سبك اليه يفتحه لك » ؟ فقال : يا نبي الله .. يسبقني الى الجنة يفتحها لي أحب الى قال : « فذلك لك » فقيل : يا رسول الله .. هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : « بل للمسلمين عامة » (١)
وعن ابي موسى عن النبي ﷺ انه خرج الى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكي فقال لها : « يا أمة الله .. اتقي الله واصبرى » (٢) قالت : يا عبد الله .. انى أنا الحرة الثكلى قال : « يا أمة الله .. اتقي الله واصبرى » قالت : يا عبد الله .. لو كنت مصابا عذرتنى قال : « يا أمة الله .. اتقي الله واصبرى » قالت : يا عبد الله .. قد اسمعتنى فانصرف ، قال : فانصرف

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح والنفائى وابن حبان في صحيحه باختصار اهـ ترغيب .

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده من حديث ابي هريرة وأبي موسى وفي مسنده بكر بن الأسود الناجي وهو ضعيف قاله الهيثمى في مجمع الزوائد ، قلت : واصله في الصحيحين من حديث أنس مختصرا وصاحبه أبو هريرة لا أبو موسى كما في الهيثمى وفتح البارى في شرح حديث أنس : « انما الصبر عند الصدمة الأولى » في كتاب الجنائز من صحيح البخارى .

عن رسول الله ﷺ وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسالها : ما لك
 لك الرجل ؟ فأخبرته بما قال وبما ردت عليه فقال لها : أتعرفينه ؟ قال
 لا والله ، قال : ويحك .. ذلك رسول الله ﷺ فبادرت تسعى حتى أدرك
 فقالت : يا رسول الله .. أصبر قال : « انما الصبر عند الصدمة الأولى »
 أي انما يجمل الصبر عند مفاجأة المصيبة وإما فيما بعد فيفزع السلو طبع
 وفي صحيح مسلم : مات ابن لآبي طلحة من أم سليم فقالت لأهله : لا تحسروا
 أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه ، وجاء أبو طلحة فقربت إليه عشاء فأكل وشرب ،
 ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوضع بها فلما رأت أنه
 قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة .. أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم
 أهل بيت فطلبوا عاريتهم اللهم إن يمنعوهم ؟ قال : لا .. قالت أم سليم :
 فأحسب ابنك ، قال : فغضب أبو طلحة فقال : تركنتي حتى اذا تلطخت
 أخبرني بابني ، والله لا تغلبنني على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله
 ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ : « بارك الله لكما في ليلتكما »
 فذكر الحديث . وفي الحديث : « ما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من
 الصبر » (١) وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس : انك ان صبرت
 إيمانا واحتسابا والا سلوت كما تسلو البيهائم ، وكتب حكيم الى رجل
 قد أصيب بمصيبة : انك قد ذهب منك ما رزقت به فلا يذهبن عنك ما عوضت
 عنه وهو الاجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله
 الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم أن مبر الزمان يسلى المصاب فلذلك
 أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ السلفي رضي الله عنه أن
 عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعا
 شديدا فبعث اليه الشافعي رحمه الله يقول : يا أخي .. عز نفسك بما تعزى
 به غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك واعلم ان أمضى
 المصائب فقد سرور وحرمان اجر فكيف اذا اجتمع مع اكتساب وزر ؟ فتناول
 حظك يا أخي اذا قرب منك قبل أن تضل به وقد نأى عنك ، اللهمك الله عند المصائب
 صبرا واحرز لنا ولك بالصبر اجرا ، وكتب اليه يقول :

اني معزيك لا اتي على ثقة من الحياة ولكن سنة الدين
 فما المعزى ببقاء بعد ميته ولا المعزى ولو عاش الى حين

وكتب رجل الى بعض اخوانه يعزيه بآبائه : أما بعد .. فان الولد
 على والده ما عاش حزن وقتنة فاذا قدمه صلاة ورحمة فلا تعزن على ما فاتك
 من حزنه وقتنته ولا تضع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته .
 وقال موسى بن المهدي لابراهيم بن سلمة وعزاه بآبائه : أسرك وهو بلية
 وقتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

(١) رواه البخاري ضمن حديث طويل اه ترغيب

وذكرى رجل رجلا فقال : ان من كان لك في الآخرة أجرا خير ممن كان في الدنيا سرورا وفرحا .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه دفن ابنا له ثم ضحك عند القبر فنيل له : انضحك عند القبر ؟ فقال : أردت أن أرغم الشيطان ، وعن ابن جريج رحمه الله قال : من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما نسلو البهائم ، وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر إليه . انى أعلم خير خلة فيك . قيل : وما هي ؟ قال : يموت مأتسبه .

وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا حزن على ولد له وسكا ذلك اليه فقال الحسن : أكان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم . . . كانت غيبته أكثر من حضوره ، قال : فاتركه غائبا فإنه لم يغيب عنك غيبة الا لك فيها أعظم من هذه فقال : يا أبا سعيد . . . هونت على وجدى على ابنى . ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجهه فقال : يا بنى . . . كيف تجدك ؟ قال : أجدنى في الحق قال : يا بنى . . . لان تكون في ميزانى أحب الى من أن أكون في ميزانك ، قال : يا أبت لان يكون ما تحب أحب الى من أن يكون ما أحب .

ومات ابن للامام الشافعى فأنشد يقول :

وما الدهر الا هكذا فاصطبر له رزية مال أو فراق حبيب
ووقعت في رجل عروة الكلة فقطعها من الساق ولم يمسه أحد وهو
شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة الا أنه قال : ((لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا)) (١) وتمثل بهذه الأبيات :

لمسرى ما أهويت كفى لربيبة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأبى عليها ولا عقلى
وأعلم انى لم تصيبنى مصيبة من الدهر الا قد أصابت فتى فبلى
وقال رضى الله عنه : اللهم ان كنت ابتليت فقد عافيت وان كنت أخفت
فقد أبقيت ، أخدت عضوا وأبقيت أعضاء وأخدت ابنا وأبقيت أبناء .

وقدم على الوليد في تلك الليلة رجل أعمى من بنى عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة في بطن واد ولم أعلم في الأرض عبسيا يزيه ماله على مالى فطرقنا سيل فذهب ما كان لى من مال وأهل وولد غير بعير وصبى وكان البعير صعبا فند (أى شرد) فاتبعته فما جاوزت الصبى الا ببصير حتى سمعت صوته فرجعت فاذا رأس الصبى في بطنه فقتله ثم اتبعت البعير لأخذه ففحنى برجله فأصاب وجهه فقطعه وأذهب عينى فأصبحت لا أرى لى ولا مال ولا ولد ولا بعير ، فقتل الوليد : انطلقوا به الى عروه ليحطم أن في الأرض من هو أشد منه بلاء .

وذكر أن عثمان رضي الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تمسيل
لحيته : لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ، اللهم اني اسئلك
بِكَ عليهم وأستعينك على جميع أمورى وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

وقال المدائني : رايت بالبادية امرأة لم أر جلدا أنضر منها ولا أحسن
وجها منها فقلت : تالله ان فعل هذا بك الاعتدال والسرور فمالت : كلا والله
انبي لبدع احزان وخلف هموم وسأخريك : كان لى زوج وكان لى منه ابنان
فذبح أبوهما شاة في يوم أضحي والصبيان يلعبان فقال الأكبر للأصغر :
أتريد ان أريك كيف ذبح أبى الشاة ؟ فقال : نعم . فذبحه . فلما نظر الى
الدم جزع ففزع نحو الجبل فاكله الذئب فخرج أبوه في طلبه ففاته أبوه
فمات عطشا فأفرغني الدهر . فقلت لها : وكيف أنت والصبر ؟ فقالت :
لو دام لى لدمت له ولكنه كان جرحا فاندمل .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من كان له فرطان (١) من أمتي دخل الجنة » (٢) يعنى ولدين . قالت
عائشة رضي الله عنها : بأبى أنت وأمى فمن كان له فرط ؟ قال ﷺ : « ومن
كان له فرط يا موقفة » قلت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال : أنا
فرط أمتي : لم يصابوا به مثلى .

وعن أبى عبيدة رضي الله عنه عن أبيه (٣) قال : قال رسول الله ﷺ :
« من حم ثلاثه من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار » .
مقال أبو الرداء : قمت انين قال : « وانين » مال أبى بن كعب - سيد
الفرء - : قمت واحدا نال ﷺ : « واحدا ولكن ذلك في أول صدمة » . وعن
وكيع قال : كان لابراهيم الحربى ابن وكان له أحد عشرة سنة قد حفظ
القرآن ونفقه من الفقه والحديث شيئا كثيرا فمات فجئت أعزيه فقال لى :
كنت أشدبى موت ابني هذا قلت : يا أبا اسحاق . أنت عالم الدنيا تقول
مثل هذا قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه وأحدث قال : نعم . رايت في
المنام كأن القيامة قد قامت وكان صبيانا في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس
يسقونهم وكان اليوم يوم حار شديد حره قال : فقلت لأحدهم : اسقنى من
هذا الماء قال : فنظر الى وقال لى : ليس أنت أبى فقلت : ومن أنتم ؟
قال : نحن اصبيان الذين متنا في الاسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم
الماء قال : فلهذا تمنيت موته .

(١) الفرط بفتح الفاء والراء : الذى مات قبل البلوغ ذكرا كان أو أنثى
وجمعه أفرطاً هـ متفرق .

(٢) رواه الترمذى وقال : حسن غريب هـ متروك .

(٣) أبو عبد الله بن مسعود والحديث أخرجه ابن ماجه وأشار المتفرق
في الترغيب الى ضعفه وليس في آخره قوله : « ولكن ذلك في أول صدمة » .

وروى مسلم عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة رضى الله عنه : حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن عوتانا قال : نعم ٠٠ صفارهم دعاميص (١) الجنة يتلفى أحدهم إياه - أو قال : أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال : بيده - فلا ينتهى حتى يدخله الجنة ٠

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال : كنت في أول أمرى مكباً على اللبؤ وشرب الخمر فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لى بنتاً فاحببتها حباً شديداً الى أن دبت ومشت فكنت اذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتنى عليه فأعرقته بين يدي فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدنى حزنها قال : فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر قرأيت في النوم كان القيامة قد قامت وخرجت من قبرى واذا بتنين قد تبعنى يريد أكلى - والتنين الحية العظيمة - قال : فهربت منه فتبعنى وصار كلما أسرعت يهرع خلفى وأنا خائف منه فمررت في طريقى على شيخ نقى الثياب ضعيف فتنت : يا شيخ ٠٠ بالله أجزئى من هذا التنين الذى يريد أكلى واهلاكى فقال : يا ولدى ٠٠ انا شيخ كبير وهذا أقوى منى ولا طاقة لى به ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه ، قال : فأسرعت في الهرب وهو ورائى فأسرعت على طبقات النار وهى تفور فكنت ان أهوى فيها واذا بقائل يقول : لست من أهلى فرجعت هارباً والتنين فى اثرى فأسرعت على جبل مستدير وفيه طاقات وعليها ابواب ومستور واذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل أن يحرکه عدوه ففتحت الأبواب ورفعت الستور وأسرفت على منها أطفال بوجوه كالآقمار واذا ابنتى معهم فلما راتنى نزلت الى كفة من نور وضربت بيدها اليمنى الى التنين فولى هارباً وجاست في حجرى وقالت : يا أبت ٠٠ « الم يئن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق » (٢) ٠ فقلت : يا بنية ٠٠ وانتم تعرفون القرآن ؟ قالت : نحن أعرف به منكم ٠ قلت : يا بنية ٠٠ ما تصنعون ههنا ؟ قالت : نحن من مات من اطفال المسلمين اسكننا ههنا الى يوم القيامة ننتظركم تقممون علينا ٠ فقلت : يا بنية ٠٠ ما هذا التنين الذى يطاردنى ويريد اهلاكى ؟ قالت : يا أبت ٠٠ ذلك عمك السوء قويمته فاراد اهلاكك ، فقلت : وذن ذلك الشيخ الضعيف الذى رأيت ؟ قالت : ذلك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعمك السوء فتدب

(١) دعاميص بفتح الـ دال جمع دعووس بضمها : دويبة صغيرة يضرب لونها الى السواد تكون فى العذرات اذا نشفت شبه بها الطفل فى الجنة أصغر سنة وسرعة هركته وقيل : اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم لا يتوقف على إذن منهم ولا يخاف أين ذهب من ديارهم شبه به الطفل لكثرة دخاله فى الجنة حيث شاء لا يمنع من بيت فيها ولا موضع له ترجيع ٠

(٢) الحديد : ٦٦ ٠

إلى الله ولا تكن من الهالكين ، قال : ثم ارتفعت عنى واستيقظت فتبت إلى الله من ساعتى .

مانظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغارا ذكورا كانوا أو إناثا وانما يحصل للوالدين النفع بهما في الآخرة إذا صبروا واحسبوا وقالوا : الحمد لله أنا لله وأنا إليه راجعون فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله : « الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ » (١) أي نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء « وإنا إليه راجعون » (١) اقرار بالهلاك والفناء .

وعن نوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب عبدا مصيبة إلا باحدى خلتين : إما بخنوب لم يكن الله ليغفره له إلا بتلك المصيبة أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة » .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم « أنا لله وإنا إليه راجعون » (١) ولو أعطيتهم الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول : « يا أسفى على يوسف » (٢) . وعن أم سلمة رضى الله عنهما قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال عند المصيبة : « أنا لله وإنا إليه راجعون » ، اللهم أجرنى في مصيبتى وأخلف لى خيرا منها إلا أجره الله وأخلف له خيرا منها » قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت : من خير من أبى سلمة ؟ ثم قلتها فأخلفنى الله رسول الله ﷺ (رواه مسلم) .

وعن الشعبي أن شريحا قال : انى لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات ، أحمدته إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمدته إذ رزقنى الصبر عليها ، وأحمدته إذ وفقنى للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمدته إذ لم يجعلها فى دينى ، وقوله : « أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » (٣) الصلوات من الله : الرحمة والمغفرة « وأولئك هم المهتدون » (٣) يريد الذين اهتدوا للترجيح وقيل : إلى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : نعم العبدان ونعم الملاوة : « أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » نعم العبدان « وأولئك هم المهتدون » نعم الملاوة .

وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والنبور أو لطم خدا أو شق جيبا أو نشر شعرا أو حلقه أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلا كان أو امرأة .
وقد روى أيضا أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر ، وقد

(٢) يوسف : ٨٤ .

(١) البقرة : ١٥٦ .

(٣) البقرة : ١٥٧ .

روى ان من اصابته مصيبة فخرق عليها ثوبا او لطم خدا او شق جيبا
او نتف شعرا فكأنما اخذ رمحا يريد ان يحارب ربه . وقد تفهم أن الله
عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - يعنى ما يقوله
صاحب المصيبة بلسانه يعنى من الندب والنياحة - وقد تفهم أن الميت يعذب
في قبره بما نوح عليه اذا قالت النائحة : واعضداه واناصراه واكاسياه ، جبد
الميت وقيل له : أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنواح حرام
لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر وفيه مخالفة التسليم للقضاء والاذعان
لامر الله تعالى .

(حكاية) فان صالح الرى : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فتمت واذا
بالقبور قد شقق وخرج الأموات منها وجلسوا حلقا حلقا ونزلت عليهم
اطباق مغطية واذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم قال : فتفهمت
اليه وقلت : يا شاب .. ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم ؟ فقال :
يا صالح .. بالله عليك بلغ ما آمرك به وأد الأمانة وارحم غربتي لعلى
الله عز وجل أن يجعل لى على يدك مخرجا : انى لما مت لى والدة جمعت
النواذب والنوائج يندبن على وينحن كل يوم فأتانا منى بذلك ، النار عن
يمينى وعن شمالى وخلفى وأمامى لسوء مقال أمتى فلا جزاها الله عنى خيرا ،
ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال : يا صالح .. بالله عليك اذهب اليها فهى
فى المكان الفلانى - وعلم لى المكان - وقل لها : لم تعذبى ولدك يا أمه ربيتينى
ومن الأسواء وقيتينى فلما مت فى العذاب رميتينى .

يا أمه .. لو رأيتنى : الأغلال فى عنقى والفيد فى قصى وملأكة العذاب
تضربنى وتنهزنى نلو رأيت سوء حالى لرحمتينى وان لم تتركى ما أنت عليه
من الندب والنياحة الله بينى وبينك يوم تشق سماء عن سماء ويبرز الخلائق
لفصل القضاء . قال صالح : فاستيقظت فزعا ومكثت فى مكانى قلنا الى
الفجر فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لى هم الا الدار التى لأم الصبى
التساب فاستدلت عليها فأتيتها فاذا بالباب مسود ، وصوت النواذب والنوائج
خارج من الدار فطرقت الباب فخرجت الى عجزو فقالت : ما تريد يا هذا ؟
فقلت : اريد أم الشاب الذى مات فقالت : وما تصنع بها ؟ هى مشغولة
بحزنها فقلت : أرسلها الى ، معى رسالة من ولدها ، فدخلت فأخبرتها
فخرجت أم عليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللهم فقالت
لى : من أنت ؟ قلت : أنا صالح ارى . جرى لى البارحة فى المقابر مع
ولدك كذا وكذا راينه فى العذاب وهو يقول : يا أمتى ربيتينى ومن الأسواء
وقيتينى ، فلما مت فى العذاب رميتينى ، وان لم تتركى ما أنت عليه الله بينى
وبينك يوم تشق سماء عن سماء ، فلما سمعت ذلك غشى عليها وسقطت الى
الأرض فلما أفاقَت بكى بكاء شديدا وقالت : يا ولدى .. يعز على ولو علمت

ذلك بحالك ما فعلت وأنا تائبة الى الله تعالى من ذلك ثم دخلت وصرفت
البوائع ولبست غير تلك الثياب وأخرجت الى كيسة فيه دراهم كثيرة
وقالت : يا صالح . تصدق بهذه عن ولدى مال صالح : مودعتها ودعوت
لها وانصرفت وتصدقته عن ولدها بتلك الدراهم فلما كان ليلة الجمعة الأخرى
اتيت المفابر على عادتي فتمم فرأيت أهل الفيور قد خرجوا من قبورهم
وجلسوا على عادتهم وانتهم الأطباء وإذا ذاك الساب صاحبك فرح مسرورا
فجاءه أيضا طبق فأخذه فلما رآني جاء الى فقال . يا صالح . جزاك الله عني
خيرا حفف الله عني العذاب وذلك بترك أمي ما كانت تعمل وجاعني ما تصدقت
به عني قال صالح : فقلت : وما هذه الأطباء ؟ فقال : هذه هدايا الأحياء
لأمواتهم من الصدقة والفراة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعه يقال له
هذه هدية فلان اليك فارجع الى أمي وأقرئها مني السلام وقل لها
جزاها الله عني خيرا قد وصل الى ما تصدقت به عني وأنت عندي عن قريب
فاستعدي . مال صالح : ثم استيقظت واتييت بعد أيام الى دار أم الساب
وإذا بنعش موضوع على الباب فقلت : لمن هذا فقالوا : لأم الشاب فحضرت
الصلاة عليها ودفنت الى جانب ولدها بتلك المقبرة ندعوت لهما وانصرفت .
فنسأل الله أن يترفانا مسلمين ويلحفنا بالصالحين ويعصمنا من النار
انه جواد كريم رؤوف رحيم .

* * *

الكبيرة الخمسون : البغي

قال الله تعالى : « انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في
الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم » (١) .
وقال النبي ﷺ : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على
أحد ولا يفتخر أحد على أحد » (رواه مسلم) (٢) .
وفي الأثر : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغى منهما دكا .
وقال ﷺ : « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا
مع ما يحخره له في الآخرة من البغي وقطبة الرحم » (٣) .
وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه فقد أخبر الله تعالى
عنه بقوله : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم » (٤) الى قوله :

(١) الشورى : ٤٢ .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عياض بن حمار رضى الله
عنه اهترغيب .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح والحاكم وقال :
صحيح الاسناد من حديث أبى بكر اهترغيب .

(٤) القصص : ٧٦ .

((فحسبنا به وبداره الأرض)) (١) •• الآية قال ابن الجوزي رحمه الله :
في بغى قارون أنوال :

(أحدها) أنه جعل للبغية جملا على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها
ففعلت فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا
بغيه ، قاله ابن عباس •

(والثاني) أنه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك •

(والثالث) بالكفر ، قاله قتادة •

(والرابع) أنه أطل نياحه شبرا ، قاله عطاء الخراساني •

(والخامس) أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني إسرائيل فظلمهم ،
حكاه الماوردي •

قوله : ((فحسبنا به وبداره الأرض)) (١) •• الآية • لما أمر قارون
البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله
إليه : اني قد أمرت الأرض أن تطيعك فبرها ، فقال موسى : يا أرض ••
خذي فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم
فقال : يا أرض •• خذي فأخذته حتى غيبت قدميه فما زال يقول : يا أرض ••
خذي حتى غيبتة فأوحى الله إليه • يا موسى •• وعزتي وجلالي لو استغاث بي
لأغثته ، قال ابن عباس : فحسفت به الأرض الى الأرض السفلى ، قال
سمرة بن جندب : انه كل يوم يخسف به قامة • قال مقاتل : فلما هلك قارون
قال بنو إسرائيل : انما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فحسف الله بداره
وماله بعد ثلاثة أيام •

((فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله)) (١) أى يمنعونه من الله
((وما كان من المنتصرين)) (١) أى من المعتنقين مما أنزل الله به ، والله أعلم •
اللهم انك اذا قبلت سلمت واذا أعرضت أسلمت واذا. وفقت ألهمت
واذا خذلت أنهمت •

اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك واجعلنا ممن أقبلت عليه
فأعريض عن سواك واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين ، آمين •

* * *

الكبيرة الحادية والخمسون

الاستطالة على الضعيف والملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالاحسان اليهم بقوله تعالى : ((واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين

والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، أن الله لا يحب من كان مختالا فخورا « (١) » .

قال الواحدى : فى قوله تعالى : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** » :
اخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم المهرجاني باسناده عن معاذ بن جبل
رضى الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال : يا معاذ ..
قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله قال : « هل تدري ما حق الله على العباد
وما حق العباد على الله » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : « فان حق
الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن
لا يعذب من لا يشرك به شيئا » (٢) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أتى النبي ﷺ أعرابى فقال :
يا نبي الله .. اوصنى قال : « لا تشرك بالله شيئا وان قطعت وحرقت
ولا تدع الصلاة لوقتها فانها ذمة الله ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل
شر » (٣) .

قوله : « **وبالذاتين احسانا** » يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب
ولا يغلظ لهما الجواب ولا يحد النظر اليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون
بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللا لهما . وقوله : « **وبذى القربى** »
قال : يصلهم ويتعطف عليهم « **واليتامى** » يرفق بهم ويخففهم ويسمح رؤوسهم
« **والسالكين** » ببذل يسير ورد جميل « **والجار ذى القربى** » يعنى الذى بينك
وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام « **والجار الجنب** »
هو الذى ليس بينك وبينه قرابة يقال : رجل جنب اذا كان غريبا متباعدا
اهله وقوم اجانب والجنابة البعد ، عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ

(١) النساء : ٣٦ .

(٢) هذا الحديث فى الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة والعجب للمؤلف
كيف أبعد النجعة فنقله عن الواحدى عن الضعاف والمناكير وهو على طرف
التمام فى دواوين الاسلام الشهيرة .

(٣) ذكر المنذرى فى ترغيبه أحاديث نحو هذا الحديث أقربها منه
حديث معاذ عند أحمد والطبرانى قال : واسناد أحمد صحيح لو سلم من الانقطاع
بين عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومعاذ فانه لم يسمع منه ومنها حديث
عند الطبرانى فى الأوسط ولا بأس باسناده فى المتابعات وحديث أبيمة مولاته
حتى عند الطبرانى بسند فيه يزيد بن سنان الراوى وحديث أبى الرداء
عند ابن ماجه والبيهقى بسند فيه شهر بن حوشب اه ترغيب .

قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى طغنت أنه سيورثه » (١) .
وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الجار
ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول . يا رب اوسع على أخى هذا وقترت على
امسى طاويا ويمسى هذا شبعان سله لم أغلق بابيه على وحرمنى ما قد وسعت
به عليه » .

« **والصاحب بالجانب** » قال ابن عباس ومجاهد : هو الرفيق في السفر له
حق الجوار وحق الصحبة « **وابن السبيل** » هو الضعيف يجب اقراؤه الى
ان يبلغ حيث يريد . وقال ابن عباس : هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى
يرحل عنك « **وما ملكت أيما نكم** » يريد المملوك يحسن رزقه ويعمو عنه فيما
يخطىء ، وقوله : « **ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** » قال ابن عباس :
يريد بالمختال : العظيم في نفسه الذى لا يقوم بحقوق الله . والفخور هو الذى
يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه ، عن أبى هريرة
رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل ساب من كان قبلكم
يمشى في حلة مختالا فخورا اذ ابتلعت الأرض فهو يتجلجل فيها حتى
تقوم الساعة » وعن أسامة قال : سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله
ﷺ يقول : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » (هذا
ما ذكره الواحدى) (٢) .

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصى بالصلاة
وبالاحسان الى المملوك ويقول : « الله في الصلاة وما ملكت أيما نكم » (٣) .
وفي الحديث : « حسن الملكة يمين وسوء الملكة شؤم » وقال رسول الله
ﷺ : « لا يدخل الجنة سىء الملكة » (٤) .

قال أبو مسعود رضى الله عنه : كنت أضرب مملوكا لى بالسوط فسمعت
صوتا من ورائى : « اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » .
قال : قلت : يا رسول الله لا أضرب مملوكا لى بعده أبدا . وفي رواية :
سقط السوط من يدى من هيبة رسول الله ﷺ وفي رواية : فقلت : هو حر

(١) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عائشة ورواه البخارى ومسلم
والترمذى ، من حديث ابن عمر ورواه أحمد بإسناد جيد ورواته رواة الصحيح
من حديث رجل من الأنصار اه ترغيب .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى .

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث على بن أبى طالب رضى الله
عنه .

(٤) رواه أحمد وأبو داود عن بعض بنى رافع بن مكيث عنه ولم يسمعه
منه ورواه أبو داود عن الحارث بن رافع بن مكيث عن النبى مرسل اه
ترغيب .

لوجه الله فقال : « أما انك لو لم تفعل للفحك النار يوم القيامة » (رواه مسلم) وروى مسلم أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من ضرب غلاما له حدا لم يأت له أو لطمه فكفارته أن يعنفه » ومن حديث حكيم بن حزام قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » .

وفي الحديث : « من ضرب بسوط ظلما افتص منه يوم القيامة » (١) .
وقيل لرسول الله ﷺ : كم نعمو عن الخادم ؟ قال : « في اليوم سبعين مرة » (٢) .

وكان في يد النبي ﷺ يوما سواك فدعا خادما له فأبطا عليه فقال : « لولا القصاص لضربتك بهذا السواك » (٣) وكان لأبي هريرة رضى الله عنه جارية زنجية فرمى عليها السوط فقال : لولا القصاص لأغسيتك ولكن سأبئك ان يوفيني ثمنك ، اذهبى فأبى حرة لوجه الله .

وجاءت امرأة الى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله .. انى قلت لأمتى : يا زانية قال : « وهل رأيت عليها ذلك » ؟ قالت : لا .. قال : « أما انها ستستقيد منك يوم القيامة » (٤) فرجعت الى جارتها فأعطتها سوطا وقالت : اجلدنى فأبى الجارية فأعتقتها ثم رجعت الى النبي ﷺ فأحبرته بعنقها فقال : « عسى » أى عسى ان يكمر عتقك لها ما تفتتها به .

و فى الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « من قذف مملوكه وهو برء مما ماله جلد يوم القيامة حدا الا أن يكون كما قال » (٥) وفى الحديث : « للمملوك طعامه وكسونه ولا يكلف ما لا يطيق » (٦) وكان ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول : « الله الله فى الصلاة وما ملكت أيمانكم أطعموهم

-
- (١) رواه البزار والطبرانى بإسناد حسن اهترغيب .
(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن غريب فى بعض النسخ والترمذى حسن صحيح بن حديث عبد الله بن عمر اهترغيب .
(٣) رواه أحمد بإسناد جيد والطبرانى كلاهما من حديث أم سلمة .
(٤) رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد وتعقبه المنذرى بأن فيه عبد الله بن عارون متروك أن عبد الله بن عمرو بن العاص زار عمه له فقذفت جارينها .. الخ بنحو مما هنا .
(٥) من حديث أبى هريرة وكذا روايات وقال : حديث حسن صحيح اهترغيب .

(٦) رواه مسلم من حديث أبى هريرة - وزاد ابن حبان فى صحيحه وقال : « فان كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله فانهم خلقا أمثالكم » اهترغيب .

مما تاكلون واكسوهم مما تكتسون ولا تكتنوهم من العمل ما لا يطيقون
فان كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله فانه ملككم اياهم ولو شاء
للكهم اياكم» (١) •

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضى الله عنه وهو أمير على المدائن
فوجدوه يعجن عجين أهله فقالوا له : الا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضى الله
عنه : انا أرسلناها في عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملا آخر • وقال بعض
للسلف : لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك فاذا عصى الله
فاضربه على معصية الله وذكره بالذنوب التي بينك وبينه •

(فصل) ومن اعظم الاساءة الى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده
او بينه وبين اخيه لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من فرق بين والدته
وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » (٢) وقال على كرم الله
وجهه : وهب لى رسول الله ﷺ غلامين اخوين فبعت أحدهما فقال رسول الله
ﷺ : « رده » وفي الحديث : « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف » ،
ويقول رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء أنما أن يحبس عن يملك قوته » (٣)
ومن ذلك يضرب الدابة ضرا وجيعا أو يحبسها ولا يقوم بكفائتها
أو يحملها فوق طاقتها فقد روى في تفسير قوله تعالى : « وما من دابة في
الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أهم أمثالكم » (٤) • الآية • قيل :
يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضى بينهم حتى انه ليؤخذ للنساء
الجلحاء من الشاة القرناء وحتى يقاد للذرة من الذرة ثم يقال لهم : كونوا
ترابا فهناك يقول الكافر : يا ليتنى كنت ترابا • وهذا من الطليل على
القضاء بين البهائم وبينها وبين بنى آدم حتى ان الانسان لو ضرب دابة
بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فأنها تقتص منه بوم
القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن
أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عذبت امرأة في هرة

(١) روى الطبراني نحوه من حديث زيد بن حارثة وفي سنده عاصم
ابن عبد الله مشاء بعضهم وصح له الترمذى والحاكم ولا يضر في المتابعات
قاله المتذرى في الترغيب وله شاهد من حديث على عند أبى داود ،
وعن أم سلمة عند ابن ماجه بسند ضعيف ومن حديث كعب بن مالك عند
الطبراني من طريق عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد وقد وثقه ولا بأس
بهما في المتابعات •

(٢) رواه الترمذى من حديث أبى أيوب وقال : حديث حسن غريب
والدارقطنى والحاكم وقال : صحيح الاسناد •

(٣) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو اهترغيب •

(٤) الأنعام : ٣٨ •

يربطتها حتى ماتت جوعاً لا هي أطعمتها وسقتها اذ حبستها ولا تركتها تأكل من خضاش الأرض » أى من حشرات الأرض .

وفى الصحيح انه ﷺ رأى امرأة معلقة فى النار والهرة تخدمها فى وجهها وصدرها وهى تعذبها كما عذبتها فى الدنيا بالحبس والجوع وهذا عام فى سائر الحيوان ، كذلك اذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة لما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يسوق بقرة اذ ركبها فضربها فقالت : انا لم نخلق لذلك انما خلقنا للحرب » (١) فهذه بفره أنطقها الله فى الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذى ولا يستعمل فى غير ما خلقت له فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق يوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الداراني : ركبت مرة حمرا فضربته مرتين أو ثلاثا فرفع رأسه ونظر الى وقال : يا أبا سليمان .. هو القصاص يوم النبلية . من سئنت فأقل وان سئنت فأكتر . قال : فقلت : لا اضرب شيئا يعذبني . ومن ابن عمر بصبيان من قريش قد نصبوا طيرا . ومنهم من قال : وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ان رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا (٢) . والغرض كالهدف وما يرمى اليه . ونهى رسول الله ﷺ أن تصير البهائم يعنى أن تحبس للقتل وان كان مما اذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور قتله بلول دفعة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام : « اذا قتلتم فأحسنوا القتل واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » (٣) .

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت فى الحديث الصحيح ان رسول الله ﷺ قال : « انى كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا بالنار وان النار لا بعذب بها الا الله فان وجعتموها فاقتلوهما » (٤) .

(١) رواه البخارى فى صحيحه من حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما اهترغيب .

(٢) روله مسلم من حديث ابن عمر اهترغيب .

(٣) رواه مسلم والترمذى فى جامعه من حديث شداد بن أوس وقال : حديث حسن صحيح كذا فى الأطراف للمزى وقال فى المختص : رواه أحمد ومسلم والنسائي .

(٤) يعنى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة ويفيد كلام العسقلاني فى الفتح انه فى الترمذى وأبو داود ، والرجلان المكنى عنهما بفلان وفلان هما هبار بن الأسود وزفيقه نخسا بعير زينب بنت رسول الله ﷺ وقت هجرتها من مكة بعد غزوة بدر فسقطت عن راحلتها ومرضت والقصة مشهورة فى ابن اسحاق . فإماه العسقلاني فى شرح الحديث من كتب الجهاد من الفتح .

قال ابن مسعود: كنا مع رسول الله ﷺ في سمرة فانطلق لحاجته فرأيناه
حمراء (١) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف فجاء النبي
ﷺ وقال: « من فجع هذه بولدها؟ ردوا عليها ولديها » ، وراى رسول الله
ﷺ قرية نمل - أى مكان نمل - قد أحرقناها فقال: « من حرق هذه؟ »
قلنا: نحن: فقال عليه الصلاة والسلام: « انه لا ينبغي لأحد ان يعذب بالنار
الا ربها » وفيه من النهي عن القتل بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما .
(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثا لما روى عن النبي ﷺ انه قال:
« من قتل عصفورا عبثا عجز الى الله يوم القيامة وقال: يا رب سل هذا لم
قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة » (٢) ؟ .
ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روى ذلك في الأثر ويكره ذبح الحيوان
بين يدي أمه لما روى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله قال: ذبح رجلا عجلا
بين يدي أمه فتأيسى الله يده .

(فصل) في فضل عتق المملوك . عن أبي هريرة رضى الله عنه عن
النبي ﷺ قال: « من اعتق رقبة مؤمنة أعنت الله بكل عضو من أعضائه
عضوا من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه » (أخرجه البخارى) .
وعن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي ﷺ: « أيما امرئ مسلم أعتق
امراة مسلما كان فكاكا له من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ
مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما
عضوا منه وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة الا كانت فكاكها من النار
يجزى كل عضو منها عضوا منها » (رواه الترمذى وصححه) .
اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

الكبيرة الثانية والخمسون: أذى الجار

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « والله لا يؤمن والله لا
يؤمن والله لا يؤمن » قيل: من يا رسول الله؟ قال: « من لا يأمن جاره
بوائقه » (٣) أى غوائله وشروبه وفي رواية: « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره
بوائقه » (٤) .

-
- (١) رواه أبو داوود في سننه من حديث عبد الله بن مسعود، والحمرة
طائر صغير كالعصفور .
(٢) رواه النسائي وابن حبان في صحيحة من حديث الشريد رضى الله
عنه .
(٣) من حديث أبي هريرة وكذا أحمد وزاد قالوا: يا رسول الله .
وما بوائقه؟ قال: « شره » أه ترغيب .
(٤) هي لمسلم من رواية أبي هريرة .

- ١٥٥ -

وسئل رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : « أن تجعل الله ندا وهو خلقك وأن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك وأن تزني ببطيلة جارك » (١) وفي الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » (٢) والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة وجار مسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر (٣) رضى الله عنهما له جار يهودى فكان اذا ذبح الشاة يقول : احملوا الى جارنا اليهودى منها . وروى أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغنى يوم القيامة ويقول : يا رب سنل هذا لم منعنى معروفه وأغلق عني بابه (٤) .

وينبئى للجار أن يحمل أذى الجار فهو من جملة الاحسان اليه . جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله . . . دلنى على عمل اذا عملت به خلعت الجنة فقال : « كن محسنا » فقال : يا رسول الله . . . كيف أعلم أنى محسن ؟ قال : « سل جيرانك فان قالوا : انك محسن فأنت محسن وان قالوا : انك مسيء فأنت مسيء » (ذكره البيهقى من رواية أبى هريرة) وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » (٥) وقيل : لأن يزنى .

(١) رواه البخارى ومسلم . والترمذى والنسائى كلهم من حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه والبطيلة بفتح الحاء المهملة هى الزوجة ا ه ترغيب .
(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة وبقيته فى اكرام الضيف .
والسكوت الا عن خير ا ه منه .

(٣) رواه ابو داود والترمذى وقال : حسن صحيح وقال فى آخره : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » قال المنذرى : وقد روى هذا المتن - يعنى المرفوع - من طرق كثيرة وعن جماعة كثيرة من الصحابة ا ه ترغيب .

(٤) رواه المنذرى فى الترغيب من حديث ابن عمرو وأشار الى ضعفه .

(٥) رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وبقيته : « اندرى ما حق الجار ؟ اذا استعانك أعنته واذا استقرضك أقرضته . واذا افتقر عدت عليه واذا مرض عنته واذا أصابه خير هنأته واذا أصابته مصيبة عزته واذا مات اتبعت جنازته ولا تستقل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذ بقنار . ريح قدرك الا أن تغرف له منها وان اشتريت فاكهة فأهد له فان لم تفعل فغادها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » قال المنذرى : ولعل قوله : =

الرجل بعشر نسوة ايسر من ان يزني بامرأة جاره ولأنه يسرق الرجل من عشرة آيات ايسر من ان يسرق من بيت جاره ، وفي سنن أبى داود عن رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له : « اذهب فاصبر » فأتاه مرتين أو ثلاثا ثم قال : « اذهب فاطرح متاعك على الطريق » ففعل ، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبر جاره فجعلوا يلعنون جاره ويقولون : فعل الله به وفعل ويدعون عليه فجاء اليه جاره وقال : يا أخى .. ارجع الى منزلك فانك لن ترى ما تكره أبدا (١) .

وأن يحتمل اذى جاره وإن كان ذميا فقد روى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله انه كان له جار ذمى وكان قد انبثق من كذبه الى بيت في دار سهل بنق فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زمنا طويلا الى أن حضرت سهلا الوفاة فاستدعى جاره المجوسى وقال له : ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه فدخل فرأى ذلك البثق والتقر يسقط منه في الجفنة فقال : ما هذا الذى أرى ؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك الى هذا البيت وأنا اتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ولولا أنه حضرنى لبطى وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك والا لما أخبرتك فافعل ما ترى فقال المجوسى : أيها الشيخ .. أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى ؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم مات سهل رحمه الله .
فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال وأن يحسن عاقبتنا انه كريم رؤوف رحيم .



الكبيرة الثالثة والخمسون : اذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى : « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْوَ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَتَانَا وَاهْتَا مَبِينَا » (٢) وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْكُمْ » (٣)

« أتدري ما حق الجأز .. » الخ من كلام الراوى غير مرفوع والحديث على كل أشار المنخري الى ضعفه بقوله في أوله « وروى » وهى إحدى علامات الضعف عنده وسكت عليه فى آخره وهى العلامة الثانية للضعف الشامل للوضع .
(١) رواه أحمد ورواته ثقات والطبرانى فى الكبير والأوسط فى حديثه .
لقداد بن الأسود : ترغيب .
(٢) الاحزاب : ٥٨ .

أن يكن خيرا هنئ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تتابزوا باللقاب ، بئس الاسم
الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم ينتب فإني أنذركم هم الثنائون (١) وقال تعالى :
« ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » (٢) وقال ﷺ : « ان من سر
الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء
فحشه » (٣) وقال ﷺ : « عباد الله .. ان الله وضع الحرج الا من افترض
بعرض أخيه فذلك الذي حرج او هلك » .

وفي الحديث : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (٤)
وقال عليه الصلاة والسلام : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحفره
بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم » (٥) وفيه أيضا : « سبب
المسلم فسوق وقتاله كفر » (٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله .. ان ثلاثة
تصلى الليل وتصوم النهار وتؤذى جيرانها بلسانها فقال : « لا خير فيها
هي في النار » (صححه الحاكم) (٧) وفي الحديث أيضا : « اذكروا محاسن
موتاكم وكفوا عن مساوئهم » (٨) وقال رسول الله ﷺ : « من دعا رجلا
بالكفر أو قال : يا عدو الله .. وليس كذلك الا حار عليه » (٩) وقال عليه
الصلاة والسلام : « مرت ليلة اسرى بى يقوم لهم أظفار من النحاس
يخمشون بها وجوههم وصدرهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء
الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم » (١٠) .

(فصل) في الترهيب من الافساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم
والدواب : صح عن النبي ﷺ أنه قال : « ان الشيطان قد ايس أن يعبد
المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم » فكل من حرس بين

(١) الحجرات : ١١ . (٢) الحجرات : ١٢ .

(٣) متفق عليه من حديث عائشة ولفظه للبخارى في كتاب الأدب من
صحيحه .

(٤) رواه مسلم والترمذى في حديث لأبى هريرة اهترغيب .

(٥) رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة اهترغيب .

(٦) متفق عليه من حديث ابن مسعود قاله العراقى في تخريج الاحياء .

(٧) وابن حبان وأحمد والبخارى .

(٨) صححه الحاكم قاله المصنف في رسالته الصغرى .

(٩) رواه البخارى ومسلم في حديث لأبى ذر ومعنى « حار » رجع اهترغيب .

ترغيب .

(١٠) رواه أبو داود من حديث أنس وذكر أن بعضهم رواه مرسل

اهترغيب وقال العراقى : والمسند أصح اهترغيب من تخريج الاحياء .

(١١ - الكبائر)

اثنين من بنى آدم ونقل بينهما ما يؤذى أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان
من أشر الناس كما قال النبي ﷺ : « ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا :
بلى يا رسول الله ، قال : « شراركم المشاعون بالزئيمة المفسدون بين الأحبة
الباغون للبرءاء العنت » (١) والعنت : المشقة ، وصح عن رسول الله ﷺ أنه
قال : « لا يدخل الجنة نمام » (٢) والنمام هو الذى ينقل الحديث بين الناس
أو بين اثنين بما يؤذى أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن
يقول له : قال عنك فلان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا ، إلا أن يكون فى ذلك
مصلحة أو فائدة كتخديره من شر يحدث أو يترتب ، وأما التحريش بين
البهائم والدواب والطيور وغيرها فحرام كمنافرة الديوك ونطاح الكباش
وتحريش الكلاب بعضها على بعض وما أشبه ذلك وقد نهى رسول الله ﷺ
عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاصى لله ورسوله ، ومن ذلك افساد قلب المرأة
على زوجها والعبد على سيده ، لما روى أن رسول الله ﷺ قال : « ملعون من
خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده » (٣) . نعوذ بالله من ذلك .

(فصل) فى الترغيب فى الإصلاح بين الناس . قال الله تعالى :
« لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين
الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (٤) .
قال مجاهد : هذه الآية عامة بين الناس يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه
الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير وهو قوله :
« إلا من أمر بصدقة » ثم حذف المضاف « أو معروف » قال ابن عباس :
بصلة الرحم ويطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف لأن العقول تعرفها
وقوله تعالى : « أو إصلاح بين الناس » هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ
فقال لأبى أيوب الأنصارى : « ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر
النعم » قال : بلى يا رسول الله . قال : « تصلح بين الناس إذا تفسدوا
وتتقرب بينهم إذا تباعدوا » (٥) وروى أم حبيبة رضى الله عنها أن النبي ﷺ

(١) رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن غنم وفى سنده شهر بن حوشب
فيه كلام معروف وبقيته رجاله محتج بهم فى الصحيح . هـ ترغيب .

(٢) متفق عليه من حديث حذيفة . هـ عراقى .

(٣) رواه أبو داود بلفظ : « ليس منا من خيب » . . الخ من حديث
أبى هريرة والنسائى وابن حبان وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبخارى ،
وابن حبان من حديث جابر عند مسلم ، ومعنى خيب : خدع وأفسد .
هـ ترغيب .

(٤) النساء : ١١٤ .

(٥) رواه البخارى والطبرانى من حديث أنس وأشار المنذرى فى الترغيب
إلى ضعفه إذ صحبه بلفظ : « روى » وسكت عليه فى آخره . وذلك علامة الضعف
عنده .

قال : « كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر به معروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله » (١) .

وروى أن رجلا قال لسميان : ما أشد هذا الحديث قال سميان : ألم تسمح الى قول الله تعالى : « لا خير في كثير من نجواهم الا من أهر بصدقة أو معروف » ٥٠ الآية . فهذا هو بعينه .

ثم أعلم الله سبحانه أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال تعالى : « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاء الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » اي ثوابا لا حد له .

وفي الحديث : « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي حيرا أو يقول خيرا » (رواه البخارى) وقالت أم كلثوم (١) : ولم اسمعه عليه السلام يرخس في شيء مما يقول الناس الا في ثلاثة أشياء . في الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها . وعن سهل بن سعد أنساعدي رضي الله عنه أن رسول الله عليه السلام بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر مخرج رسول الله عليه السلام يصلح بينهم في أناس معه من أصحابه (رواه البخارى) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه السلام : « ما عمل شيء أفضل من متى الى الصلاة أو اصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين » (٢) وقال رسول الله عليه السلام : « من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره واعطاه بكل كلمة تكلم بها عقربقية ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه » (٣) ، وبالله التوفيق . اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين .

الكبيرة الرابعة والخمسون : أدية عباد الله والتعول عليهم

قال الله تعالى : « والذين يؤفون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » (٤) وقال تعالى : « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » (٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه السلام : « ان الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب » (٦) وفي رواية :

(*) رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والترمذى وقال : غريب لا يعرف الا من حديث محمد بن يزيد بن حنيس قال المنذرى : ورواته ثقات وفي محمد ابن يزيد كلام قريب وهو لا يقدح وهو شيخ صالح اه ترغيب .

- (١) رواه مسلم من حديثها قاله العراقي في تخريج احاديث الاحياء .
- (٢) رواه الأصبهاني وأشار المنذرى في ترغيبه الى ضعفه .
- (٣) رواه الأصبهاني من حديث أنس وهو حديث غريب جدا قاله المنذرى .
- (٤) الأحزاب : ٥٨ .
- (٥) الشعراء : ٢١٥ .
- (٦) رواه البخارى وفي سننه خالد بن مخلد ومحمد القطراني .

« فقد بارزنى بالمحاربة » - أى أعلمته أنى محارب له • وفى الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا : أما اخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبی ﷺ فأخبره فقال : « يا أبا بكر •• لعلك اغضبتهم ؟ لئن كنت اغضبتهم لقد اغضبت ربك » فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فقال : يا اخوتاه •• اغضبتكم ؟ قالوا : لا •• يغفر الله لك يا أخى • وقوله : مأخذها أى لم تستوف حقها منه •

(فصل) فى قوله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة وانعشى يريدون وجهه » (١) الآيات • وهذه الآيات فى تنزيل الفقراء وسبب نزولها أن النبی ﷺ أول من آمن به الفقراء وكذلك كل نبى أرسل أول من آمن به الفقراء فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضى الله عنهم فأراد المشركون أن يحتالوا عليه فى طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد •• اطرد الفقراء عنك فان نفوسنا تائف أن تجالسهم فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤسائهم فأنزل الله تعالى : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » (٢) فلما آيس المشركون من طردهم قالوا : يا محمد •• ان لم تطردهم فاجعل لنا يوما ولهم يوما فأنزل الله تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » (٣) أى لا تتدهامهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلبا لصحبة أبناء الدنيا (وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (٤) ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقير بقوله : « واضرب لهم مثلا رجلين » (٥) • « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا » (٦) فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم •

ولما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة هاجروا معه فكانوا فى صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة فكان ينتمى اليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضى الله عنهم هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الاحسان وعاینوه بنور الايمان فلم يعلقوا قلوبهم بشئ من الاكوان بل قالوا : اياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدى ونسترشد عليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح وفى ميدان ودك نرتفع ونسرح ولك نعمل

• (٢) الانعام : ٥٢ •

• (٤) الكهف : ٢٩ •

• (٦) الكهف : ٤٥ •

• (١) الكهف : ٢٨ •

• (٣) الكهف : ٢٨ •

• (٥) الكهف : ٣٢ •

ونكدح وعن بابك أبدا لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : « **وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ** » (١) . الآية أى ولا تطرد قوما أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون وإن أصبحوا فليلبه ينظلبون لا تطرد قوما المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم والجوع طعامهم والسهرة إذا نام الناس أدامهم والفقر والفاقة شعارهم والمسكنة والحياء دنارهم ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم وبسطوا وجوههم فى محاريب نجواهم فالفقر عام وخاص فالعام الحاجة الى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر وهو معنى قوله تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ** » (٢) . الآية والخاص وصف أولياء الله وأحبائه خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها اشتغالا بالله عز وجل وشوقا اليه وأنسا بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم أئقنا حلوة مناجاتك وإن تسلك بنا طريق مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعثنا من حضرتك ويسر لنا ما يسرته لاهل محبتك واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين .

الكبيرة الخامسة والخمسون : اسبال الازار والثوب واللباس والسراويل تعززا وعجبا وفخرا وخيلاء

مال الله تعالى : « **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** » (٣) .
وقال النبى ﷺ : « ما أسفل من الكعبين من الازار فهو فى النار » (٤)
وقال عليه الصلاة والسلام : « لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا » (٥) .
وقال عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » (٦) .

-
- (١) الانعام : ٥٢ . (٢) فاطر : ١٥ . (٣) لقمان : ١٨ .
(٤) رواه البخارى من حديث أبى هريرة ا هـ . ترغيب .
(٥) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء » وله شاهد فى حديث أبى سعيد الخدرى عند مالك والنسائى وأبو داود وابن ماجه وابن حبان ومن حديث أبى هريرة عند مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه قاله فى الترغيب .
(٦) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه ، والمسبل يطول ثوبه يرسله الى الأرض كأنه يفعل تجبرا وخيلاء ا هـ ترغيب .

وفي الحديث أيضا : « بينما رجل يمشى في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيه اذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة » .
وقال عليه الصلاة والسلام : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » (١) . وقال عليه الصلاة والسلام : « الاسبال في الازار والعملة ، من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » (٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ازره المؤمن الى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيها بينه وبين الكعبيين ، ما كان أسفل من الكعبيين فهو في النار » (٣) .

هذا عام في السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس . فنسأل الله العافية . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رجل يصلي مسبلاً ازاره قال له رسول الله ﷺ : « اذهب فتوضأ » ثم جاء فقال : « اذهب فتوضأ » فقال له رجل : يا رسول الله . . . مالك أمرته أن يتوضأ تم سكت عنه ؟ فقال : « انه كان يصلي وهو مسبل ازاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً ازاره » (٤) .

ولما قال ﷺ : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم النيام » (٥)
قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله . . . ان ازارى يسترخى الا أن أتعاهده فقال له رسول الله ﷺ : « انك لست ممن يفعله خيلاء » .
اللهم علمنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .



الكبيرة السادسة والخمسون : لبس الحرير والذهب للرجال

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من لبس الحرير في الدنيا

(١) تقدم أنه رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر .

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمرو وفي سنده عبد العزيز بن أبي رواد والجمهور على توثيقه اهـ .

(٣) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وشاهده من حديث أنس عند أحمد ورواه رواة الصحيح قاله المنذرى في الترغيب .

(٤) رواه أبو داود وفي سنده أبو جعفر المدني قال المنذرى : ان كان محمد بن الحسن فروايته عن أبي هريرة مرسلة وان كان غيره فلا اعرفه اهـ .
ترغيب .

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي قاله المنذرى .

لم يلبسه في الآخرة» (١) وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله ﷺ : «حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي» (٢) .
وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والحرير وأن نجلس عليها (أخرجه البخارى) .
فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر وانما رخص فيه الشارع ﷺ لأن به حكمة أو جرب أو غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو ، وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام باجماع المسلمين سواء أكان قباء أو قبطيا أو كلوثة وكذلك اذا كان الأكثر حريرا كان حراما ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال سواء أكان خانبا أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله . وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتما من ذهب فنزعه وقال : « يعصم أحكمكم الى جبرة من نار فيجعلها في يده » (٣) وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزرقش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز الباس الصبى الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون لعموم قوله ﷺ عن الحرير والذهب : « هذان حرام على ذكور أمتي حل لائناهم » (٤) فدخل الصبى في النهي وهذا مذهب الامام أحمد وآخرين رحمهم الله فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

* * *

الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبد

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » (٥) وقال ﷺ : « أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة » (٦) .
وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم الى السماء حسنة : العبد الأبق حتى يرجع الى مولاه والمرأة الساخطة عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو » (٧) وعن فضالة بن عبيد مرفوعا : « ثلاثة لا يسئل عنهم

- (١) وكذا الترمذى والنسائى كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه اهـ ترغيب .
- (٢) رواه أبو داود والنسائى من حديث على رضى الله عنه بنحوه .
- (٣) رواه مسلم من حديث ابن عباس .
- (٤) تقدم من حديث على عند أبى داود والنسائى .
- (٥) من حديث جرير رضى الله عنه كما في الترغيب .
- (٦) رواه مسلم من حديث جرير أيضا .
- (٧) بسند فيه زهير بن محمد فيه كلام هين ورواه الطبرانى في الأوسط رواية من عبد الله بن محمد بن عقيل أفاده المنذرى .

رجل فارق الجماعة وعصى امامه وعبد ابق ومات عاصيا وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاهما المؤونه فتبرجت بعده «(*)» اى أظهرت محاسنها كما يفعل اهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ كذا ذكره الواحدى رحمه الله .

الكبيرة الثامنة والخمسون : أُنْذِجْ لغير الله عز وجل

مثل ان يقول : بسم الشيطان او الصنم او باسم انتشيخ فلان : قال الله تعالى : «(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)» (١) قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخنة الى قوله : «(وما دبح على الفئصب)» (٢) وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى . وقال عطاء : ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوتان وقوله : «(وانه لفسق)» (٣) يعنى وان كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحق والدين «(وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم)» (٤) اى يوسوس الشيطان لوليه فيلقى في قلبه الجدل بانباطل وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة ، قال ابن عباس : اوحى الشيطان الى أوليائه من الانس : كيف تعبدون شيئا لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية : «(وان أطعموهم)» (٥) يعنى فى استحلال الميتة «(انكم لمشركون)» (٦) . قال الزجاج : وفى هذا دليل على ان كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك .

فان قيل : كيف إباحتم ذبيحة المسلم اذا ترك التسمية والآية كالنص في التحريم ؟ قلت : ان المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه في هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم اذا ترك التسمية وفى الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة ومنها قوله : «(وانه لفسق)» ولا يفسق أكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .

ومنها قوله : «(وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم)» والمناظرة انما كانت في الميتة باجماع من المفسرون لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ومنها قوله : «(وان أطعموهم انكم لمشركون)» والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التى لم يذكر اسم الله عليها .

«(*)» رواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ : « فحانته بعده » بدل « تبرجت » وكذا الطبرانى والحاكم ولفظ الحاكم « تبرجت » وعنده : « وامة أو أبق من سيده » اهـ ترغيب .

(٢) المائدة : ٣ .

(١) الأنعام : ١٢١ .

(٣) الأنعام : ١٢١ .

وقد أخبرنا أبو منصور باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : أ رأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله
تعالى فقال النبي ﷺ : « اسم الله على فم كل مسلم » (١) .

ونخبرنا أبو منصور أيضا باسناده عن ابن عباس ان النبي ﷺ
قال : « يكفيه اسمه وان نسي يسمى حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم
ليأكل » (٢) .

وأخبرنا عمرو بن أبي عمرو باسناده عن عائشة رضي الله عنها ان
قوما قالوا : يا رسول الله ﷺ ان قوما يأتون باللحم لا ندرى أذكر اسم
الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سموا عليه وكلوا » (٣) هذا آخر
كلام الواحدى رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله » .

الكبيرة التاسعة والخمسون : فتن ادعى الى غير أبيه وهو يعلم

عن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . « من ادعى الى غير
أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » (رواه البخارى) .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا ترغبوا عن
آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر » (رواه البخارى) وفيه أيضا :
« من ادعى الى غير أبيه فعليه لعنة الله » وعن زيد بن سريك (٤) قال : رايت
عليها رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعتة يقول : والله ما عندنا من كتاب
نقرؤه الا كتاب الله تعالى وما فى هذه الصحيفة فنشرها فاذا فيها أسنان
الابل وثنى من الجراحات وفيها : قال رسول الله ﷺ : « المدينة حرام ما بين
عير الى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله يوم القيامة منه صرفا ولا عدلا ومن تولى غير
مواليه فعليه مثل ذلك ومة المسلمين واحدة » (رواه البخارى) وعن أبي ذر
أنه سمع النبي ﷺ يقول : « ليس منا رجلا ادعى الى غير أبيه وهو يعلمه

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه مروان بن سالم الغفارى وهو متروك
ا هـ مجمع الزوائد .

(٢) رواه الدارقطنى وفيه راو سىء الحفظ وهو محمد بن سنان صحوق
ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح الى ابن عباس موقوفا عليه
من كلامه ا هـ من بلوغ المرام وشرحه سبيل السلام .

(٣) رواه مالك والبخارى رحمهما الله كما فى بلوغ المرام للحافظ ابن حجر
وشرحه سبيل السلام لامير المؤمنين الصنعانى رحمه الله تعالى .

(٤) كذا فيما وقع لنا من الاصول الخطية وهو خطأ وصوابه « يزيد » وهو
والد ابراهيم التيمى .

الا كثر ومن ادعى ما ليس له فليس منا ولينبوا مقعده من النار ومن دعا رجلا بالكفر أو قال : يا عدو الله وليس كذلك الا حار عليه « أى رجح عليه ورواه مسلم • فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى أنه جواد كريم •

الكبيرة الستون : الجدل والمراء والمحد

قال الله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام • وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » (١) ومما يذم من الألفاظ المراء والجدال والخصومة •

قال الامام (حجة الاسلام) الغزالي رحمه الله : المراء طعنك في كلام لظاهر خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله و اظهار مزيتك عليه قال : وأما الجدل فعبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقديرها قال : وأما الخصومة فلجاجة في الكلام ليستوفى به مقصودا من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا والمراء لا يكون اعتراضا هذا كلام الغزالي •

وقال النووي رحمه الله : اعلم أن الجدل قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي أحسن » (٢) وقال تعالى : « وجادلهم بالتي هي أحسن » (٣) وقال تعالى : « ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا » (٤) قال : فان كان الجدل للوقوف على الحق وتقديره كان محمودا ان كان في مدافعة الحق أو كان جدالا بغير علم كان مذموما وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وحرمة • والمجادلة والجدال بمعنى واحد قال بعضهم : ما رايت شيئا اذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة •

فان قلت : لا بد للانسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه (فالجواب) ما اجاب به الغزالي رحمه الله : اعلم أن الذم المتأكد انها هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضى فانه يتوكل في الخصومة قبل ان يعرف الحق في أى جانب هو فيخاصم بغير علم •

ويدخل في الذم أيضا من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل ويظهر الدد والكذب والإيذاء والتسلط على خصمه كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذى وليس له اليها حاجة في تحصيل حقه كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم •

(٢) العنكبوت : ٤٦ •

(٤) غافر : ٤ •

(١) البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ •

(٣) النحل : ١٢٥ •

وأما المظلوم الذى ينصر حجته بطريق الشرع من غير لحد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا ايذاء ففعل هذا ليس حراما ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال منعذر والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب واذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يمرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لمرته ويطلق لسانه في عرضه ، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى أنه يكون في صلاته وحاطره منطلق بالمحاجة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة . والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدل والمراء فينبغي للانسان ألا يفتتح عليه باب الخصومة الا لضرورة لابد منها .

روينا في كتاب الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كفى بك انما ان لا تزال مخاصما » (١) .
وجاء عن على رضى الله عنه قال : ان الخصومة لها قحم . قلت . القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهى المهالك .

(فصل) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع » (٢) .
وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ما ضل قوم بعد مدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا : « ما ضربوه لك الا جدلا » (٣) .
الآية (٤) .

وقال ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن وفنيا تقطع أعناقكم » (رواه ابن عمر) (٥) .
وقال النبى ﷺ : « المراء في القرآن كفر » (٦) .

(١) وقال : حديث غريب اهترغيب .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والأصبهاني في الترغيب والترهيب وفيه رجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور قاله العراقى في تخريجه .
(٣) الزخرف : ٥٨ .

(٤) رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وصححه قاله العراقى في تخريج الأحياء وجعله في الترغيب من سند أبى هريرة وعزاه الترمذى الى ابن أبى الدنيا في الصمت .

(٥) رواه يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عمر قاله المصنف في الصغرى معلقة بلفظ « يروى » وله شاهد من حديث معاذ عند الطبرانى في معاجمه الثلاثة وفيه عبد الحكيم بن منصور متروك وله طريق أخرى في الأوسط فيها انقطاع أفاده في مجمع الزوائد .

(٦) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث أبى هريرة ورواه الطبرانى وغيره من حديث زيد بن ثابت اهترغيب .

(فصل) يكره التغير في الكلام بالتشديد وتكلف السجع بالفصاحة بالمفردات التي يعتادها المتفصّلون فكل ذلك من التكلف المذموم بل ينبغي أن يفصد في مخاطبته لفظاً مهماً جلياً ولا يتقله .
روينا في كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تنخل البفرة » قال الترمذى : حديث حسن وروينا فيه أيضاً عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان من احبكم الى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة احاسنكم أخلاقاً ، وان من أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا : يا رسول الله . . قد علمنا انثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : « المتكبرون » قال الترمذى : حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام والمتشدق من يتناول على الناس في الكلام ويبذو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين الفاظ الخطب والمواظ إذا لم يكن فيها افراط واغراب الا أن المقصود منها تهيج القلوب الى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ في هذا انظر ظاهر ، والله أعلم .

الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء

قال الله تعالى : « قل أرايتم أن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتاكم بما معين » (١) وقال النبی ﷺ : « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلاً » (٢) .
وقال عليه الصلاة والسلام : « من يمنع فضل مائه أو فضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة » (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكّهم ولهم عذاب اليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ورجل بايع امماً لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحطف له بالله لاخفها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك » (أخرجاه في الصحيحين) وزاد البخارى : « ورجل منع فضل مائه فيقول الله : اليوم أمنعك فضلى كما منعت ما لم تعمل يداك » .

(١) الملك : ٣٠ .

(٢) متفق عليه من حديث أبى هريرة في منتهى الأخبار .

(٣) رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ا هـ منتهى .

الكبيرة الثانية والستون : نقص الكيل والوزن وما أشبه ذلك

قال الله تعالى : « وَيَلُكْمُطْفِفِينَ » (١) يعنى انذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم فى الكيل والوزن . قوله : « الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَوْفُونَ » (٢) يعنى يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج : المعنى اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك اذا اتزنوا ولم يذكر (اذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما السراء والبيع فيها يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر « وَإِذَا كَالُواهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » (٣) أى ينقصون فى الكيل والوزن وقال السدى : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له : أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكنال بالآخر فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما (رضي) قال : قال رسول الله ﷺ : « خمس بخمس » قالوا : يا رسول الله ٠٠ وما خمس بخمس ؟ قال : « ما نمض قوم العهد الا سلبت الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله الا نسا فيهم المقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة الا أنزل الله بهم الطاعون - يعنى كثرة الموت - ، ولا طففوا الكيل الا منعوا الثبات وأخذوا بالنسب ، ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر » (٤) قال : « ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون » (٥) قال : « لرب عظيم » (٥) أى يوم القيامة « يوم يقوم الناس » (٦) من قبورهم « لرب العالمين » (٦) أى لأمره ولجزائه وحسابه وفيل : يقومون بين يديه لفصل المضاء ، وعن مالك بن دينار قال : دخل على جارية وفد نزل به الموت وهو يقول : جبليين من نار ، جبليين من نار ، جبليين من نار ، قال : فلت : ما تقول ؟ قال : يا أبا يحيى ٠٠ كان لى مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكنال بالآخر ٠ وقال مالك بن دينار : ففمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر فقال : يا أبا يحيى ٠٠ كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظمًا وشدة فمات فى مرضه .

والمطفف هو الذى ينقص الكيل والوزن مطففا لأنه لا يكاد يسرق الا الشيء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرلم ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل : واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال اندنبا لذابت من شدة حره وقال بعض السلف : أشهد على كل كمال أو وزان بالنار لأنه لا يكاد يسلم الا من عصم الله ، وقال بعضهم : دخلت

(١) المطففين : ١ . (٢) المطففين : ٢ . (٣) المطففين : ٣ .

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد قاله المنذرى وشواهد من حديث ابن عمر عند البزار وبريدة عند النسائى

والبيهقى ٠٠ الخ . (٤) المطففين : ٤ .

(٥) المطففين : ٥ . (٦) المطففين : ٦ .

على مريض ومد نزل به الموت فجعلت القفه الشهادة ولسانه لا ينطق بها
غلاما أفاق قنت له : يا أخى . . مالى القنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ،
قال : يا أخى . . لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها . فقلت له :
بإله اكنت تزن ناقصا قال لا والله . . ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة
ميزانى فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصا .
وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالنائح فيقول : اتق الله وأوف الكيل
والوزن فان المطففين يوقفون حتى ان العرو ليلجمهم الى أنصاف آذانهم وكذا
التاجر اذا شد يده فى الذرع وقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض
السلف يقول . ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات
والارض ويوح لمن يشتري الويل بحبة يأخذها زائدة . فنسال الله العفو والعافية
من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والمستون : الأمن من مكر الله

قال الله تعالى : « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » (١) أى
أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن : من وسع الله عليه فلم
ير أنه يمكر به فلا رأى له ومن قنر عليه فلم ير أنه ينظر اليه فلا رأى له
ثم قرأ هذه الآية « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون » (١) وقال . مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجتهم ثم أخذوا .
وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا رأيت
الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج
ثم قرأ : « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا
بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » (٢) الابلأس اليأس من النجاة
عند ورود الهلكة وقال ابن عباس : أبسوا من كل خير وقال الزجاج : المبلس
الشديد الحسرة اليأس الحزين .

وفى الأثر أنه لما مكر بابليس وكان من الملائكة طفق جبريل وميكال
ببكيان فقال الله عز وجل لهما : ما لكما تبكيان قالا : يا رب ما نأمن مكر
فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكرى . وكان النبى ﷺ يكثر أن يقول :
« يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » (٣) فقيل له : يا رسول الله . .

(١) الأنعام : ٤٤ .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصرى
وهو ضعيف . مجمع الزوائد .

(٣) رواه الترمذى فى جامعه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه
وقال : حديث حسن صحيح وفى الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة رضى
الله عنها وعائشة وأبى ذر رضى الله عنهم .

اتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء » .

وفى الحديث الصحيح . « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » (١) وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الأعمال بالخواتيم » .

وقد قص الله تعالى فى كتابه العزيز قصة بلعام وأنه سلب الايمان بعد العلم والمعرفة وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر وروى انه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وانوار الطاعة فترى يوما المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دار لنصرانى ذى فاطم فيها فرأى ابنة صاحب الدار وكانت جميلة فافتتن بها وترك الأذان ونزل اليها فمالت له : ما سأنك وما تريد ؟ فقال : أنت اريد قالت : لا اجيبك الى ربية قال لها : أتزوجك قالت له : أنت مسلم وابى لا يزوجنى بك قال : اتنصر قالت له : ان فعلت أفعل فتنصر ليتزوج بها وفام معهم فى الدار فلما كان فى أثناء ذلك اليوم رقى الى سطح كان فى الدار فسقط فعات فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها . نعوذ بالله من مكروه وسوء العاقبة وسوء الخاتمة . وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيرا ما كان رسول الله ﷺ يحلف : « لا مقلب القلوب » (رواه البخارى) ومعناه يصرفها اسرع من ممر الريح على اختلاف فى القبول والرد والارادة والكراهية وغير ذلك من الاوصاف وفى التنزيل . « واعلموا أن الله يحول بين المرء ونفسه » (١) . قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما تصنع بفائه . « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب » (٢) اى عقل واختار الطبرى أن يكون ذلك اخبارا من الله تعالى انه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها ان شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا الا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبنى على طاعتك » فقلت : يا رسول الله . . انك تكثر بهذا الدعاء فهل تخشى ؟ قال : « وما يؤمننى يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء اذا اراد أن يقلب قلب عبد قلبه » فاذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والارادة غير مغالية فلا تعجب بايمانك وعملك وصلاتك

(*) يعنى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولعله فى مسلم أيضا .

وصومك وجميع قربك ذلك ان كان من كسبك فانه من خلق ربك وفضله
في هذه الدار عليك فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخرا بمتاع غيرك وبها سلبه
عك فعاد قلبك من الحير اخلى من جوف العير(١) .
فكم من روضة امست وزهرها يانع عميم ، اضحت وزهرها يابس هسيم ،
اذا هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العهد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم
ويصبح وهو بمعصيه الله مظلّم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العليم .
ابن آدم .. الاقلام عليك تجرى ، وانت في غفلة لا تدري ، ابن آدم ..
دع المغاني والاولتار ، والمنازل والديار ، والتنافس في هذه الدار ، حتى
تري ما فعلت في أمرك الاقدار . قال الربيع : سئل الامام السافعي رحمه الله
تعالى(٢) .

· · · · ·
· · · · ·

ينادى مناد من قبل العرش أين فلان أين فلان ؟ فلا يسمح أحد ذلك
الصوت الا وتضطرب فرائضه قال فيقول الله عز وجل لذلك الشخص .
انت المظروب هلم الى العرض على خالق السموات والارض فيتخخص الخلق
بأبصارهم تجاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل ، فيلقى
الله عز وجل عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له : عبدى .. أما
علمت انى كنت اشاهد عملك في دار الدنيا فيقول : بلى يا رب فيقول الله
تعالى : عبدى .. أما سمعت بنقمتى وعذابي لمن عصاني ؟ فيقول : بلى
يا رب فيقول الله تعالى : عبدى .. أما سمعت بجزائى وثوابى لمن أطاعنى
فيقول : بلى يا رب .. فيقول الله تعالى : يا عبدى عصيتنى ؟ فيقول :
يا رب قد كان ذلك فيقول الله تعالى : عبدى .. فما ظنك اليوم بى ؟ فيقول :
يا رب أن تعفو عني فيقول الله تعالى : عبدى .. تحققت أنى أعفو عنك ؟
فيقول : نعم يا رب لأنك رايتنى على المعصية وسترتها على قال : فيقول
الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك خذ كتابك بيمينك
فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وانا
الجواد الكريم .

الهنا .. لولا محبتك للغفران ما أهملت من يبارزك بالعصيان ، ولولا
عفوك وكرمك ما سكنت الجنان .
اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا .

(١) العير بفتح العين : الحمار .

(٢) في الاصول المعروفة للكتاب نقص في آخر الكبيرة الثالثة والسنتين ،
وفي أول الكبيرة الرابعة والسنتين . وسببى هذا النقص حتى تظهر فيها هذا
النقص فيكمل ، مع العلم بأننا راجعنا هذا النقص على عدة نسخ خطية فلم
نجد .

اللهم انظر الينا نظر الرضا وأنبئتنا في ديوان أهل الصفا وبجنا من ديوان أهل الجفا •

اللهم حقق بالرجاء أملنا ، وأحسن في جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا ، وخذ الى الخيرات بنواصينا ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وتتنا عذاب النار •

الكبيرة الخامسة والمستون : تارك الجماعة

فيصلى وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة : « لقد هممت أن أمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم » (رواه مسلم) وقال عليه الصلاة والسلام : « لينتھين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » (رواه مسلم) (١) •

وقال ﷺ : « من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه » (أخرجه أبو داود والنسائي) (٢) وقال : « من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقا في ديوان لا يمحي ولا يبديل » •

وعن حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « روح الجمعة واجب على كل محتلم » (٣) أى على كل بالغ •

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم •

الكبيرة السادسة والمستون

الاصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى : « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون • خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون الى السجود

(١) من حديث أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم وكذا رواه ابن ماجه من حديثهما كما في الترغيب والترهيب •

(٢) والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم كلهم من حديث أبى الجعد الضمري وكانت له صحبة وله شاهد من حديث أبى قتادة عند أحمد والحاكم ومن حديث أسامة عند ابن حبان ومن حديث كعب بن مالك عنده أيضا ومن حديث أبى هريرة عند ابن ماجه ومن حديث جابر عند أبى يعلى ومن كلام ابن عباس عنده أيضا ومن حديث حارثة بن النعمان عند أحمد افاده في الترغيب والترهيب وقال المصنف في الصغرى : اسناده جيد قوى •

(٣) حديث حفصة رواه النسائي قاله المصنف في الصغرى •

(١٢ - الكبائر)

وهم سائلون (١) قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله : كانوا يسمعون : (حى على الصلاة ، حى على الفلاح) فلا يجيبون وهم سائلون أصحاء .

وفي الصحيحين (٢) أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسى بيده لقد هممت أن أمر بحطب يحتطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ثم أختلف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » وفي رواية لمسلم أيضاً من حديث أبي هريرة : « لقد هممت أن أمر فتيتي أن يجمعوا لى حزمًا من حطب ثم أتى فوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » وفي هذا الحديث الصحيح والآية التى قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر . فقد روى أبو داود في سننه بإسناداه إلى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادى فلم يمنع من اتيانه عذر قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التى صلى » . يعنى فى بيته .

وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى جماعة ولا يجمع فقال : ان مات هذا فهو فى النار .

وروى مسلم أن رجلاً أعمى جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله . . ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد ، فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فرخص له فلما ولى دعاه فقال : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم . . قال : « فأجب » وفى رواية أبى داود أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبى ﷺ وقال : يا رسول الله . . ان المحينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضير البصر فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال له النبى ﷺ : « تسمع : حى على الصلاة ، حى على الفلاح » ؟ قال : نعم . . قال : « فأجب ، فحى هلا » وفى رواية أنه قال : يا رسول الله . . انى ضير شاسع الدار ولى قائد لا بلائمنى فهل لى رخصة ؟ وقوله : « فحى هلا » أى تعالى وأقبل . وروى الحاكم فى مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا صلاة له » قالوا : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « خوف أو مرض » وجاء عن النبى ﷺ أنه قال : « لعن الله ثلاثة : من تقدم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجلا سمع : حى على الصلاة ،

(١) القلم : ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

حتى على الفلاح ثم لم يجب ﴿﴾ قال أبو هريرة : لأن تمتلىء أذن ابن آدم
رصاصا مذايا خير من أن يسمع : (حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح)
ثم لا يجب . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد
الا في المسجد ، قيل : من جار المسجد ؟ قال : من يسمع الأذان . وقال
أيضا : من سمع النداء فلم يأتيه لم تجاوز صلاته وألمسه الا من عذر .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من سره أن يلقى الله غدا مسلما
فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث يفادي بهن فان الله تعالى شرع
لنبيكم ﷺ سنن الهدى وانها من سنن الهدى ولو أنكم صليتم في بيوتكم
كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم
لضللتهم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق أو مريض
ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف - يعني يتكئ
عليهما من ضعفه - حرصا على فضلها وخوفا من الإثم في تركها (١) .

(فصل) وفضل صلاة الجماعة عظيم كما في تفسير قوله تعالى : « ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » (٢) .
انهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات . وفي قوله تعالى . « ونكتب
ما قدموا وآثارهم » (٣) أي خطاهم .

وفي الصحيح ان رسول الله ﷺ قال : « من تطهر في بيته ثم مشى الى
بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحدها
تحت خطيئة والآخرى ترفع درجة فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي عليه
ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم
يؤذ فيه أو يحدث فيه » (٤) .

وقال ﷺ : « الا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟
قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « اسبأغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا
الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط » (٥)
(رواه مسلم) .

﴿﴾ رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس كما تقدم في النهي عن
ترك الصلاة .

(١) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما اهترغيب .

(٢) الأنبياء : ١٠٥ . (٣) يس : ١٢ .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث

أبي هريرة بنحو ما هنا كما في الترغيب .

(٥) رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم من حديث

أبي هريرة وشاهده من حديث أبي سعيد الخدري عند ابن ماجه وابن حبان في

صحيحه اهترغيب .

الكبيرة السابعة والستون : الاضرار في الوصية

قال الله تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار » (١) •
أي غير مخدّل الضرر على الورثة وهو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك
ضرر الورثة فمنع الله منه : « وصية من الله ، والله عليم حكيم » (١) •

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث « ومن يطع
الله ورسوله » (٢) في شأن الموارث « يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم • ومن يعص الله ورسوله » (٣) قال
مجاهد : فيها فرض الله من الموارث •

وقال عكرمة عن ابن عباس : من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله
« يدخله ناراً » (٤) •

وقال الكلبي : يعنى يكفر بقسمة الله الموارث ويتعدى حدوده استحللاً
« يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين » (٤) وعن أبى هريرة رضى الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة
ثم يحضرها الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار » ثم قرأ
ابو هريرة هذه الآية : « من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار » (٥) •
(رواه أبو داود) (٦) •

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من
الجنة » (٧) •

وقال عليه الصلاة والسلام : « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا
وصية لوارث » (صححه الترمذى) (٨) •

(٢) النساء : ١٣ •

(١) النساء : ١٢ •

(٤) النساء : ١٤ •

(٣) النساء : ١٣ ، ١٤ •

(٥) النساء : ١٢ •

(٦) رواه الترمذى وقال : حسن غريب ورواه ابن ماجه ولفظه :
« ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى جاف في وصيته
فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين
سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » ا هـ ترغيب
وترهيب •

(٧) رواه ابن ماجه من حديث أنس وإشار المنذرى الى ضعفه وقال
المصنف في الصغرى : في سنده مقال •

(٨) من حديث عمرو بن خارجة وفي سنده اسماعيل بن عياش في روايته
عن غير الشاميين ضعف •

الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة

قال الله عز وجل : « ولا يحق المكر السيء الا باهله » (١) وقال النبي ﷺ : « المكر والخديعة في النار » (١) .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » وقال تعالى عن المنافقين : « يخادعون الله وهو خادعهم » (٢) قال الواحدى : يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فاذا مضوا على الصراط اطفئ نورهم وبقوا في الظلمة .
وقال ﷺ في حديث : « وأهل النار خمسة - وذكر منهم - : رجلا لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادتك عن أهلك ومالك » (٣) .

الكبيرة التاسعة والستون من جس على المسلمين ودل على عورته

فيه حديث حاطب بن أبى بلتعة وان عمر أراد قتله بما فعل قمبعة رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بحرا ، اذا ترتب على جسسه وهن على الاسلام وأهله وقتل أو سبى أو نهب أو شيء من ذلك فهذا ممن سعى في الأرض فساد وأهلك الحرث والنسل فيتبعن قتله وحق عليه العذاب .
فنسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يدري كل ذى حس ان النميمة اذا كانت من اكبر المحرمات فنيمة الجاسوس اكبر وأعظم .
نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية انه لطيف خبير جواد كريم .

الكبيرة السبعون سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله تعالى (٤) :

(*) فاطر : ٤٣ .

- (١) رواه البزار من حديث أبى هريرة وفيه عبد الله بن أبى حميد أجمعوا على ضعفه اه مجمع الزوائد .
- (٢) النساء : ١٤٢ .
- (٣) رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعى .
- (٤) في الحديث القدسى .

« من عادى لى ولما فقد آذنته بالحرب » (١) وقال ﷺ : « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » (مخرج فى الصحيحين) .

وقال ﷺ : « الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى من أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله أوشك أن يأخذه » (أخرجه الترمذى) (٢) .
ففى هذا الحديث وأمثاله بيان حاله من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكمرهم واجترا عليهم .

وقوله ﷺ : « الله الله » كلمة تحذير وإنذار كما يقول المحذر : النار النار أى اخذوا النار وقوله : « لا تتخذوهم غرضاً بعدى » أى لا تتخذوهم غرضاً للسب والطن كما يقال : اتخذ فلان غرضاً لسبه أى هدفاً للسب وقوله : « فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم » فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال فمن أحبهم فأنما أحب النبى ﷺ فحب أصحاب النبى ﷺ عنوان محبة ويغضهم بغضه كما جاء فى الحديث الصحيح : « حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق » وما ذاك الا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدى رسول الله ﷺ وكذلك حب على رضى الله عنه من الإيمان وبغضه من النفاق وإنما يعرف فضائل الصحابة رضى الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة الى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الاسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه ولولاهم ما وصل الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً .

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين لأن الطعن لا يكون الا عن اعتقاد مساوئهم وإضرار الحق عليهم وإنكار ما ذكره الله تعالى فى كتابه من تنائيه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائيه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ولأنهم أَرْضَى الوسائط من المأثور والوسائط من المنقول والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل والأزدرء بالناقل الأزدرء بالمنقول ، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزنحقة والالحاد فى عقيدته وحسبك

(١) عزاه فى الصغرى الى البخارى فقط وقال فى الميزان فى ترجمة خالد ابن مخلد القطوانى ، ولا أخرجه من عدا البخارى ولا أظنه فى المسند وأقره الحافظ العسقلانى فى الفتح وعد من أخرجه أو أخرج شاهداً له وليس فيه مسلم فما هنا سبق قلم أو من تحريف النسخ والحديث من مسند أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) من حديث عبد الله بن مغفل وقال : غريب ١ هـ مشكاة .

- ١٧٩ -

ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك كقول النبي ﷺ : « ان الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » (١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : انا نسب ، فقال رسول الله ﷺ : « من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي أصحابا وأخوانا وأصهارا وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تاكلوهم ولا تتساربوهم ولا تفكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم » (٢) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا ذكر أصحابي فأمسكوا واذا ذكر النجوم فأمسكوا واذا ذكر القدر فأمسكوا » (٣) قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر في الخلق وهو أى الامساك علامة الايمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير ارادة الله عز وجل فهو مشرك وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيبا وأضافه اليهم كان منافقا بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ﷺ وحب ما جاء به وحب من يقوم بأمره وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وعلمائه وخدائه وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم لأن أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله .

قال أيوب السخيتاني رضى الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منارا للدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق .

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني من حديث عويم ابن ساعدة وفيه من لم أعرفه هـ وزاد في منتخب كنز العمال عزوه الى الحاكم في مستدركه .

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء عن أنس في منتخب كنز العمال .

(٣) رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح وله شاهد ضعيف من حديث ثوبان عند الطبراني أيضا هـ مجمع الزوائد وقال العراقي : رواه الطبراني بأسناد حسن .

(فصل) وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشر المشهود لهم وأفضل العشرة أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث .
وقد نص النبي ﷺ في حديث العرياض بن سارية حيث قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحذات الأمور » (١) . الحديث .
والخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن قال الله تعالى : « ولا ياتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين » (٢) . الآية لا خلاف أن ذلك فيه ، فنعت بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى : « ثانی اثنين اذ هما في الغار » (٣) . الآية . لا خلاف أيضا أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من يكون أفضل من ثانی اثنين الله ثالثهما . وقال تعالى : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (٤) قال جعفر الصادق : لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وإى منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم أجمعين .



(تم الكتاب المبارك بعون الله وحسن توفيقه على يد الفقير إلى مولاه الغنى عما سواه عبد الله بن سليمان آل بلهيد غفر الله له ولوالديه ولشايخه وأخوته في الدارين ، وسائر المسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، أنه غفور رحيم . آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين) .
وكان الفراغ منه لخمس عشرة خلت من شهر جمادى الأولى سنة ١٣١٤ هجرية .

كتبت وقد إيقنت يوم كتابتي بأن يدى تقنى ويبقى كتابها
فان عملت خيرا ستجزى مثله وان عملت سوءا عليها حسابها



-
- (١) رواه الترمذى وصححه . (٢) النور : ٢٢ .
(٣) التوبة : ٤٠ . (٤) الزمر : ٣٣ .

- ١٨١ -

تم بحمد الله تعالى طبع كتاب « الكبائر » للامام أبى عبد الله محمد
شمس الدين الذهبي الحمصي ، بمطابع دار التراث العربى للطباعة والنشر
لصاحبها « أحمد حمدي أحمد شعبان » فى يوم السبت غرة ذى الحجة ١٤٠٢ هـ
الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٨٢ م .

وقام بتنقيحه ، وتصحيحه ، وتخريج آياته ، وضبط أحاديثه : العبد
الفقير الى الله تعالى ، راجى عفوه وغفرانه : « محمد الأنور أحمد البلتاجى »
سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجعله فى ميزان حسناته « يوم لا ينفع مال
ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم » .

نسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين .

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة	
٣	ترجمة المؤلف
٥	تعريف (الكبائر)
٦	الكبيرة الأولى : الشرك بالله
٩	الكبيرة الثانية : قتل النفس
١١	الكبيرة الثالثة : في السحر
١٣	الكبيرة الرابعة : في ترك الصلاة
١٦	فصل : متى يؤمر الصبي بالصلاة
٢٤	الكبيرة الخامسة : منع الزكاة
٢٨	الكبيرة السادسة : افطار يوم من رمضان بلا عذر
٢٨	الكبيرة السابعة : في ترك الحج مع القدرة عليه
٢٩	الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين
٣٥	الكبيرة التاسعة : هجر الأقارب
٣٧	الكبيرة العاشرة : الزنا
٤١	الكبيرة الحادية عشرة : اللواط
٤٦	الكبيرة الثانية عشرة : أكل الربا
٤٩	الكبيرة الثالثة عشرة : أكل مال اليتيم وظلمه
٥٢	الكبيرة الرابعة عشرة : الكذب على الله ورسوله
٥٣	الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف
٥٣	الكبيرة السادسة عشرة : غش الإمام الرعية وظلمه لهم
٥٧	الكبيرة السابعة عشرة : الكبر والفخر والخيلاء والعجب والقيح
٥٨	الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور
٥٩	الكبيرة التاسعة عشرة : شرب الخمر
٦٦	الكبيرة العشرون : القمار
٦٨	الكبيرة الحادية والعشرون : قذف المخضعات
٧٠	الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة
٧٢	الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة
٧٣	الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق
٧٥	الكبيرة الخامسة والعشرون : اليمين الغموس
٧٧	الكبيرة السادسة والعشرون : الظلم
٨٦	الكبيرة السابعة والعشرون : المكس
٨٨	الكبيرة الثامنة والعشرون : أكل الحرام وتناوله على أى وجه كان

الصفحة

- ٩١ الكبيره التاسعة والعشرون : أن يفعل الانسان نفسه
- ٩٣ الكبيرة الثلاثون : الكذب في غالب أمواله
- ٩٦ الكبيرة الحادية والثلاثون . القاضى السوء
- ٩٧ الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرنوة على الحكم
- ٩٩ الكبيرة الثالثة والثلاثون : تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء
- ١٠٠ الكبيرة الرابعة والثلاثون : انبيو المستحسن على اهله والقواد الساعى بين الانين بالسفاد
- ١٠١ الكبيرة الخامسة والثلاثون : فى المثل والمطل له
- ١٠٢ الكبيرة السادسة والثلاثون : عدم التنزه من البول
- ١٠٤ الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء
- ١٠٥ الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للذنيا وكتمان العلم
- ١٠٧ الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة
- ١١٠ الكبيرة الأربعون : المـــــــان
- ١١١ الكبيرة الحادية والأربعون : التكذيب بالقدر
- ١١٣ الكبيرة الثانية والأربعون : التسمع على الناس ما يسرون
- ١١٧ الكبيرة الثالثة والأربعون : النمــــام
- ١١٨ الكبيرة الرابعة والأربعون : اللــــعان
- ١٢١ الكبيرة الخامسة والأربعون : الفدر وعدم الوفاء بالمعهد
- ١٢٤ الكبيرة السادسة والأربعون : تصديق الكاهن والمنجم
- ١٢٥ الكبيرة السابعة والأربعون : نشوز المرأة على زوجها
- ١٢٧ الكبيرة الثامنة والأربعون : التصوير فى الثياب والحيطان والحجر
- ١٣٤ وغيرها
- ١٣٥ الكبيرة التاسعة والأربعون : اللطم والنيلحة وغيرها
- ١٤٧ الكبيرة الخمسون : البغى
- ١٤٨ الكبيرة الحادية والخمسون : الاستطالة على الضعيف والمملوك
- ١٤٨ والجارية والزوجة والدابة
- ١٥٤ الكبيرة النانية والخمسون : اذى الجار
- ١٥٦ الكبيرة الثالثة والخمسون . اذى المسلمين وشتيمهم
- ١٥٩ الكبيرة الرابعة والخمسون : اذية عباد الله والتطول عليهم
- ١٦١ الكبيرة الخامسة والخمسون : اسبال الازار والثوب واللباس
- ١٦٢ والسراويل تعززا وعجبا وفخرا وخيلاء
- ١٦٢ الكبيرة السادسة والخمسون : لبس الحرير والذهب للرجال
- ١٦٣ الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبد
- ١٦٤ الكبيرة الثامنة والخمسون : الذبح لغير الله عز وجل

الصفحة

١٦٥	الكبيرة التاسعة والخمسون : فيمن ادعى الى غير أبيه وهو يعلم .
١٦٦	الكبيرة الستون : الجدل والمرء واللد .
١٦٨	الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء .
١٦٩	الكبيرة الثانية والستون : نقص الكيل والفرع والميزان وما أشبه ذلك .
١٧٠	الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله .
١٧٢	الكبيرة الرابعة والستون : اذية أولياء الله : (الموجود هو آخرها فقط) .
١٧٣	الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة فيصلى وحده من غير عذر .
١٧٣	الكبيرة السادسة والستون : الاصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر .
١٧٦	الكبيرة السابعة والستون : الاضرار في الوصية .
١٧٧	الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة .
١٧٧	الكبيرة التاسعة والستون : من جس على المسلمين ودل على عوراتهم .
١٧٧	الكبيرة السبعون : سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .
١٨٢	محتويات الكتاب .



رقم الايداع بدار الكتب : ٤٣٧٤ / ١٩٨٢

طابع دار التراث العربي
ت ٩٣٦١٤٥ - القاهرة

Bibliotheca Alexandrina



0244437